



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ
لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ كَفَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو
الْأَلْبَابِ .

سورة ص الآية ٢٩

الإهداء

إلى أخي فضيلة الشيخ إسحاق الذي له
الفضل بعد الله في وصولي إلى نيل هذه
الدرجة . أهدي رسالتي

فائمه وأدريسك

شكر و تقدير

أقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الجليل

الدكتور عبد الباقى السيد محمد يونس

على تفضله بالإشراف على رسالتي ومساهمته بالإرشاد
والتوجيه لي ، فالله و إلى أعضاء لجنة المناقشة
الموقرين أودم وافر شكرى وتقديرى سائلة
المولى الكريم أن يجزيهم عنى وعن الإسلام والمسلمين

خير الجزاء
، إنه على كل شئ قدير

- ج -
فهرس اجمالسي

رقم الصفحة	الموضوع
و	المقدمة
١٢-١	التمهيد
	<u>الباب الأول</u>
١٣	اعلام المفسرين
	<u>وتحت هذا الباب فصلان :</u>
١٤	الفصل الأول : المفسرون من الصحابة
١٠٢	الفصل الثاني : المفسرون من التابعين
	<u>وتحت هذا الفصل ثلاثة مباحث :</u>
١٠٣	المبحث الأول : تراجم لأهم اتباع عبد الله بن عباس
١٣٥	المبحث الثاني : تراجم لأهم اتباع عبد الله بن مسعود
١٦٠	المبحث الثالث : تراجم لأهم اتباع أبي بن كعب
	<u>الباب الثاني</u>
١٧٧	قضايا التفسير
	<u>وتحت هذا الباب ثلاثة فصول :</u>
	الفصل الأول : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن
١٧٨	في آيات العقيدة
	<u>وتحت هذا الفصل أربعة مباحث :</u>
	المبحث الأول : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه
١٧٩	عز وجل في الدنيا

رقم الصفحة	الموضوع
٢١١	المبحث الثاني : مرتكب الكبيرة
٢٣١	المبحث الثالث : الجن
٢٥٥	المبحث الرابع : اليوم الآخر
	الفصل الثاني : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن
٢٧٧	في آيات الاحكام
	<u>وتحت هذا الفصل ثلاثة مباحث :</u>
٢٧٨	المبحث الأول : قصر صلاة السفر
٢٩٦	المبحث الثاني : مواضع سجود التلاوة
٣١٦	المبحث الثالث : حكم العمرة
	الفصل الثالث : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن
٣٣٤	في آيات الاخلاق
	<u>وتحت هذا الفصل ثلاثة مباحث :</u>
٣٣٥	المبحث الأول : الامانة
٣٤٦	المبحث الثاني : الصدق
٣٥٤	المبحث الثالث : الصبر
	<u>الباب الثالث</u>
٣٦٤	الإتباع في تفسير القرآن
	<u>وتحت هذا الباب فصلان :</u>
	الفصل الأول : شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة
٣٦٥	والتابعين

رقم الصفحة	الموضوع
٣٧٧	الفصل الثاني : بين التفسير في القرن الاول وما جاء بعده .. ----- خاتمة
٤٣٣	في نتائج البحث
٤٣٧	مراجع البحث
٤٥١	فهرس تفصيلي للبحث

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ،
أنزل على رسوله الكتاب المبين ، هدى وموعظة للمتقين ، والصلاة والسلام على
سيدنا محمد النبي الامين ، بعثه الله بالحق المبين ، واقام به الحججة
على العالمين .

أما بعد ..

فان القرآن الكريم هو كتاب الهداية ، الذى حدد للناس معالم
الحق ورسم لهم طريق الخير وبين لهم المثل الاعلى فى كل شيء ، فى عقائدهم
وعباداتهم وفى اخلاقهم ومعاملاتهم .

ولقد كان من اسباب الطمأنينة والرضا النفسى ان من على المولى عز وجل
بالاسهام فى وضع لجنة متواضعة فى صرح الدراسات القرآنية الشامخ ، وشاء الله
ان تكون تلك اللجنة فى مجال التفسير الذى هو من اشرف العلوم ان لم يكن
اشرفها جميعا ، وكيف لا وهو " العلم الذى يعرف به فهم كتاب الله المنزل
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه (١) وان اكان
الفهم السليم لاي كتاب يتعلق بتخصص ما من تخصصات الحياة يورثى الى
التقدم فى هذا التخصص ، فكيف اذا فهمنا كلام العلمم الخبير الذى حوى
بين دفتيه علوم الأولين والآخرين ، وعطنا بما فيه ؟ !

ان هذا الفهم ... وهذا العمل بلا ريب يؤدى الى الفوز بسعادة
الدارين ولا سيما اذا بارك الله هذا العمل وزكاه بالاخلاص .

(١) مناهل العرفان ، للذرقاني : ج ١ ص ٢٧١ .

وهذا العمل الذى منّ الله عزوجل عليّ بانجازه يدور حول :
" التفسير في القرن الأول الهجرى " .

أما اسباب اختيار هذا البحث ، فهي :

أولا : الاسهام في خدمة كتاب الله عز وجل ، والقيام ببعض الواجب نحو
هذا الكتاب الكريم الذى يحمل في آياته الدعوة الى الحق والخير ،
ويحقق للناس السعادة في الدنيا والآخرة .

ثانيا : ان البحث فرصة طيبة لاضافة شيء جديد في تفسير القرآن يعزز
السابق ، ويفيد اللاحق .

ثالثا : التعرف على ملامح لمناهج عدد من الصحابة والتابعين في تفسير
القرآن الكريم ، وتنبيه طلبة العلم الى هذا التراث التفسيري الذى
حفلت به كتب التفسير .

رابعا : أن استفيد علميا من هذا الموضوع وذلك لان تناول تاريخ التفسير منذ
عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء بعده يعتبر علما قائما بذاته .
وقد رأيت في معالجة هذا الموضوع ان يكون على النحو التالي :
مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة ابواب ، وخاتمة .

أما المقدمة :

فبينت فيها اسباب اختيار الموضوع وأهميته .

وأما التمهيد :

فتحدثت فيه عن نشأة التفسير بالمأثور ووضحت فيه معنى التفسير فى
اللغة وفي اصطلاح العلماء وكذلك معنى المأثور وقد اشرت فيه الى المفسرين
من الصحابة والتابعين المكثرين منهم والمقلين ونشأة المدارس التفسيرية .

وأما الباب الأول : فقد افردته للحديث عن اعلام المفسرين ، ويحتوى على

فصلين :

الفصل الأول : المفسرون من الصحابة ، ويحتوى على تراجم لمن

اشتهر بالتفسير من الصحابة واخترت منهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن

سعود ، وعلي بن ابي طالب ، وابي بن كعب ، و ابا موسى الاشعري ،

وأنس بن مالك - رضي الله عنهم اجمعين - وبينت مبلغهم من العلم ومناهجهم

في تفسير القرآن الكريم ، وذكرت مروياتهم من حيث القوة والضعف وذيلت هذا

الفصل بقيمة التفسير ، المأثور عن الصحابة ومميزات التفسير في عصرهم .

الفصل الثاني : المفسرون من التابعين ، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :

ويحتوى على تراجم لاهم اتباع عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -

بينت فيه مبلغهم من العلم ونماذج من تفاسيرهم وهم : مجاهد بن جبر ،

وهكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن ابي رباح .

المبحث الثاني :

ويضمن تراجم لاهم اتباع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وترجمت

لكل من : علقمة بن قيس ، ومسروق بن الاعدع ، والحسن البصرى ، وقتادة

ابن دعامة السدوسي .

المبحث الثالث :

ويشتمل على تراجم لاهم اتباع ابي بن كعب - رضي الله عنه - وهم :

ابو العالية رفيع بن مهران الرياحي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وزيد بن اسلم ،

وختمت هذا المبحث بقيمة التفسير المأثور عن التابعين .

الباب الثاني : بعنوان قضايا التفسير ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات

العقيدة وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول :

استعرضت فيه آراء الصحابة والتابعين من قضية رؤية نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل في الدنيا .

المبحث الثاني :

تناولت فيه موضوع مرتكب الكبيرة ، وآراء السلف في ذلك .

المبحث الثالث :

تحدثت فيه عن امر فيبي لانعلم من حقيقته الا ما جاء عن طريق الخبر
الصادق عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو موضوع الجن .

المبحث الرابع :

تعرضت فيه للحديث عن عقيدة الايمان باليوم الآخر وموقف الصحابة
والتابعين من الآيات التي تتحدث عن بداية ذلك اليوم وما يسبقه ومنتهاه

الفصل الثاني : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات

الاحكام ، وهو ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

تكلمت فيه عن قصر صلاة السفر وبينت آراء علماء التفسير في القرن
الاول من هذا الموضوع .

المبحث الثاني :

بينت فيه مواضع سجود التلاوة والآراء في ذلك .

المبحث الثالث :

عقدته لموضوع حكم العمرة أواجبة هي ام تطوع ، وموقف الصحابة والتابعين من هذا الأمر .

الفصل الثالث : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن فسي

آيات الاخلاق ، ويحتوى على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

جملته للحديث عن خلق الامانة .

المبحث الثاني :

وخصصته لفضيلة الصدق وموقف الصحابة والتابعين من هذا الخلق النبيل .

المبحث الثالث :

تكلت فيه عن خلق نحتاجه دوما في ديننا ودنيانا ، عن الصبر .

الباب الثالث : وهو بعنوان : الاتباع في تفسير القرآن ، ويشتمل على

فصلين :

الفصل الأول : شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين

عددت فيه الشروط التي ينبغي توافرها فيمن تصدى لتفسير القرآن الكريم .

الفصل الثاني : بعنوان بين التفسير في القرن الاول وما جاء بعده ،

بدأته بالحديث عن التفسير في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بالتفسير في عصر الصحابة بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ثم تفسير التابعين واتباع التابعين ، وتضمن هذا الفصل ايضا اشهر الكتب التي الفت معتمدة على المأثور ، مثل : تفسير بقي بن مخلد ، وتفسير الطبري ، وتفسير ابن عطية ، وكذلك بعض الكتب التي الفت معتمدة على التفسير الاجتهادي المحمود مثل تفسير روح المعاني ، والبحر المحيط ، وتفسير الجلالين ، موازنة بين ما اختاره مؤلفو هذه الكتب في تفاسيرهم لبعض الآيات القرآنية وبين مارآه علماء التفسير في القرن الاول الهجرى .

ثم عقب ذلك كله بالخاتمة وقد لخصت فيها اهم النتائج التي توصلت اليها .

هذا وارجو ان اكون بهذا البحث المتواضع قد قدمت الى مكتبة التفسير شيئا جديدا . . . واسأل الله تبارك وتعالى ان ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم .

هذه كلمة موجزة عن موضوع البحث ، والاسباب التي حفزتني الى اختياره والخطة التي سرت عليها في البحث والدراسة .
ختاما ان كنت قد اصبحت في بحثي هذا فذلك من فضل الله وعظيم توفيقه ، وان تعثرت بي الخطى فأرجو الله ان يغفر لي خطي وتقصيري انه اهل التقوى واهل المغفرة .

نشأة التفسير بالمأثور

القرآن الكريم هو النور الذي نزل به جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ليكون دستوراً عادلاً وتشريعاً خالداً ونبراساً ساطعاً وهدى واضحاً .

نزل بالاحكام والشرائع منجماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب الحوادث والوقائع في بضع وعشرين عاماً فكان لا بد ان توجد فيه مواضع لم تكد تصل الى فهمها العقول ، ولما كانت هذه الاحكام والشرائع لا يمكن العمل بها الا اذا فهمت جيداً ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتدارس ما ينزل من القرآن مع اصحابه رضوان الله عليهم يفصل لهم المعمل ويوضح لهم المعهم ، ويفسر لهم المشكل .

فكان صلى الله عليه وسلم المفسر لكتاب الله تعالى بسنته القولية والفعلية كما قال تعالى :

* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ * (١)

والذي يرجع الى كتب السنة النبوية الشريفة يجدها قد افردت للتفسير باباً من الابواب التي اشتملت عليها ذكرت فيه كثيراً من التفسير المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم . فماذا تعني كلمة تفسير مأثور ؟

التفسير لفظة :

قيل هو من الفسر ، وقيل من التفسرة ، وقيل مقلوب من السفر وذلك

على التفصيل التالي :

(١) سورة النحل : الآية " ٤٤ " .

كونه من الفسر : قال ابن منظور : * الفسر : البيان . فسر الشيء * يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرا ، وفسره : أبانه ، والتفسير مثله ، الفسر كشف المغطى ، والتفسير : كشف المراد عن اللفظ المشكل * (١) كذا قرأه أبا حيان هذا المعنى ان قال :
* ويطلق ايضا التفسير على التعرية للانطلاق ، قال ثعلب : تقول فسرت الفرس : عربته لينطلق في حضره ، وهو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا الذى يريد منه المجرى * . (٢)

وقال السيوطي :

* التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف * (٣) وقيل ان التفسير مأخوذ من انفر وهو القليل من الماء الذى ينظر فيه الا طباء للكشف عن علة المريض .

وكأنه تسمية بالمصدر ، لان مصدر فعل جاء ايضا على فعله ،

نحو جرب تجربة وكرم تكرمه (٤) والى هذا جنح الزركشي فقال :
* واصله في اللغة من التفسرة * . (٥)

وقيل ان التفسير مقلوب من السفر . قال ابن منظور : * يقال سفر

شعره اى استأصله وكشف عن رأسه ، واسفر : اشرق * (٦)

- (١) لسان العرب لابن منظور : ح ٢ ص ١٠٩٥ .
- (٢) تفسير البحر المحيط لابي حيان الاندلسي : ح ١ ص ١٣ .
- (٣) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : ح ٢ ص ٢٢١ .
- (٤) لسان العرب : ح ٢ ص ١٠٩٥ .
- (٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي : ح ٢ ص ١٤٧ .
- (٦) لسان العرب : ح ٢ ص ١٥٤ .

من خلال ما سبق يتبين ان كلمة التفسير لغة ايا كانت مادتها
انها تعني الكشف والتوضيح مطلقا كما كان الكشف او معنى .

التفسير في الاصطلاح :

كثرت المحاولات لوضع تعريف اصطلاحي للتفسير فتعددت الاقوال
ومن ذلك :

(١) قول ابي حيان : " التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ
القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل
عليها حالة التركيب وتتمت ذلك . " ثم خرج التعريف فقال : " فقولنا
علم هو جنس يشمل سائر العلوم ، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ
القرآن هذا هو علم القراءات ، وقولنا ومدلولاتها اي مدلولات تلك اللفاظ
وهذا هو علم اللغة الذي يحتاج اليه في هذا العلم . وقولنا واحكامها
الافرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف وعلم الاعراب وعلم البيان وعلم البديع
ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها
مالادلالته عليه ، بالحقيقة ، ومادلالته عليه بالمجاز فان التركيب قد يقتضي
بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لاجل ذلك ان يحمل
على غير الظاهر وهو المجاز ، وقولنا وتتمت لذلك هو معرفة النسخ ، وسبب
النزول وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك " (١)

(١) تفسير البحر المحيط : ج ١ ص ١٣ - ١٤ .

(٢) وعرفه الزركشي فقال : " هو علم نزول الآية وسورتها واقاصيصها
والاشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيتها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها
وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها
ومفسرها " . (١)

(٣) وعرفه الزرقاني : بأنه علم يبحث فيه عن احوال القرآن الكريم من حيث
دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية (٢) ثم شرح هذا
التعريف فقال : " والمراد بكلمة : علم ، المعارف التصويرية ، وخرج
بقولنا : يبحث فيه عن احوال القرآن ، العلوم الباحثة عن احوال غيره ،
وخرج بقولنا : من حيث دلالاته على مراد الله تعالى ، العلوم التي
تبحث عن احوال القرآن من جهة غير جهة دلالاته . كعلم القراءات
وعلم الرسم العثماني ، وقولنا : بقدر الطاقة البشرية- لبيان انه
لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات ولا عدم العلم
بمراد الله في الواقع ونفس الامر . (٣)

(٤) قال الزركشي : " التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج احكامه وحكمه " (٤)
وعند النظر في هذه الاقوال المنقولة في المعنى الاصطلاحي للتفسير
نجد انها اقوال متعددة مختلفة اللفظ ولكنها تتفق في معناها وقد راقني
قول الامام الزركشي الاخير لمعنى التفسير اصطلاحا .

(١) البرهان في علوم القرآن : ح ٢ ص ١٤٨ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني : ح ١ ص ٤٧١ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) البرهان في علوم القرآن : ح ١ ص ١٣ .

المأثور لغة :

المأثور : اسم مفعول ، من اثرت الحديث من باب قتل ونقل
- فهو مقتول ومنقول ، والاثر بفتح الالف والتاء اسم منه ، وحديث مأثور ،
اي حديث منقول (١) .

فالتفسير بالمأثور يعني : التفسير المنقول ، سواء كان متواترا
ام غير متواتر ، فهو ما جاء في القرآن الكريم منقولا عن الله عز وجل ، او ما جاء
في السنة النبوية مأثورا عن الرسول صلى الله عليه وسلم او ما جاء واردا من
كلام الصحابة - رضي الله عنهم - او التابعين - رحمهم الله - بيانا لمراد الله
عز وجل في القرآن الكريم .

ويدخل المروى عن التابعين في التفسير بالمأثور ، لكثرة ذكره في
كتب التفسير النقلية ، كتفسير ابن جرير الطبري وتفسير ابن كثير وغيرهما .
وبعد معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي للتفسير ، وما تعنيه كلمة
مأثور اعود فأقول كان الرسول صلى الله عليه وسلم الهادي المرشد بيين
ويفصل آيات القرآن الكريم لاصحابه رضوان الله عليهم الذين تفاوتوا في العلم
بلغة القرآن ، وفهم المراد من مدلولاتها فلجأوا الى الرسول صلى الله عليه
وسلم ليفسر لهم ما اشكل عليهم .

يقول ابن خلدون : " . . . وكان النبي صلى الله عليه وسلم بيين
المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول
الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه . . . " (٢)

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للمقرئ الفيومي : ج ١ ص ٧ ،
ط / الحلبي .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ص ٤٣٨ ، ط / الرابعة .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدر الاول في التفسير ، وقد ورد في كتب السنة النبوية احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر فيها كثيرا من الآيات الكريمة ، من ذلك :

- (١) مارواه الامام البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ * (١) شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : أينما لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس بذلك الا تسمعون الى قول لقمان : * إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * (٢) ومارواه الامام مسلم بسنده عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : * وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ * (٣) الا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي . (٤)

وقد ساق الامام السيوطي مجموعة تفسيرية مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه " الاتقان " . (٥)

وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى كان اذا خفي المعنى القرآني على الصحابة ولم يجدوا له تفصيلا في كتاب الله ، ولا تفسيراً في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتجهوا في تفسير الآيات

-
- (١) سورة الانعام : الآية " ٨٢ " .
 - (٢) سورة لقمان : الآية " ١٣ " ، والحديث في صحيح البخارى ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين : ح ٩ ص ١٧ .
 - (٣) سورة الانفال : الآية " ٦٠ " .
 - (٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الامارة ، باب فضل الرمي والحس عليه : ح ١٣ ص ٦٤ .
 - (٥) ح ٢ ص ٢٤٤ وما بعدها .

الى الاجتهاد واعمال عقولهم . فكان كل منهم يتجه في تفسيره بحسب ما يملكه عليه فهمه وادراكه للغة وعلمه ومعلوماته عن عادات العرب واسباب النزول الى غير ذلك .

ثم بعد عصر الصحابة كان التابعون ، ولقد ظهر منهم رواد وائمة في مجال التفسير ، وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله عز وجل على ما جاء في القرآن الكريم نفسه وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم وعلى ما فتح به الله عليهم من فهم وقوة في الاستنباط .

نخلص من هذا ان الخطوة الاولى في التفسير خطاها النبي صلى الله عليه وسلم ففسر القرآن - لصحابته رضوان الله عليهم - . واتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث ، ولم يكن التفسير الا مجرد روايات تروى منشورة لايات متفرقة يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن معنى آية من القرآن فيفسرها ، ويحمل ذلك منه بعض اصحابه فيروونها لمن لم يسمعها منهم او لمن يتلقون عنهم من التابعين وكذلك فعل التابعون .

وبالجملة فان التفسير في هذه المرحلة لم يتجاوز طريق الرواية وهي بداية او نشأة ما يعرف بالتفسير المأثور .

المفسرون من الصحابة :

لم يكن الصحابة - رضي الله عنهم - جميعهم على مستوى واحد فسي العلم والتفسير ، فقد اختلفت مداركهم في المعارف والعلوم ، كما تباينت افهامهم في تدبرهم لكتاب الله .

وقد اشتهر منهم بالتفسير عشرة .

قال الامام السيوطي في الاتقان : " اشتهر بالتفسير من الصحابة

عشرة : الخلفاء الاربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابي بن كعب ،
وزيد بن ثابت ، وابو موسى الاشعري ، وعبد الله بن الزبير ، اما الخلفاء
فاكثر من روى عنه منهم علي بن ابي طالب ، والرواية عن الثلاثة نـذره
جدا (١)

اما السبب في قلة الرواية عن ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان

ابن عفان فانه يرجع الى تقدم وفاتهم كما ذكر ذلك السيوطي . (٢)

بالاضافة الى اشتغالهم بمهام الخلافة وتوطيد اركان الدولة الاسلامية
والجهاد في الفتوحات الاسلامية ونشر الدعوة ، ووجودهم في وسط اكثر اهلـه
عالمون بكتاب الله مشاهدون لاسباب نزوله عارفون بمعانيه واحكامه ، متمكنون
من اللغة واساليبها .

اما الخليفة الرابع علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه - فقد عاش في
وقت اتسعت فيه رقعة الدولة الاسلامية ودخل كثير من العجم في الدين الاسلامي
ونشأ جيل من ابناء الصحابة كانوا بحاجة الى تفهم معاني القرآن الكريم وحكمه
واسراره ، ولذلك اشتهرت الرواية عنه اكثر من بقية الخلفاء الراشدين .

اما عبد الله بن مسعود فقد روى عنه اكثر مما روى عن علي ، واما عبد الله

ابن عباس فهو ترجمان القرآن ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له (٣) ،
واما ابي بن كعب فعنه نسخة كبيرة في التفسير .

(١) الاتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

ومن الذين ورد عنهم شيء من التفسير من الصحابة غير أولئك العشرة :
انس بن مالك ، وابو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وابو موسى
الاشعري ، الا ان ماروى عنهم قليل بالنسبة الى العشرة المتقدمين . (١)

المفسرون من التابعين :

اما المفسرون من التابعين فانهم يعتبرون كثرة واشتهروا شهرة واسعة
ونبع منهم رجال اذنان اعتنوا بتفسير كتاب الله .

قال ابن تيمية :

" واما التفسير فان اعلم الناس به اهل مكة لانهم اصحاب ابن عباس ،
كمجاهد وعطاء بن ابي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس (٢) ،
وابي الشعثاء (٣) ، وسعيد بن جبير (٤) ، وامثالهم ، وكذلك اهل
الكوفة من اصحاب ابن مسعود ومن ذلك ماتموزوا به على غيرهم ، وعلماء اهل
المدينة في التفسير مثل زيد بن اسلم الذي اخذ عنه مالك التفسير . . . (٥) .

-
- (١) الاتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٤٢ .
 - (٢) طاووس بن كيسان ابو عبد الرحمن اليماني ، كان رأسا في العلم والعمل
مات بمكة سنة ست ومائة . تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ٩٠ .
 - (٣) ابو الشعثاء جابر بن زيد الازدي البصري احد الاعلام وصاحب ابن عباس ،
مات سنة ثلاث وتسعين ، وقيل : سنة ثلاث ومائة . تذكرة الحفاظ :
ج ١ ص ٧٢ .
 - (٤) سعيد بن جبير : الوالبي مولا هم الكوفي المقرئ الفقيه احد الاعلام ،
قتله الحجاج سنة خمس وتسعين وله تسع واربعون سنة على الاشهر .
تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ٧٦ .
 - (٥) مجموع فتاوى ابن تيمية : ج ١٣ ص ٣٤٧ .

نشأة مدارس التفسير :

بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى انتشر الاسلام واتسعت الاقطار وتفرق الصحابة في الامصار الاسلامية وحيثما حل الصحابي في مكان اجتمع حوله الطالبون لعلم النبوة بما في ذلك التفسير .

فقد كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يجلس ليعلم الناس التفسير وغيره وما من احد يسأله الا ويجد عنده علما (١) وقد بلغ به الامر في تبليغ العلم الى اتباعه انه كان يضع القيد في رجل احدهم ليعلمه القرآن ، والسنن . (٢)

كذلك نجد ابا موسى الاشعري - رضي الله عنه - اذا صلى الصبح يستقبل الصفوف رجلا رجلا يقرئهم ويعلمهم . (٣) وكان علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - يقول : سلوني عن كتاب الله . (٤)

وكان التابعون - رحمهم الله - حريصين على العلم فقد خرج مسروق ابن الاعدع الى رجل يسأله في البصرة عن آية فلما لم يجد عنده فيها علما خرج الى الشام في طلبها . (٥)

-
- (١) اسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الاثير : ح ٣ ص ٢٩٢ .
 - (٢) طبقات المفسرين للداودي : ح ١ ص ٣٨٠ .
 - (٣) سير اعلام النبلاء ، للذهبي : ح ٢ ص ٣٨٩ .
 - (٤) تهذيب الكمال في اسما الرجال للمزى : ح ٢ ص ٩٧٣ .
 - (٥) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، للاصبهاني : ح ٢ ص ٩٦ .

ولهذا نشأت مدارس تفسيرية كثيرة في عهد الصحابة ، أشهرها

ثلاث :

١ - مدرسة التفسير بمكة :

وقد قامت على يد ترجمان القرآن وشيخ المفسرين عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - واشتهر من تلامذتها وتخرج عليه رجال من التابعين - اختصوا برواية التفسير عنه امثال :

سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس بن كيسان ، وعطاء بن ابي رباح .

٢ - مدرسة التفسير بالمدينة :

قامت على يد سيد القراء أبي بن كعب - رضي الله عنه - واشتهر من تلامذتها : رفيع بن مهران الرياحي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وزيد بن اسلم .

٣ - مدرسة التفسير بالعراق :

قامت على يد عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - واشتهر من تلامذتها : علقمة بن قيس ، ومسروق بن الاعدع ، والاسود بن يزيد (١) ، ومرة الهمداني (٢) ، وعامر الشعبي (٣) ، والحسن البصري ، وقتادة بن دعامة السدوسي .

(١) الاسود بن يزيد بن قيس النخعي ابو عمرو من كبار التابعين . كان فقيها عابدا زاهدا توفي بالكوفة سنة خمس وسبعين من الهجرة . تذكرة الحفاظ : ح ١ ص ٥٠ .

(٢) مرة بن شراحيل الهمداني الكوفي ، المعروف بمرة الطيب ومرة الخير - لقب بذلك لكثرة عبادته - كان بصيرا بالتفسير . مات في حدود سنة تسعين . تذكرة الحفاظ : ح ١ ص ٦٢ .

(٣) عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي ولد في اثناء خلافة عمر ، كان اماما حافظا فقيها . تذكرة الحفاظ : ح ١ ص ٧٩ ، مات قبل الحسن البصري ببسبر ومات الحسن سنة ١١٠ هـ . تهذيب التهذيب : ح ٥ ص ٦٥ .

الباب الأول

أعلام المفسرين

الفصل الأول : المفسرون من الصحابة .

الفصل الثاني : المفسرون من التابعين .

الفصل الأول

المفسرون من الصحابة

ويحتوى على تراجم لكل من :-

- عبدالله بن عباس
- عبدالله بن مسعود
- علي بن أبي طالب
- أجب بن كعب
- أبو موسى الأشعري
- أنس بن مالك

عبد الله بن عباس

ترجمته :

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابو العباس ،
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حبر الأمة ، وفقه العصر ، وامام
التفسير (١)

مولده :

ولد والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالشعب بمكة ، فأتى به النبي
صلى الله عليه وسلم فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك (٢)
توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث عشرة ، وقيل خمس عشرة
سنة .

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " توفي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنا ابن خمس عشرة سنة " قال عبد الله بن احمد بن حنبل : قال ابي
وهذا هو الصواب .

قال ابن عبد البر تعليقا على قول احمد بن حنبل :

" وماقاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندي اصح وهو قولهم ان ابن عباس
كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفي الرسول صلى الله عليه وسلم . (٣)

(١) سير اعلام النبلاء ، للذهبي : ج ٣ ص ٣٣١ ، ط / ثانية ، ١٤٠٢ هـ

(٢) اسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الاثير الجزري ، ج ٣ ص ٢٩٣ ،
ط / دار الشعب .

(٣) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، لابن عبد البر ، ج ٦ ص ٢٩٥ ،

ط / اولي ١٣٩٧ هـ .

مكانته العلمية :

كان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه وذلك ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله : " اللهم علمه الكتاب (١) " وفي رواية أخرى " اللهم فقهه في الدين " (٢)

بالإضافة إلى نشأته في بيت النبوة وملازمته لأكابر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس ، قال : " لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لرجل من الأنصار : هلم نسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنهم اليوم كثير ؛ فقال : وأعجب لك يا ابن عباس ! أتري الناس يحتاجون إليك ، وفي الناس من أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام من ترى ؟ فترك ذلك . وأقبلت على المسألة ، فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل ، فأتته وهو قائل ؛ فأتوسد رداي على يابه ، فتسفي الريح طي التراب ، فيخرج ، فيراني ، فيقول : يا ابن عم رسول الله ! الا أرسلت التي فأتتك ؟ فأقول : انا احق أن أتتك ، فأسألك ، قال : فبقي الرجل حتى رأيته وقد اجتمع الناس علي ، فقال : هذا الفتى اعقل مني (٣) .

اضف إلى ذلك حفظه للغة العربية ، ومعرفته لغريبها وآدابها وخصائصها واساليبها وبلوغه مرتبة الاجتهاد وعدم تحرجه منه .

- (١) صحيح البخارى ، كتاب العلم : باب قول النبي اللهم علمه الكتاب ج ١ ص ٢٩ ، ط / دار ومطابع الشعب .
- (٢) صحيح البخارى كتاب الوضوء : باب وضع الماء عند الخلاء : ج ١ ص ٤٨ .
- (٣) سير اعلام النبلاء : ج ٣ ص ٣٤٣ .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ برأى ابن عباس والدليل على

ذلك ما رواه صاحب اسد الغابة عن عبيد الله بن عمر بن عتبة (١) قال :
" كان عمر بن الخطاب اذا جاءتة الأفضية المعضلة قال لابن عباس انها قد
طرأت علينا افضية وهضل فأنت لها ولا مثالها ثم يأخذ بقوله وما كان يدعو لذلك
أحدا سواه ، قال عبيد الله وعمر عمر يعني في حذقه واجتهاده للـــــــ
وللمسلمين " .

وقال عبيد الله ايضا : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بعلم
ما سبقه وفقه ما احتيج اليه من رأيه وحلم ونسب وتأويل (٢) وما رأيت احدا كان
أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بقضاء ابي بكر وعمر
وعثمان منه ولا افقه في رأى منه ولا اعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب
ولا بفريضة منه ، ولا اثقب رأيا فيما احتيج اليه منه وقد كان يجلس يوما ولا يذكر فيه
الا الفقه ويوما التأويل ويوما المغازى ويوما الشعر ويوما ايام العرب ، ولا رأيت
عالما قط جلس اليه الا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله الا وجد عنـــــــده
علما . (٣)

- (١) عبيد الله بن عمر بن عتبة بن مسعود الهذلي ، ابو عبد الله المدني ،
روى عن ابيه وارسل عن عم ابيه عبد الله بن مسعود وجماعة ، قال الواقدي
عنه : كان عالما بثقه فقيها كثير الحديث والعلم ، شاعرا وقال العجلي
" كان أحد فقهاء المدينة تابعي ثقة رجل صالح جامع للعلم وهو معلم
عمر بن عبد العزيز . وقال ابن حبان : كان من سادات التابعيين
مات سنة ٩٨ هـ ، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني : ٢٣/٦ ،
ط / اولى ، ١٣٢٥ هـ ، دار صادر بيروت .
- (٢) التأويل عند المتقدمين من العلماء : تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره
او خالفه فيكون التأويل والتفسير عند السلف متقاربا او مترادفا . وفي عرق المتأخرين :
صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح . لدليل يقترن به .
انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ح ١٣ ص ٢٨٨ .
- (٣) اسد الغابة : ح ٣ ص ٢٩٢ .

وقال عبد الله بن مسعود : " لو ادرك ابن عباس أسناننا ما عاشره
منا احد " . (١)

ايضا ما يدل على مدى مبلغ علم ابن عباس مارواه الامام البخارى فسي
صحيحه (٢) عن عكرمة " أن طيبا رضي الله عنه حرق قوما ، فبلغ ابن عباس
فقال : لو كنت انا لم احرقهم ، لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تعذبوا
بعذاب الله ، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، من يدل دينه
فاقتلوه " .

فبلغ ذلك طيبا ، فقال : ويح (٣) ابن ام الفضل ، انه لغواص على
الهنات " (٤)

وهذا يدل على ان ابن عباس كان على درجة عالية وعظيمة من قوة الاجتهاد
والعلم بمعاني كتاب الله ، فلا عجب ان انتهت اليه الرياسة في الفتوى والتفسير
ولعل هذا الامر هو الذي جعل ابن مسعود رضي الله عنه يقول :
" نعم ترجمت القرآن ابن عباس " . (٥)

-
- (١) سير اعلام النبلاء : ج ٣ ص ٣٤٧ .
(٢) صحيح البخارى ، كتاب الجهاد : باب لا يعذب بعذاب الله ،
ج ٤ ص ٧٥ .
(٣) ويح : كلمة ترحم وتوجع ، وقيل هي بمعنى ويل . المعجم الوسيط :
ج ٢ ص ١٠٦١ ، ط / الثانية .
(٤) الهنات : جمع هنه ، وهي الشدائد والامور العظام . النهاية فسي
غريب الحديث والاثار : ج ٥ ص ٢٧٩ ، ط / الحلبي .
وهي ايضا : الشيء اليسير ، ترتيب القاموس المحيط : ج ٤ ص ٥٤١
ط / دار الكتب العلمية .
(٥) سير اعلام النبلاء : ج ٣ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

وحل البنا تفسير ابن عباس عن طريق التفاسير التي دونها تلاميذه في دروسه عنه ، وهو في تفسير الطبري بهذه الرواية : حدثني المشي بن ابراهيم الاطلي قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ، ويظهر أن الطبري اخذ النصف الاول تقريبا بهذه الرواية ، اما النصف الثاني فقد أخذه برواية شيخ آخر هو علي بن داود التميمي . (١)

ومراجعة النصوص في تفسير الطبري وغيره من كتب التفاسير بالمأثور نستطيع ان نقول ان ابن عباس في تفسيره للنص القرآني تميز بالآتي :

أولا - رجوعه الى الشعر :

الرجوع في فهم معاني الألفاظ القرآنية الى كلام العرب وخاصة في شعرهم القديم ، استخدم ابن عباس هذه الأداة ببراعة يساعده في ذلك زكاء مفرط وحافظة قوية ، فنجد بصوغ التفسير في قالب ادبي ويفسر قوله تعالى :

* أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ * (٢)

قال : " الرفث : الجماع ولكن الله كريم يكنى " (٣)

ويقول في الآية : * الشَّيْطَانُ يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا * (٤) .

(١) تاريخ التراث العربي : ج ١ ص ٤٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٨٧ " .

(٣) تفسير الطبري ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج ٣ ص ٤٨٧ ، ط / ثانية ، دار المعارف .

(٤) سورة البقرة : الآية " ٢٦٨ " .

• اثنان من الله ، واثنان من الشيطان ، (الشيطانُ يَعدُّكُمْ
الفقرَ) ويقول لا تنفق مالك واسك عليك ، فانك تحتاج اليه ، (وبأمرِكُمْ
بالفحشاءِ) ، (واللهُ يَعدُّكُمْ مغفرةً مِنْهُ) على هذه المعاصي (وفضلاً)
في الرزق • (١)

هذه الناحية الادبية من تفسير ابن عباس كانت تستولي على مشاعر
الناس والبايهم فنجد التابعي الجليل سعيد بن جبير يقول :

• كنت اسمع الحديث عن ابن عباس فلو يأذن لي لقبلت رأسه • (٢)

وكان ابن عباس يلجأ الى الشعر بحثاً عن معنى اللفظ القرآني يقول
ابن عباس : • اذا سألتوني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر
ديوان العرب • (٣)

ونجد سعيد بن جبير ويوسف بن مهران (٤) يقولان :

• سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء بالقرآن فيقول فيه هكذا وهكذا ،

اما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا • .

(١) تفسير الطبري : ج ٥ ص ٥٧١ .

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر : ج ٢ ص ٨١٢ ، ط / اولي

١٣٩٧ هـ .

(٣) تفسير القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، ج ١ ص ٢٤ ، ط / دار

الكتاب العربي / القاهرة ١٣٨٧ هـ .

(٤) يوسف بن مهران البصري ، قال ابو زرعة عنه : " ثقة " وقال ابن سعد :

ثقة قليل الحديث ، روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهم .

تهذيب التهذيب : ج ١١ ص ٤٢٤ .

وهن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن قول الله عز وجل :

* وَشِيَابِكَ فَطَهِّرْ * (١)

قال : * لا تلبس شياك على غدر * .

وتمثل بقول غيلان الثقفي :

فانسي بحمد الله لا ثوب غادر

ليست ولا من سوءه اتقنع (٢)

وهن عطاء قال : سمعت ابن عباس اذا سئل عن عربة القرآن انشد الشعر

فقبل له ما زنم (٣) ؟ فقال :

زنم تداعاه الرجال زبادة

كما زيد في عرض الاديم الاكراع (٤)

ولعل أوسع ما روى في هذا الباب عن ابن عباس مسائل نافع بن الازرق

الذى اراد ابن عباس ليفسر له آيات من كتاب الله ويأتيه بمصادقة من كلام

العرب اوردها الامام السيوطي في الاتقان . (٥)

(١) سورة المدثر : الآية " ٤ " .

(٢) تفسير القرطبي : ج ١ ص ٢٤ .

(٣) في قوله تعالى في سورة القلم : الآية " ١٣ " * عَتَلْ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ * .

(٤) مقدمتان في علوم القرآن - المقدمة الاولى - الفصل الثامن : ص ١٩٨ ،

ط / ثانية ، ١٣٩٢ هـ .

(٥) ج ١ ص ١٥٧ الى ١٧٥ ، واوردها ايضا الاستاذ محمد فواد

عبد الباقي في كتابه معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري

ص ٢٣٤ الى ٢٩١ ، ط / ثانية ، دار المعرفة - بيروت .

ولقد كانت ثقافة ابن عباس الادبية هذه اكبر معوان له على المعالجات اللغوية التي عالج بها لغة القرآن فهو يفتن للمعنى المقصود من اللفظة المتضادة مثل لفظ بلاء في الآية :

* وفي ذلكم بلاءٌ من ربكم عظيمٌ * (١) .

عن علي بن ابي طلحة (٢) عن ابن عباس في قوله تعالى :

* بلاءٌ من ربكم عظيمٌ * قال : " نعمه " (٣)

وهو بهذه الثقافة اللغوية استطاع ان يعرض لمعظم اللفظ الغريب

في القرآن بالتفسير .

يقول الامام السيوطي عن ابن عباس :

" ورد عنه ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالاسانيد الثابتة الصحيحة " (٤)

ولكننا نجد ان ابن عباس يصرح بقوله :

" كنت لا ادري ما فاطر السموات حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بشر

فقال احدهما : انا فطرتها ، يقول : انا ابتدأتها " .

(١) سورة البقرة : الآية " ٤٩ " .

(٢) علي بن ابي طلحة ، واسمه سالم بن المخارق الهاشمي يكنى بابي الحسن ،

واصله من الجزيرة وانتقل الى حمص ، روى عن ابن عباس ولم يسمع منه

بينهما مجاهد ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال النسائي ليس به

بأس . مات سنة ١٤٣ هـ ، انظر تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٣٣٩

(٣) تفسير الطبري : ج ٢ ص ٢٨ .

(٤) الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، ج ١ ص ١٥٠ ، ط / رابعة

١٣٩٨ هـ ، مصطفى البابي الحلبي .

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله :

* وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا * (١)

فقال : " سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئاً " (٢)

وأخرج الفريابي عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال : " كل القرآن أظلمه

الا أربعا : (فسلمين) (٣) و (حنانا) (٤) و (أواه) (٥) و (الرقيم) (٦)

وابن عباس وان لم يستوعب تفسير غريب القرآن فقد أتى على جملة

صالحة منه وقد ذكر صاحب الاتقان ماورد عنه من طريق ابن ابي طلحة خاصة لأنها

من اصح الطرق عنه " (٧)

- (١) سورة مريم : الآية " ١٣ " .
- (٢) الاتقان في علوم القرآن : ج ١ ص ١٥٠ .
- (٣) في قوله تعالى في سورة الحاقة : الآيتان " ٣٦ ، ٣٥ " ، * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * .
- (٤) في قوله تعالى في سورة مريم : الآية " ١٣ " : * وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * .
- (٥) في قوله تعالى في سورة التوبة : الآية " ١١٤ " : * إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ * .
- (٦) في قوله تعالى في سورة الكهف : الآية " ٩ " : * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * .
- (٧) الاتقان : ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٧ ، ايضا وضع الاستاذ محمد فوادم عبد الباقي كتابها بعنوان معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى وفيه ماورد عن ابن عباس من طريق ابن ابي طلحة خاصة ، ط / دار المعرفة . كما انه يوجد مخطوط " في غريب القرآن " يتناول تفسيرات عبد الله بن عباس قام بتهذيبها تلميذه عطاء بن ابي رباح ويوجد هذا المخطوط في مكتبة عاطف افندى : ٨ / ٢٨١٥ من ١٠٢ أ - ١٠٧ أ ، في القرن الثامن الهجرى " افاد هذا فوادم سزكين في كتابه تاريخ التراث العربي : ج ١ ص ٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧

سلك ابن عباس في رجوعه في فهم معاني الالفاظ القرآنية الى الشعر العربي سلك طريق غيره من الصحابة فيها هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في قوله تعالى : * **أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ** * (١)

سأل عن التخوف وهو على المنبر فقال له رجل من هذيل : " التخوف عندنا التنقص " ثم انشده :

تخوف الرجل منها تامكا قردا

كما تخوف عود النبعة السفن (٢)

فقال عمر :

" تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فان فيه تفسير كتابكم " (٣)

قال ابو بكر الانباري :

" قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر ، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك ، وقالوا : اذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر اصلا للقرآن ، وقالوا : وكيف يجوز ان يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث ، قال : وليس الامر كما زعموه من انا جعلنا الشعر اصلا للقرآن بل اردنا تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر (٤) لان الله تعالى قال : * **إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا** * (٥) ، وقال : * **بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ** * (٦)

(١) سورة النحل : الآية " ٤٧ " .

(٢) التامك : السنام ، لسان العرب : ج ١ ص ٣٣١ ، القرد : ماتعظ من

الوبر والصوف وتلبد ، ج ٣ ص ٥٠ . النبع : شجر من اشجار الجبال

تتخذ منه القس : ج ٣ ص ٥٦٩ ، السفن : حجر ينحت به ويلين

ج ٢ ص ١٥٩ . ط / مصورة عن طبعة بولاق .

(٣) الموافقات في اصول الشريعة : ج ٢ ص ٨٨ ، ط / ثانية ١٣٩٥ هـ .

(٤) الاتقان في علوم القرآن : ج ١ ص ١٥٧ .

(٥) سورة الزخرف : الآية " ٣ " (٦) سورة الشعراء : الآية " ١٩٥ "

ثانيا : -

استيضاح اهل الكتاب الذين كانوا قد دخلوا الاسلام في بعض مالم توضحه السنة امثال كعب الاحبار ووهب بن منبه وابي الجلد ، وذلك ضمن حدود معينة ، فكان يستعين بهم في تفسير القصص القرآني ، والأخبار الماضية ولم يكن سواهم لهم عن شي من العقائد او ما يتصل بالاحكام ، والصحابة عموما بما فهم ابن عباس لم يكونوا يقبلون كل ما يروى لهم من اهل الكتاب فلا يحكمون عليه بصدق او يكذب مادام يحتمل كلا الامرين .

" فالاحاديث الاسرائيلية التي تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد على

ثلاثة أقسام :

- أحدها : ما علمنا صحته ما بأيدينا ما يشهد له بالصدق فذلك صحيح .
الثاني : ما علمنا كذبه بما عندنا ما يخالفه .
الثالث : مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجاوز حكايته ، وغالب ذلك ما لا فائدة فيه تعود على امر ديني " (١)

روى البخارى في صحيحه بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :
" كان اهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ،
و " قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا " (٢)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : ج ١٣ ص ٣٦٦ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا . . * سورة البقرة : الآية " ١٣٦ " ج ٦ ص ٢٥ .

وقوله : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " : أى اذا كان ما يخبرونكم به محتملا لثلا يكون في نفس الامر صدقا فتكذبوه أو كذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج .

ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه وعن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفائه ، كما قاله ابن حجر ونبه على ذلك الشافعي . (١)
والأمثلة على استعانة ابن عباس ببعض أهل الكتاب :

(١) ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس انه سأل كعبا عن

اصحاب الرس (٢) فقال : صاحب البئر الذى قال : " يَا قَوْمِ

اتَّبِعُوا الرُّسُلَ " (٣) فرسه قومه في بئر بالاحجار . (٤)

(٢) وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الله بن الحارث الهاشمي ان

ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى في سورة الدخان : الآية " ٢٤ "

* وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا * ،

قال : طريقا يمسا . (٥)

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر ، كتاب التفسير ،

باب قوله تعالى : * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا * ٨ / ١٧٠ ،

ط المكتبة السلفية .

(٢) في قوله تعالى في سورة الفرقان : الآية " ٣٨ " : * وَعَادًا وَثَمُودًا

وَإِصْحَابَ الرَّسِّ * .

(٣) سورة يس : الآية " ٢٠ " .

(٤) الدر المنثور ، للسيوطي : ٥ ص ٧١ / ط / دار المعرفة - بيروت .

(٥) الدر المنثور : ٦ ص ٢٩ .

(٣) واخرج ابن جرير عن ابي كثير قال : كنت عند ابي الجلد اذ جاء رسول ابن عباس بكتاب اليه ، فكتب اليه : كتبت اليّ تسألني عن البرق (١) ، فالبرق الماء (٢) .
ومع استعانة ابن عباس بأهل الكتاب في بعض القصص نجده يدعو الى عدم الرجوع اليهم .

فقد روى البخارى بسنده عن عبيد الله بن عتبة عن ابن عباس قال : " يا معشر المسلمين كيف تسالون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيكم . احدث الاخبار بالله تقرأونه لم يشب ؟ وقد حدثكم الله ان أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : * هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْشْتَرَوْا بِهِ شَيْئًا قَلِيلًا * (٣) ، افلا ينهاكم بما جاء من العلم عن مسألتهم ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم " (٤)

التوفيق بين رجوع ابن عباس الى أهل الكتاب ونهيه من الرجوع اليهم :

الواقع انه لا خلاف بين ما يقول ابن عباس وما فعل ، ذلك انه كان حين يرجع الى أهل الكتاب مستفسرا فانما يرجع رجوع العالم الذي يعير سمعه لما يقال ، ثم يعمل فكره وهقله فيما سمع ثم ينخله بعد اعنه الزيف ، فهو اذا كان

- (١) في قوله تعالى في سورة البقرة : الآية " ١٩ " : * أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ... * .
(٢) تفسير الطبرى : ح ١ ص ٣٤٣ .
(٣) سورة البقرة : الآية " ٧٩ " .
(٤) صحيح البخارى : كتاب الشهادات ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها : ح ٣ ص ٢٣٧ .

يدعو الى تجنب الرجوع الى أهل الكتاب لما يدخل بسبب ذلك من فساد على عقول العامة ، اما العلماء فان معهم من الاسباب ما يجعلهم يقفون طويلا قبل ان يصدقوا ما يلقي اليهم من قول .

ثالثا - الافادة في فهم مقصود الآيات من علمه بأسباب نزولها :

نجد ان ابن عباس يسأل ويستقصي عن سبب النزول او فيمن نزلت الآي ، فكان حريصا على أن يسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى فيهما :

* إِنَّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَفَتْ قُلُوبُكُمَا * (١)

قال ابن عباس : مكثت سنتين أريد ان أسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فما يمنعني الا مهابته فسألت فقال : هما حفصة وعائشة . (٢)

ولقد بلغ ابن عباس في ذلك الغاية حتى لنجد اسمه يدور كثيرا في اقدم المراجع مثل سيرة ابن اسحاق ، فمثلا قال ابن اسحاق : كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني : نزل في النضر بن الحارث ثمان آيات من القرآن ، قول الله عز وجل :

* إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ * (٣)

-
- (١) سورة التحريم : الآية " ٤ " .
(٢) تفسير القرطبي : ج ١ ص ٢٦ .
(٣) سورة القلم : الآية " ١٥ " ، وسورة المطففين : الآية " ١٣ " .

وكل ما ذكر فيه من الاساطير من القرآن (١)

ونرى ابن عباس حين يعرض للآي يفسرها ، يضيء المعنى ويوضحه
ببيان سبب النزول .

عن ابن عباس قال : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني
قوله تعالى : * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا * (٢) ، وقوله :
* أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَهَرَقٌ * (٣)

قال المنافقون : الله اعلى واجل من ان يضرب هذه
الأمثال ، فأنزل الله : (٤) * إِنْ لِّلَّهِ لَا يَسْتَحْيَىٰ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً
فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ
مَاذَا ارَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ *
الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * (٥)

ولقد برع ابن عباس في هذه الناحية من نواحي ادوات التفسير حتى
كان يخلص آي القرآن المدني من المكي (٦) ويحيط علما بترتيب السور القرآنية
كلها ، يقول : كانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها
ما يشاء وكان اول ما نزل من القرآن : * اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ * ، ثم ن ، ثم
يا أيها المزمل ، ثم يا أيها المدثر ، ثم تبت ، ثم اذا الشمس كورت * (٧)

- (١) السيرة النبوية ، لابن هشام : ح ١ ص ٣٢١ ، مطبعة مصطفى البابي
الحلبي : ط / ١٣٥٥ هـ .
(٢) سورة البقرة : الآية " ١٧ " .
(٣) سورة البقرة : الآية " ١٩ " .
(٤) اسباب النزول ، للواحدى : ص ١٢ ، ط / ثانية ١٣٨٧ هـ ، مصطفى البابي
الحلبي - مصر .
(٥) سورة البقرة : الأيتان : " ٢٦ ، ٢٧ " .
(٦) الاتقان : ح ١ ص ١٢ . (٧) الاتقان : ح ١ ص ١٤

ولقد تقصى ابن عباس اسباب النزول فأحسن التقصي فكان يعرف
النهارى من الليلى قال : نزلت سورة الانعام بمكة ليلا جطة واحدة ، حولها
سبعون الف ملك يجارون بالتسييح . (١)

ايضا كان يعرف السفري من الحضري .

فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ﴾ (٢)

قال نزلت في غزوة تبوك . (٣)

وأحاط خبرا بآخر مانزل من القرآن (٤) ،

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير : ح ٢ ص ١٢٢ ، ط / دار احياء

الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

(٢) سورة التوبة : الآية " ٤٢ " .

(٣) الاتقان في علوم القرآن : ح ١ ص ٢٥ .

(٤) هذا الموضوع ليس فيه احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ،

وانما هي آثار عن بعض الصحابة والتابعين ، استنتجوها مما شاهدوه

من نزول الوحي ، وملابسات الاحوال ، وقد يسمع احد هم مالا يسمعه

الآخر ، ويرى مالا يرى الآخر ، ومن ثم كثر الاختلاف بين العلماء في

آخر مانزل من القرآن ، وتعددت الاقوال وتشعبت الاراء ، ومن

ذلك قولهم :

- ان آخر مانزل من القرآن قوله تعالى في آخر سورة البقرة : الآية :

" ٢٨١ " ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ

مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

والأدلة على ذلك :

(أ) " مارواه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : آخر مانزل من

القرآن : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ ﴾ . . . *
==

اخرج البخارى في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : آخر آية
نزلت آية الربا . * (١)

== ب - واخرج ابن ابي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال : آخر ما نزل
من القرآن كله * **وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ . . *** وعاش
النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ، ثم مات
ليلة الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول * الاتقان :
ح ١ ص ٣٥ .

وهذا القول هو اختيار العلماء وعلى رأسهم الامام السيوطي ، وهو الراجح
من الآراء وذلك لما يأتي :

أ - ما ظفر به هذا القول من تحديد الوقت بين نزولها وبين وفاة النبي
صلى الله عليه وسلم ، ولم يظفر قول غيره بمثل هذا التحديد .
ب - ما تشير اليه هذه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر ،
والرجوع الى الله عز وجل ، ليعرف كل جزاء عطفه وهو أنسب
بالختم .

اما عن قول ابن عباس - بأن آخر ما نزل قول الله تعالى في سورة
البقرة : الآية ٢٧٨ * **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**
وَذُرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فيمكن ان يقال بانها آخر
آية نزلت في شأن الربا ، او بان المراد انها من اواخر الآيات نزولا .
راجع : مناهل العرفان في علوم القرآن : ح ١ ص ٨٩ وما بعدها .
صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة البقرة : ح ٦ ص ٤٠ . (١)

ويتصل بمعرفة سبب النزول معرفة الناسخ والمنسوخ ، وذلك أن المنسوخ يتقدم على الناسخ نزولا . . وقد استعان ابن عباس بهذه الادارة حين يفسر .

اخرج ابو عبيد وغيره عن ابن عباس قال :

أول ما نسخ من القرآن قبله (١)

عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان اكثر اهلها اليهود امره الله عز وجل ان يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم عليه السلام ، وكان يدعو وينظر الى السماء ، فأنزل الله :

* قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ * (٢)

فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : * مَاؤَلَّا هُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا

عَلَيْهَا * - سورة البقرة : الآية " ١٤٢ " - فأنزل الله : (٣)

* قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ * (٤)

رابعا - الافادة من المنهج النقلي :

فقد عاصر منذ صباه الباكر النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه مما اكسبه معرفة لم تتح لنظرائه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الذهبي : " صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين شهرا ، وحدث عنه ، بحجة سالحة " (٥)

-
- (١) الاتقان : ج ٢ ص ٣٢٠ .
 - (٢) سورة البقرة : الآية " ١٤٤ " .
 - (٣) اسباب النزول ، للواحدى : ص ٢١٠ .
 - (٤) سورة البقرة : الآية " ١٤٢ " .
 - (٥) سير اعلام النبلاء : ج ٣ ص ٣٣٢ .

ومثال ذلك ما رواه البخارى بسنده عن نافع بن جبير (١) عن

ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ (٢)

قال : قال الله : " كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم

يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم اني لا اقدر ان اعينه كما كان ، واما شتمه

إياي فقله لي ولد ، فسبحاني ان اتخذ صاحبة أو ولدا " (٣)

اضف الى ذلك ما تلقاه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهذا كثير فقد كان يتردد على اولي العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، يستقي من معين علمهم فلا غرو انه كان يتلقى عنهم الكثير من معاني

كتاب الله عز وجل واشهر من تلقى عنه في التفسير من الصحابة علي بن أبي طالب

قال ابن عباس : " ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب " (٤)

(١) نافع بن جبير بن مطعم بن عدى ، ابو محمد ويقال ابو عبد الله المدني ،

وثقه كثير من العلماء ، قال العجلي : مدني تابعي ثقة ، وقال ابو زرعة :

ثقة ، وقال ابن فراس : ثقة مشهور احد الائمة ، وذكره ابن حبان

في الثقات وقال : من خيار الناس ، كان يحج ماشيا وناقته تقاد ،

انظر تهذيب التهذيب : ج ١٠ ص ٤٠٤ ، مات سنة تسع وتسعين

وقيل سنة سبع عشرة ومائة ، تذكرة الحفاظ ، للذهبي : ج ١ ص ٩٩ ،

دار احياء التراث العربي .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١١٦ " وتكلمة الآية ﴿ بَلْ لَمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهٗ قَانِتُونَ ﴾

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا

سُبْحَانَهُ ﴾ ج ٦ ص ٢٤ .

(٤) مناهل العرفان : ج ١ ص ٤٨٦ ط / دار احياء التراث العربي ،

بيروت .

وقال معمر (١) عامة علم ابن عباس من ثلاثة عن عمر وعلي
وابي بن كعب . (٢)
ومما يؤيد ما قاله معمر ما رواه البخارى بسنده عن ابن عباس قال
عمر رضي الله عنه يوما لا صحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيمّ ترون
نزلت هذه الآية :

* أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ * (٣)

قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أولا نعلم فقال
ابن عباس : في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين ، قال عمر : يا ابن اخي قل
ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلا لعلم ، قال عمر : اى عمل ،
قال ابن عباس : لعلم ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم
بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله . (٤)

-
- (١) معمر بن راشد الازدى الحداني مولا هم ، ابو عروة ، سكن اليمن ، قال
الميموني عن احمد عنه : ما انضم احد الى معمر الا وجدت معمرا
يتقدمه في الطلب - اى في طلب العلم - ، مات في رمضان سنة اثنين
او ثلاث وخمسين ومائة ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، تهذيب
التهذيب : ح ١٠ ص ٢٤٣ .
- (٢) البداية والنهاية لابن كثير ، ح ٨ ص ٢٩٨ ، ط / ثانية ١٩٧٧ م ،
مكتبة المعارف / بيروت .
- (٣) سورة البقرة : الآية " ٢٦٦ " .
- (٤) صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب قوله * أَيُّدُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ الى قوله تتفكرون * ح ٦ ص ٣٩ .

وروى محمد بن سعد عن ابي سلمة ، قال : سمعت ابن عباس يقول :
كنت النزم الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين
والانصار فاسألهم عن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل في القرآن
من ذلك وكنت لا آتي احدا منهم الا سرباتياني اليه لقربي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، فجعلت اسأل ابي بن كعب يوما ، وكان من الراسخين في
العلم عما نزل من القرآن بالمدينة فقال : نزل بها تسع وعشرون سورة وسائرهما
مكي (١) .

ثم ان ابن عباس كان يفسر القرآن بالقرآن ، ففي قوله تعالى :

* اَمْتًا اُتْتِنَا وَاُحْيَيْتَنَا اُتْتِنَا * (٢)

قال : كنتم ترابا قبل ان يخلقكم فهذه ميتة ، ثم احياكم فخلقكم
فهذه احياة ، ثم يميتكم فترجعون الى القبور ، فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم
يوم القيامة ، فهذه احياة ، فهما ميتتان وحياتان ، فهو كقوله تعالى : (٣)
* كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ اَمْوَاتًا فَاَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * (٤)

خامسا - التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضى من قوة الشرع :

كان ابن عباس يستشف ما وراء النص من معنى بتعمقه في فهم النص

القرآني ولهذه الخاصية قال عنه على بن ابي طالب رضي الله عنه :

• كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق • (٥)

(١) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٨ ص ٢٩٨ .

(٢) سورة المؤمن : الآية " ١١ " .

(٣) في سورة البقرة : الآية " ٢٨ " .

(٤) تفسير الطبرى : ج ١ ص ٤١٩ .

(٥) الاصابة في معرفة الصحابة : ج ٢ ص ٨٠٩ .

وهذا النوع من التفسير هو الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم
لابن عباس حين قال : " اللهم فقهه في الدين " (١) وفي رواية اخرى :
" اللهم علمه الكتاب " (٢)

وهذا هو الذى عناء علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه - بقوله :
" اوفهما يومئذ الرجل في القرآن " (٣)
والامثلة على ذلك :

(١) عن قتادة وعاصم انهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر
ابن الخطاب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر
فأجمعوا أنها في العشر الاواخر ، قال ابن عباس : فقلت لعمر انسي
لأعلم أو اني لأظن اى ليلة القدر هي ، فقال عمر : وأى ليلة هي ؟
فقلت : سابعة تضي او سابعة تبقى من العشر الاواخر ، فقال عمر :
من اين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس : فقلت : " خلق الله سبع
سموات وسبع ارضين وسبعة ايام وان الشهر يدور على سبع ، وخلق
الانسان من سبع ويأكل من سبع (٤) ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت
سبع ورمي الحجار سبع ، لاشياء ذكرها ، فقال عمر : لقد فطنت
لامر ما فطنا له . " (٥)

(١) صحيح البخارى كتاب الوضوء : باب وضع الماء عند الخلا : ح ١ ص ٤٨

(٢) صحيح البخارى كتاب العلم : باب قول النبي اللهم علمه الكتاب ٢٩/١

(٣) ونص الأثر كما في البخارى عن ابي جحيفة رضي الله عنه قال : " قلت

لعلي رضي الله عنه - هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله ؟

قال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما أعلمه الا فهما يعطيه الله

رجلا في القرآن ، وما في هذه الصحيفة . قلت : وما في الصحيفة ؟ قال :

العقل وفكاك الاسير ، وان لا يقتل مسلم بكافر " صحيح البخارى ، كتاب

الجهاد باب فكاك الاسير : ح ٤ ص ٨٤

(٤) قوله : " خلق الانسان من سبع ، ويأكل من سبع " هكذا .

(٥) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ٥٣٣ ، وفتح البارى : كتاب فضل ليلة القدر ،

باب تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر : ح ٤ ص ٢٦٢ .

وقال ابن كثير تعليقا على هذا الأثر : وهذا اسناد جيد قوى ومتن غريب جدا .

٢ - وعن سعيد بن جبهر عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكان بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أنبأ مثله ؟ فقال عمر : انه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رُويَتْ انه دعاني يومئذ الا ليربهم ، قال : ماتقولون في قول الله عز وجل :

* إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * (١)

فقال بعضهم : أُمِرْنَا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً ، فقال لي : اكدلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له ، قال : * إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وذلك علامة اجلك * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً * (٢) ، فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها الا ماتقول . (٣)

(١) سورة النصر : الآية ١ .

(٢) سورة النصر : الآية ٣ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب قوله :

* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً * ،

ص ٦٠ ٢٢٠ .

راجع في - منهج ابن عباس في التفسير - كتاب مناهج في التفسير

للدكتور / مصطفى الجويني ، الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية

ص ٢٣ الى ٤١ .

طرق الرواية عن ابن عباس :

وردت أسانيد عن ابن عباس كثيرة لا تحصى ، نجدها منتشرة في كتب التفسير ، وقد تتبع علماء الجرح والتعديل هذه الطرق بالنقد تجريحاً وتعديلاً ، فمازوا الجيد من الردي ، ومن جيد هذه الطرق :

أولاً - طريق علي بن ابي طلحة الهاشمي عنه :

قال احمد بن حنبل : " بمصر صحيفة في التفسير رواها علي بن ابي طلحة لورحل رجل فيها الى مصر قاصدا ما كان كثيرا ، وهذه النسخة اعتمد عليها البخاري في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس .

وقال قوم : لم يسمع ابن ابي طلحة من ابن عباس وانما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير !

قال ابن حجر : بعد ان عرفت الوساطة وهو ثقة فلا ضير .

ثانياً - طريق قيس بن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه : وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيرا ما يخرج منها الفريابي والحاكم في مستدركه .

ثالثاً - طريق ابن اسحاق عن محمد بن ابي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة او سعيد بن جبير (هكذا بالترديد) .

وهي طريق جيدة واسنادها حسن ، وقد اخرج منها ابن جرير وابن ابي حاتم كثيرا وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء .

كما توجد طرق أخرى اختلفت اقوال علماء الجرح والتعديل فسي

رجال اسانيدھا ، منها :

أولا -

طريق العوفي (١) عن ابن عباس ، اخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم

كثيرا ، والعوفي ضعيف ليس بهواه ، وربما حسن له الترمذی .

ثانيا - طريق الضحاک بن مزاحم (٢) عن ابن عباس :

فان الضحاک لم يلقه ، فان انضم الي ذلك رواية بشر بن عماره عن

أبي روق عنه فضعيفه لضعف بشر ، وقد اخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير

وابن أبي حاتم وان كان من رواية جويهر عن الضحاک فأشد ضعفا ؛ لان جويهر

شديد الضعف متروك ، ولم يخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من هذا الطريق

شيئا ، وانما خرجها ابن مردويه وابو الشيخ ابن حبان

(١) عطية بن سعيد العوفي الكوفي : تابعي شهير ضعيف ، قال

ابو حاتم : يكتب حديثه ، ضعيف ، وقال سالم المرادي : كان عطية

بتشيع ، وقال ابن معين : صالح ، وقال احمد : ضعيف الحديث ،

وقال ايضا : بلغني ان عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ منه التفسير .

ميزان الاعتدال : ٣ ص ٧٩ ، ط/ اولی ، دار المعرفة - بيروت

١٣٨٢ هـ .

(٢) الضحاک بن مزاحم البلخي المفسر ، قال يحيى القطان : كان شعبية

ينكر ان يكون الضحاک لقي ابن عباس وقال يحيى بن سعيد : الضحاک

ضعيف عندنا ، ووثقه احمد وابن معين وابوزرعة . ميزان الاعتدال :

٢ ص ٣٢٥ .

ثالثا -

طريق مقاتل بن سليمان (١) ، فمقاتل في نفسه ضعفوه ، وقد ادرك الكبار من التابعين والشافعي اثار الى ان تفسيره صالح ، وقال عنه السيوطي ان الكلبى يفضل على مقاتل لما في مقاتل من المذاهب الرديه .

رابعا - طريق اسماعيل بن عبد الرحمن (١) السدى الكبير :

يورده بأسانيد الى ابن مسعود وابن عباس ، وروى عن السدى الاثمة مثل الثورى وشعبة ، لكن التفسير الذى جمعه رواه اسباط بن نصر واسباط لم يتفقوا عليه .

(١) مقاتل بن سليمان البليقي المفسر ، ابو الحسن ، قال ابن المبارك عنه : ما احسن تفسيره لو كان ثقة ، وعن مقاتل بن حبان - وهو صدوق - قال : ما وجدت علم مقاتل بن سليمان الا كالبحر . وقال الشافعي : الناس عيال في التفسير على مقاتل ، وقال وكيع : كان كذابا ، وقال النسائي : كان مقاتل يكذب .

ميزان الاعتدال : ح ٤ ص ١٧٣ .

(٢) اسماعيل بن عبد الرحمن - السدى الكبير - اختلف في توثيقه ، قال يحيى القطان عنه : لا بأس به ، وقال احمد : ثقة ، وقال ابن معين : في حديثه ضعف ، وقال ابو حاتم : لا يحتج به ، وقال ابن عدى : هو عندى صدوق . وقال الفلاس عن ابن مهدى : ضعيف ورمي بالتشيع .

ميزان الاعتدال : ح ١ ص ٢٣١ .

غير ان امثل التفاسير تفسير السدى ، وابن جرير يورد منه كثيرا
من طريق السدى عن ابي مالك عن ابي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن
مسعود وناس من الصحابة هكذا .

ولم يخرج منه ابن ابي حاتم شيئا لانه التزم ان يخرج اصح ماورد ،
والحاكم يخرج منه في المستدرک اشياء ويصححه ، لكن من طريق مرة عن
ابن مسعود وناس فقط دون الطريق الاول ، وقد قال ابن كثير : ان هذا
الاسناد يروى به السدى اشياء فيها غرابة .

خامسا - طريق ابن جريج (١)

وقد روى عنه جماعة ، منهم بكر بن سهل الدمياطي عن عبد الغني بن
سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج عن ابن عباس وهي اطول الروايات
وفيهما نظر .

ورواية محمد بن ثور عن ابن جريج نحو ثلاثة اجزاء كبار ، ورواية الحجاج
ابن محمد عن ابن جريج نحو جزء وذلك صحيح متفق عليه .

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، ابو خالد المكي ، احد الاعلام
الثقات ، يدلس - ميزان الاعتدال : ح ٢ ص ٦٥٩ ، وقال السيوطي :
سمعت ابا عبد الله غير مرة يقول : كان ابن جريج من اوعية العلم ،
وقال ابن ابي مريم عن ابن معين ثقة في كل ما روى عنه من الكتاب ،
وقال جعفر بن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد كان ابن جريج
صدوقا ، فاذا قال حدثني فهو سماع ، واذا قال أخبرني فهو قراءة ،
واذا قال : قال فهو شبه الريح . مات سنة تسع واربعمائة ومائة
تهذيب التهذيب : ح ٦ ص ٤٠٢ وما بعدها .

سادسا -

واوهى طريقه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ، فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهي سلسلة الكذب ، وكثيرا ما يخرج منها الثعلبي والواحدى . (١)

تفسير ابن عباس المنسوب اليه :

يوجد كتاب باسم " تنوير المقياس من تفسير ابن عباس " منسوب الى عبد الله بن عباس ، وهو كتاب مطبوع متداول بين طلبة العلم ، جمعه ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشافعي - صاحب القاموس المحيط - . وهذا التفسير تدور روايته حول محمد بن مروان - السدى الصغير - (٢)

(١) تراجع في هذا الموضوع - طرق الرواية عن ابن عباس - الاتقان في

علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) محمد بن مروان السدى الكوفي ، وهو السدى الصغير ، قال الذهبي في

ميزان الاعتدال : تركوه ، واتهمه بعضهم بالكذب ، وهو صاحب

الكلبي ، قال البخارى : سكتوا عنه ، وهو مولى الخطابي ، لا يكتسب

حديثه البتة .

وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال احمد : ادركته وقد كبر فتركته .

ج ٤ ص ٣٢ .

عن محمد بن السائب الكلبي (١) عن ابي صالح عن ابن عباس .
وقد مر قريبا - في طرق الرواية عن ابن عباس - ان اوهى طرق
الرواية عنه ، طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ، وان انضم الى ذلك
رواية محمد بن مروان فهي سلسلة الكذب .
ولنضف الى هذا قول الشافعي : انه لم يثبت عن ابن عباس —
التفسير الا شبهه بمائة حديث . (٢)
يقول الدكتور الذهبي تعليقا على قول الشافعي المتقدم : وهذا
الخبر ان صح عن الشافعي يدل على مقدار ما كان عليه الوضعون من الجرأة
على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوب الى ابن عباس ، وليس ادل على
ذلك من انك تلمس التناقض^(٣) ظاهرا بين اقوال في التفسير نسبت الى ابن عباس
ورويت عنه . (٤)

-
- (١) محمد بن السائب الكلبي ، ابو النضر ، الكوفي المفسر ، قال سفيان :
قال الكلبي : قال لي ابو صالح : انظر كل شيء رويت عني عن
ابن عباس فلا تروه ، وقال الثوري ايضا : اتقوا الكلبي ، فقييل :
فانك تروى عنه . قال : انا اعرف صدقه من كذبه ، وقال البخاري :
ابو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدي . ثم قال البخاري : قال علي :
حدثنا يحيى ، عن سفيان ، قال لي الكلبي : كل ما حدثك عن
ابي صالح فهو كذب . ميزان الاعتدال : ج ٣ ص ٥٥٦ .
- (٢) الاتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٤٢ .
- (٣) راجع ص (١١) التعليق رقم (١) وفيه مثال لهذا التناقض .
- (٤) التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي : ج ١ ص ٨١ .
ط / الثانية ١٣٩٦ هـ ، دار الكتب الحديثة .

وفاته :

اختلف في تحديد تاريخ وفاة ابن عباس - رضي الله عنهما - وعمره ،
والراجح انه توفي سنة ثمان وستين وله من العمر سبعون سنة ، مات بالطائف
ودفن بها ، وصلى عليه محمد بن الحنفية (١) ، وقال : " اليوم مات ربانسي
هذه الامة " (٢)

(١) محمد بن علي بن ابي طالب بن عبد مناف ، اخو الحسن والحسين ،
وامه خولة بنت جعفر الحنفية ، من سبى اليمامة زمن ابي بكر الصديق
- رضي الله عنه - ، ولد في خلافة ابي بكر ، مات سنة احدى وثمانين
وعمره خمس وستون سنة ، سير اعلام النبلاء : ج ٤ ص ١١٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : ج ٥ ص ٢٣٦ .

عبد الله بن مسعود

ترجمته :

عبد الله بن مسعود بن قافل بن حبيب بن شمع بن مخزوم الهذلي

ابو عبد الرحمن ، صحابي ، من اكابرهم فضلا وعقلا . (١)

ترجم له الاصبهاني بقوله :

" من طبقة السابقين المهاجرين ، المعروفين بالنسك من المعمرين ،
القارىء الملقن ، والغلام المعلم ، والفقير المفهم ، صاحب السواد والسرار ،
والسباق والبدار ، اقربهم وسيلة ، وارجحهم فضيلة ، كان من الرفقاء والنجباء
والوزراء والرقباء ، عبد الله بن مسعود ، الكلف بالمعبود ، والشاهد للمشهود ،
والحافظ للمعبود ، والسائل الذى ليس بمرود " (٢)

كان اسلامه قديما اول الاسلام ، حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت

الخطاب وذلك قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بزمان .

روى الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله : لقد

رأيتني سادس ستة ، ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا " . (٣)

كان رضي الله عنه رجلا قصيرا نحيفا يكاد طوال الرجال يوازونه جلوسا وهو

قائم (٤) ، هاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وشهد له رسول الله صلى الله

عليه وسلم بالجنة " . (٥)

(١) الاعلام ، للزركلي : ج ٤ ص ٢٨٠ ، ط / الثالثة .

(٢) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، للاصبهاني : ج ١ ص ١٢٤ ط / الثانية

(٣) اسد الغاية : ج ٣ ص ٣٨٤ .

(٤) الاستيعاب : ج ٧ ص ٢٠ .

(٥) شذرات الذهب ، لابي الفلاح بن العماد الحنبلي : ج ١ ص ٣٨ ،

ط / المكتب التجارى للطباعة والنشر / بيروت .

وقد كان يلج على الرسول صلى الله عليه وسلم داره كثيرا حتى لقد ظنه
ابو موسى الاشعري رضي الله عنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)
وفي البخارى ومسلم عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال : قدمت
انا واخي من اليمن فمكثنا حينما لانرى ابن مسعود واهله الا من اهل بيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما نرى من كثرة دخوله ودخول امه على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولزومه له " (٢)
وهو اول من جهر بقراءة القرآن الكريم بحكمة (٣) .

مكانته العلمية :

كان ذا مكانة عالمية بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشهدون له
ويقدرونه على غيره ، ولما قدم علي - رضي الله عنه - الكوفة حضر عنده قوم فقالوا : مارأينا
رجلا أحسن خلقا ولا أرفق تعليما ، ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعا من ابن مسعود ،
فقال علي رضي الله عنه ، أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم ؟ قالوا : نعم ،
قال : اللهم اشهد اني اقول مثل ما قالوا وافضل " (٤)

وهناك كثير من الآثار التي تشهد بمنزلة ابن مسعود ومبلغه من العلم
اليك بعض منها :

قيل لحذيفة بن اليمان حدثنا بأقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم
هديا ودلا فناخذ عنه ونسمع منه ، قال : كان أقرب الناس هديا وستيا
برسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مسعود . حتى يتوارى منا في بيته ولقد علم
المحفوظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان ابن ام عبد هو من اقربهم الى اللملى .

(١) اسد الغابة : ج ٣ ص ٣٨٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عبد الله بن

مسعود : ج ١٦ ص ١٤٠ .

(٣) الاعلام ، للزركلي : ج ١ ص ٢٨٠ .

(٤) اسد الغابة : ج ٣ ص ٣٨٤ .

ومن أقوال عمر - رضي الله عنه - ما جاء على لسان زيد بن وهب قال : اني لجالس مع عمر ان جاءه ابن مسعود يكاد الجلوس يوازونه من قصره فضحك عمر حين رآه ، فجعل يكلم عمر ويضاحكه وهو قائم ثم ولى فاتبعه عمر ببصره حتى توارى فقال : كنيف (١) مليء علما (٢) .

وقال طقمة :

جاء رجل الى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : اني جئتك ممن عند رجل يملئ المصحف عن ظهر قلب ، ففزع عمر وغضب ، وقال : ويحك انظر ماتقول ! قال : ما جئتك الا بالحق ، قال : من هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود ، قال : ما أعلم احدا احق بذلك منه . (٣)

وسئل علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - عن ابن مسعود فقال : " علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علما " (٤)

(١) كنيف : تصغير كنف وهو وعاء طويل يكون فيه متاع التجار ، والمراد هنا انه وعاء للعلم بمنزلة الوعاء الذي يوضع فيه الرجل اداته ، وتصغيره على جهة المدح له وهو تصغير تعظيم له .

لسان العرب : مادة (كنف) : ح ٣ ص ٣٠٤ .

(٢) اسد الغابة : ح ٣ ص ٣٨٩ .

(٣) حلية الاولياء : ح ١ ص ١٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء ص ١٢٩ .

منهجه في التفسير :

يعتبر ابن مسعود من نبلاء الفقهاء والمقرئين ، كان ممن يتحرى في الأداء ، ويشدد في الرواية ويهجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ .

حفظ من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وتسمع عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وهو يدعو (١) فقال : " سل تعطه (٢) ، وقال : " من سره أن يقرأ القرآن فليقرأ على قراءة ابن ام عبد " (٣)

حظي ابن مسعود رضي الله عنه بمعية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحفظ ووعى الكثير من الحديث والفقه في الدين لانه كان من اكثر الصحابة ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم في حله وترحاله وغزواته فهو صاحب السواك والنعلين وكان له من هذه الصلة بالرسول صلى الله عليه وسلم خير معلم ، وله في كتب السنة ثمانية واربعون وثمانائة حديث (٤) فهو اذن من اصحاب المنهج النقلي وهذا بيد وواضا فسي تفاسيره الكثيرة التي يروىها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها :

١- مارواه الامام السيوطي في الدر المنثور عند قوله تعالى في سورة الرحمن :

* حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * (٥)

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الخيام
در مجوف " . (٦)

-
- (١) تذكرة الحفاظ : ح ١ ص ١٤٠ .
 - (٢) الحديث رواه البزار واسناده حسن ، مجمع الزوائد : ح ٩ ص ٢٨٨ .
 - (٣) قال الهيثمي : الحديث رواه احمد والبزار والطبراني وفيه عاصم بن ابي النجود وهو على ضعفه حسن الحديث وبقية رجال احمد رجال الصحيح ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فرات بن محبوب ، وهو ثقة . مجمع الزوائد : ح ٩ ص ٢٧٩ .
 - (٤) الاعلام للزركلي : ح ٤ ص ٢٨٠ .
 - (٥) الآية : " ٧٢ " .
 - (٦) الدر المنثور : ح ١ ص ١٥١ ، وتحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : ابواب صفة الجنة ، باب ماجاء في صفة غرف الجنة : ح ٧ ص ٢٣٤ ، وقال ابو عيسى : هذا حديث صحيح .

٢ - وعن مسروق قال : سألتنا ابن مسعود عن قول الله تبارك وتعالى :
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١)

قال : ارواح الشهداء عند الله كطير خضر ، تأوى الى قناديل معلقة
بالعرش : تسرح في الجنة حيث شاءت ، فاطلع اليها ربك اطلاقه ، فقال :
" هل تشتبهون من شيء فأزيدكم " ؟ فقالوا : ربنا اليس آتيتنا الجنة ، نسرح
فيها حيث نشاء ؟ ثم اطلع ثانية : فقال لهم مثل ذلك ، وقالوا مثل ما قالوا اول
مرة . ثم اطلع اليهم الثالثة : فسألهم : هل تشتبهون شيئاً فأزيدكم ؟ قالوا :
ترد ارواحنا الى اجسادنا ، فنقتل في سبيلك مرة أخرى " . (٢)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع منه القرآن ، وقد اخبر

ابن مسعود بنفسه عن ذلك فقال :

قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ عليّ ، قلت : اقرأ عليك وعليك
انزل ؟ قال : فاني احب ان اسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء حتى
بلغت قوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴾ (٣)

قال : امسك ، فاذا عيناه تذر فان . (٤)

(١) سورة آل عمران : الآية " ١٦٩ " .

(٢) تفسير سفيان الثوري : ص ٨١ ، ط / اولى ، دارالكتب العلمية ،
بيروت ، ١٤٠١ هـ .

(٣) الآية : " ٤١ " .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
بِشَهِيدٍ " ح ٦ ص ٥٧ .

وقد توفرت لابن مسعود رضي الله عنه كل الادوات التي يحتاجها المفسر
لكتاب الله فقد احاط طما بأسباب النزول ووقف على كثير من احوال الذين نزل فيهم
القرآن .

روى الامام احمد والطبراني وابن ابي حاتم عن ابن مسعود قال : مرّ
الملا من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب بن الارت ، وصهيب ،
وللال ، وعمار ، فقالوا : يا محمد ارضيت بهؤلاء وهؤلاء من الله عليهم من
بيننا ، لو طردت هؤلاء لاتبعناك * فأنزل الله فيهم القرآن ، من سورة الأنعام:
الآيات : " ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ "

* وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا * إِلَى قَوْلِهِ : * سَبِيلُ
الْمُجْرِمِينَ * (١)

واخرج البخاري عن ابن مسعود ، قال : ان قريشا لما استعصوا على
النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف ، فأصابهم القحط حتى
اكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة
الدخان من الجهد فأنزل الله :

* فَأَرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * (٢)

فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يا رسول الله استسق الله

لمضر فانها قد هلكت فاستسقى فسقوا فنزلت :

* إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * (٣)

(١) لباب النقول في اسباب النزول ، للسيوطي ص ١٠٠ ، ط / الثالثة ،

١٤٠٠ هـ ، دار احياء العلوم / بيروت .

وسنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء : ح ٢ ص ١٣٨٢ ،

وصحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل سعد بن

ابي وقاص : ح ١٥ ص ١٨٧ .

(٢) سورة الدخان : الآية " ١٠ " .

(٣) سورة الدخان : الآية " ١٥ " .

فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم ، فأُنزل الله عز وجل :
* يَوْمَ نَبِطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ * (١)

واخرج الامام احمد وغيره عن ابن مسعود قال : : أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة ، فقال : " اما انه ليس من اهل هذه الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم " وانزلت هذه الآيات ، من سورة آل عمران : " ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ " .
* كُنُوسًا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ . . * حتى بلغ * وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ * (٢)

كما كان ابن مسعود رضي الله عنه حريصا على تفهم كتاب الله عز وجل والوقوف على معانيه .

روى ابن جرير الطبري عن ابن مسعود قال :
" كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن " (٣)

وكان ايضا شديد الحرص على تعرف ما عند غيره من العلم بالقرآن الكريم ولولقى في سبيل ذلك المشقة والعنت .

- (١) سورة الدخان : الآية " ١٦ " .
لباب النقول في اسباب النزول : ص ١٨٩ وصحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة الدخان : ح ٦ ص ١٦٥ .
(٢) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ، ص ٥٦ ، ومسند احمد : ح ١ ص ٣٩٦ ط / دار صادر .
قال الحافظ الهيثمي : رواه احمد وابو يعلى والبزار والطبراني في الكبير ، ثم اورد هذا الحديث عن ابن مسعود بالفاظ فيها اختلاف وقال : ورجال احمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن ابي النجود وهو مختلف في الاحتجاج به ، وفي اسناد الطبراني عبيد الله بن زحر وهو ضعيف . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ح ١ ص ٣١٢ ، ط / دار الكتاب العربي .
(٣) تفسير الطبري : ح ١ ص ٨٠

روى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود قال :

" والذي لا اله غيره ما نزلت آية من كتاب الله الا وانا اعلم فيم نزلت ؟ واين

نزلت ، ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب الله مني تناله المطايا لاتيته " (١)

وقد استفاد ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير القرآن الكريم :

أولا : بعلمه بمحكم القرآن ومتشابهه لاسيما وقد كان حاضرا للعرضة الاخيرة التي

عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام .

عن الأعمش قال : قال لي عبد الله بن عباس اي القراء تين تقرأ ؟ قلت :

القراءة الاولى قراءة ابن ام عبد ، فقال : اجل هي الآخرة ان رسول الله صلى الله

عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه

رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه مرتين ، فحضر ذلك عبد الله فعلم ما نسخ من

ذلك وما بدل . (٢)

لذا نجده يقول في قوله تعالى في سورة النساء : الآية " ٩٣ " :

* وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ

وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا *

" انها لمحكمة وما تزداد الا شدة " . (٣)

(١) تفسير الطبري : ح ١ ص ٨٠ .

(٢) الاستيعاب : ح ٧ ص ٣٠ ، و حديث عرض جبريل عليه السلام القرآن

على النبي صلى الله عليه وسلم ، اخرج البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل

القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم :

ح ٦ ص ٢٢٩ .

(٣) تفسير الطبري : ح ٩ ص ٦٨ .

ثانيا - بعلمه بالحلال والحرام وكان يقول - رضي الله عنه - فسي
قول الله عزوجل :

* يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ * (١)

ان حق تلاوته : أن يحل حلاله ويحرم حرامه ، وان يقرأه كما انزله الله
عزوجل ، ولا يخرجه عن مواضعه . (٢)

فكان رضي الله عنه قمة في الفتوى تصدر عنه عن علم وادراك .

روى ابن جرير عند قوله تعالى :

* وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ * (٣)

عن عبد الله قال : " ما كان من رضاع بعد سنتين او في حولين بمــــ

القطام فلا رضاع " (٤)

وفي قوله تعالى : * وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ * (٥)

روى ابن ابي حاتم عن ابن مسعود انه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين

فكرهه فقال له يعني السائل يقول الله تعالى :

* إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ * (٦)

فقال له ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : وبمعيرك مما ملكت يمينك . (٧)

(١) سورة البقرة : الآية " ١٢١ " والآية كما يلي : * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ

الْكِتَابَ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ * .

(٢) تفسير الطبري : ح ٢ ص ٥٦٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية " ٢٣٣ " .

(٤) تفسير الطبري : ح ٥ ص ٣٦ .

(٥) سورة النساء : الآية " ٢٣ " .

(٦) سورة النساء : الآية " ٢٤ " * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ * .

(٧) تفسير ابن كثير : ح ١ ص ٤٧٢ .

وفي الطبري عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى :
* لِلَّذِينَ يُؤَلِّقُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ *
رَجِيمٌ * (١)

انه كان يقول في الايلاء (٢) : اذا مضت الاربعة الاشهر فهي تطليقة
بائنة (٣) .

ثالثا - وبعلمه بقص القرآن الكريم ، حتى نجده يحيط علما بأدق التفاصيل فسي
القصص القرآني مثل عدد بني اسرائيل عند دخولهم وخروجهم من مصر .
روى الطبري عن عبد الله بن مسعود قال : خرج اهل يوسف من مصر وهم
ستمائة الف وسبعون الفا ، فقال فرعون :
* إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * (٤)

وهن عبد الله في رواية اخرى قال : دخل بنو اسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون
انسانا وخرجوا منها وهم ستمائة الف . (٥)

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٢٦ " .

(٢) الايلاء في اللغة : الحلف يقال ألى يولى ايلاء واليه ، لسان العرب :

ح ١ ص ٨٩ .

واما الايلاء في الشرع فهو : ان يحلف الرجل ان لا يظأ زوجته اما مدة هي
اكثر من اربعة اشهر او اربعة اشهر او باطلاق . بداية المجتهد : ح ٢ ص ٩٩
ط/ السادسة ، دار المعرفة .

(٣) تفسير الطبري : ح ٤ ص ٤٧٩ .

(٤) سورة الشعراء : الآية : ٥٤ .

(٥) تفسير الطبري : ح ١٦ ص ٢٧٦ .

القراءات التفسيرية في منهج ابن مسعود :

هناك كلمات اضيفت الى النص القرآني في معرض التفسير والبيان وهي قراءات شاذة تروى في كتب التفسير ، وهي غير مستوفية للشروط التي يعتمد عليها العلماء في الحكم بتواتر القراءة .

ونلاحظ ان معظم هذه القراءات الشاذة ينتهي سندها الى عبد الله بن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهما ، وكلاهما كان مفسرا فقيها يمارس الاستنباط الفقهي .

والراجع ان هذه القراءات كانت تفسيرات اضافها الى النص الذي كان مكتوبا عندهما ، حتى يمكن فهمه ويستطاع الانتفاع بما ورد به من تشريعات واحكام فتكون عوننا على معرفة صحة التأويل .

ولم يتروى بعض العلماء في اطلاق القول بان " توجيه القراءة الشاذة اقوى في الصناعة من توجيه المشهورة " (١)

فقراءة سعد بن ابي وقاص - رضي الله عنه في قوله تعالى :

* وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا

السُّدُسُ * (٢)

بإضافة لفظة أم ، فأصبحت " وله أخ او اخت من ام " .

صرحت بنوع الاخوة في هذه القضية التشريعية المتعلقة بالميراث .

وقراءة عمر بن عبد العزيز التي تحكى عن الامام ابي حنيفة :

* انما يخشى الله من عباده العلماء * (٣)

(١) البرهان في علوم القرآن : ج ١ ص ٣٤١ .

(٢) سورة النساء : الآية " ١٢ " .

(٣) سورة فاطر : الآية " ٢٨ " .

برفع اسم الجلالة ونصب العلماء بيئت ان الغرض من تخصيص العلماء بالخشية اظهار مكانتهم ودرجتهم عند الله ، وتأويله كما يقول الزركشي :

” ان الخشية هنا بمعنى الاجلال والتعظيم لا الخوف ” (١)

ويضيف الزركشي ، فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك ، فكيف اذا روى عن كبار الصحابة ثم جاء في نفس القراءة ، فهو الآن اكثر من التفسير واقوى ، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف صحة التأويل . (٢)

ومن هنا شاع على السنة العلماء : ” اختلاف القراءات يظهر اختلاف الاحكام ” (٣)

ولنقرأ بعض الآيات القرآنية الكريمة المفسرة على هذا النحو والتي ينسبها تلاميذ ابن مسعود اليه ،

١ - قال تعالى :

* لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْآيَانَ *
فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَوْ هَلِيكُمُ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ * ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ * (٤)

(١) البرهان في علوم القرآن : ج ١ ص ٣٤١ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء : ص ٣٣٧ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن : ج ١ ص ١٠٨ .

ومباحث في علوم القرآن ، للدكتور : صبحي الصالح : ص ٢٤٧ وما بعدها
الطبعة العاشرة ، ١٩٧٧ ، دار العلم للملايين .

(٤) سورة المائدة : الآية ” ٨٩ ” .

قال ابراهيم (١) : في قراءة عبد الله بن مسعود فصيام ثلاثة ايام متتابعات * (٢)

وقال الاعمش (٣) : كان اصحاب ابن مسعود يقرءونها كذلك .

قال الحافظ ابن كثير : وهذه اذا لم يثبت كونها قرآنا متواترا فلا اقل ان يكون خبر واحد او تفسير من الصحابة وهو في حكم المرفوع . (٤)

٢ - وفي قوله تعالى في سورة المائدة ، الآية " ٣٨ " :

* وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا اَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللّٰهِ وَاللّٰهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ *

قال ابن كثير : روى الثوري ان ابن مسعود كان يقرؤها : " والسارق والسارقة فاقطعوا ايمنهما " .

ثم قال : وهذه قراءة شاذة وان كان الحكم عند جميع العلماء موافقا لها ، لا بهما ، بل هو مستفاد من دليل آخر . (٥)
أقول :

وهذه القراءة ساعدت على فهم ما يقطع في حد السرقة .

(١) ابراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، ابو عمران ، تابعي ولد سنة ٥٠ هـ ،

الاعلام للزركلي : ج ١ ص ٧٦ .

(٢) انبنى على قراءة ابن مسعود هذه خلاف فقهي ، فالاحناف والحنابلة يشترطون التتابع في صيام كفارة اليمين ، وقال الشافعي ومالك : لا يجب التتابع .

(٣) سليمان بن مهران ، ابو محمد الاسدي الكاهلي ، تابعي ، اصله من نواحي الري ولد سنة احدى وستين ومات سنة ثمان واربعين ومائة وله من العمر سبع وثمانون سنة ، سير اعلام النبلاء : ج ٦ ص ٢٢٦ .

(٤) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٩١ .

(٥) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٥٤ .

- ٣

وفي قول الله عز وجل في سورة النور : الآية " ٣٣ " :
* وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَا تَحْصُنَا لِنَبْتَلُوهُمْ عَرَضَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

قال سعيد بن جبیر : في قراءة عبد الله بن مسعود : * فَإِنَّ اللَّهَ
مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لهن واثمن على من اكرههن . (١)

(١) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ٢٨٩ .

طرق الرواية عن ابن مسعود :

يعد ابن مسعود رضي الله عنه من اكثر الصحابة تفسيرا لكتاب الله عز وجل
بعد ابن عباس رضي الله عنهما ، ففي الاتقان . . . واما ابن مسعود فقد روى
عنه اكثر مما روى عن علي بن ابي طالب (١) .

وكان له تلاميذ كثيرون في الكوفة يروون عنه وسبب ذلك ان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سيره الى الكوفة معلما ووزيرا وقال لأهلها : اني قد بعثت عمار بن ياسر اميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي . (٢)

وبناء عليه كان اهل الكوفة يجلسون اليه ، ويأخذون عنه ويروون له ، واشتهر من تلامذته : علقمة بن قيس ، مسروق بن الاعدع ، الاسود بن يزيد ، ومرة الهمداني وغيرهم كثير ممن رووا عنه ، ونجد اسانيد روايتهم عنه في كتب التفسير بالمأثور والحديث ومن اشهر طرق الرواية عن ابن مسعود :

أولا : طريق الاعمش عن ابي الضحى (٣) عن مسروق عن ابن مسعود ، وهذه الطريق من اصح الطرق وأسلمها .

ثانيا : طريق مجاهد عن معمر عن عبد الله بن مسعود .
وهذه الطريق صحيحة ، وقد اعتمد عليها البخاري في صحيحه .

(١) الاتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) اسد الغابة : ج ٣ ص ٣٨٤ .

(٣) ابوالضحى : مسلم بن صبيح القرشي الكوفي ، مولى آل سعيد بن العاص ، كان من ائمة الفقه والتفسير ، ثقة حجة مات نحو سنة مائة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، سير اعلام النبلاء : ج ٥ ص ٧١ .

ثالثا : طريق الاعمش عن ابي وائل عن ابن مسعود .

وهذه ايضا طريق صحيحة يخرج البخارى منها .

رابعا : طريق السدى الكبير ، عن مرة الهمداني عن ابن مسعود .

وهذه الطريق يخرج منها الحاكم في مستدركه ويصح ما يخرج منه ،

ويخرج منها ابن جرير الطبرى في تفسيره كثيرا .

خامسا : طريق ابي روق (١) عن الضحاك ، عن ابن مسعود :

ويخرج منها ابن جرير في تفسيره ، وهذه الطريق غير مرضية لان الضحاك

لم يلق ابن مسعود فهي طريق منقطعة .

سادسا : طريق الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن الأسود عن ابن مسعود (٢)

وفاته :

توفي ابن مسعود بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع ليلا تنفيذا

لوصيته ، وكان عمره يوم توفي بضعا وستين سنة . ولما مات ابن مسعود نعى النبي

ابي الدرداء فقال : ماتك بعده مثله . (٣)

(١) ابوروق : واسمه عطية بن الحارث الهمداني الكوفي ، قال احمد والنسائي عنه :

ليس به بأس . وقال ابن معين : صالح ، وقال ابو حاتم : صدوق ، وذكره

ابن حبان في الثقات ، تهذيب التهذيب : ح ٧ ص ٢٢٤ .

(٢) التفسير والمفسرون : ح ١ ص ٨٧ .

(٣) اسد الغابة : ح ٣ ص ٣٨٤ .

علي بن ابي طالب

ترجمته :

علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، ابو الحسن ، امير المؤمنين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا تراب ، وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم الهاشمية وهي اول هاشمية ولدت لهاشمي * (١)

وهو اول من اسلم من الاحداث ، واول خليفه من بني هاشم . هاجر الى المدينة ، وشهد بدرًا واحداً والخندق وبيعة الرضوان وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه على اهله ، وله في الجميع بلاء عظيم واثر حسن . اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة بيده ، ولما قتل مصعب بن عمير يوم احد وكان اللواء بيده ، دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي .

وقال يوم خيبر : * لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ثم اعطاها لعلي رضي الله عنه * (٢) وهو من العشرة المبشرين بالجنة . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : * انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي * (٣) .

- (١) تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، للمزني : ج ٢ ص ٩٧١ ط / دار المأمون للتراث نسخة مصورة .
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب فضائل الصحابة ، فضائل علي بن ابي طالب : ج ١٥ ص ١٧٦ .
- (٣) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل حراء حين تحرك فقَالَ
له صلى الله عليه وسلم : " اثبت حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد " (١)
قال عبد الله بن عباس : " لعلي أربع خصال ليست لاحد بعده " :
هو اول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى
كان لواؤه معه في كل زحف ، وهو الذى صبر معه حين فرغه غيره ، وهو الذى
غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخله قبره ."

وقال انس بن مالك :

" استنبتى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى علي - رضي الله عنه -
يوم الثلاثاء .

زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثنتين من الهجرة ابنته فاطمة
سيدة نساء اهل الجنة (٢) .

مكانته العلمية :

كان علي - كرم الله وجهه - بحرا في العلم ، صاحب قلب مستنير ، وعقل
ذكي ، وكان يقول : ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا صادقا ناطقا (٣) ،
وقد اوتي حظا وافرا من العلم والمعرفة بتأويل القرآن والفتوى وغيرها حتى انه
كان يقول سلوني ولم يكن احد من الصحابة رضي الله عنهم يفعل ذلك (٤) ، وذلك
بحكم صلته برسول الله صلى الله عليه وسلم التي افادته كثيرا .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل طلحة والزبير :

ح ١٥ ص ١٩١ ، وتهذيب الكمال : ح ٢ ص ٩٧١ وما بعدها .

(٢) تهذيب الكمال : ح ٢ ص ٩٧٣ .

(٣) تاريخ الخلفاء ، للسيوطي : ص ١٨٥ ، ط / الاولى ، ١٩٥٢م

(٤) المصدر السابق : ص ١٧١ .

فقد تربي في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ في بيت النبوة وتنشئته هذه كانت من النعم التي انعم الله بها عليه - رضي الله عنه - ويعد من اكثر الخلفاء الاربعة اقوالا في التفسير (١) ، وقد اوردت له كتب السنة خمسمائة وستة وثمانين حديثا . (٢)

قيل لعطاء : أكان في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احد اعلم من علي ؟ قال : لا والله ما أعلمه . (٣)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وهو شاب ليقضي بينهم ، فقال يا رسول الله : اني لا ادري ما القضاء ، ف ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده ، وقال : اللهم اهد قلبه وسدد لسانه ، قال علي : فوالله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين . (٤)

وقال سعيد بن المسيب^(٥) كان عمر - رضي الله عنه - يتعود من معضلة ليس لها ابو الحسن .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كان اذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به .

وعن ابي الطفيل قال : شهدت عليا يخطب وهو يقول : سلوني ، فوالله لا تسألوني عن شيء الا اخبرتكم عن كتاب الله ، فوالله ما من آية الا وانا اعلم ابليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل . (٦)

-
- (١) مناهل العرفان : ح ١ ص ٤٨٢ .
 - (٢) تاريخ الخلفاء : ص ١٦٧ .
 - (٣) الاستيعاب : ح ٨ ص ١٥٩ .
 - (٤) تاريخ الخلفاء ، ص ١٧١ ، والحديث في عون المعبود شرح سنن ابي داود ، كتاب القضاء ، باب كيف القضاء : ح ٩ ص ٤٩٨ ، وقال المنذرى : اخرجه الترمذى مختصرا وقال : حديث حسن .
 - (٥) سعيد بن المسيب بن حزن سيد التابعين جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع ، كان احفظ الناس لاحكام عمر بن الخطاب . مات سنة ٩٣ هـ .
 - (٦) الاعلام للزركلي : ح ٣ ص ١٥٥ .
 - (٦) تهذيب الكمال : ح ٢ ص ٩٧٣ .

وقال سعيد بن عمرو بن العاص قلت لعبد الله بن عياش بن ابي ربيعة ،
لم كان صفوا الناس الى علي ؟ فقال : يا ابن اخي ان عليا كان له ماشئت من
ضرس قاطع في العلم وكان له البسطة في العشيرة ، والقدم في الاسلام والظهور
برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقه في السنة ، والنجدة في الحرب ، والجود في
الماعون . (١)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : والله لقد اعطي علي بن ابي طالب تسعة
اعشار العلم وآيم الله (٢) لقد شارككم في العاشر (٣) .

منهج علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - في تفسير القرآن الكريم :

استفاد الامام علي كثيرا مما اتيح له بحكم صلته الوثيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم
بالعلم بتأويل القرآن ومعرفة اسباب نزوله وكما مر قريبا فان كتب السنة اوردت لسه
اكثر من خمسمائة حديث ، وهذا ما يوهله لان يكون من اصحاب المنهج النقلية .

وسأعرض بعض النماذج التي تلقي الضوء على منهجه في التفسير :

أولا - أقواله في التفسير المنقول :

روى الامام احمد بسنده عن علي رضي الله عنه قال : الا اخبركم بأفضل آية

في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

* وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ * (٤)

(١) تهذيب التهذيب : ح ٧ ص ٣٣٥ .

(٢) وآيم الله ، كلمة قسم ، همزتها همزة وصل . يقال : آيم الله لأفعلن

كذا ، المعجم الوسيط : ح ١ ص ٣٤ .

(٣) الاستيعاب : ح ٨ ص ١٦١ .

(٤) سورة الشورى : الآية " ٣٠ " .

وسأفسرها لك يا علي :

ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فيما كسبت ايديكم والله تعالى
اكرم من ان يثني عليهم العقوبة في الآخرة وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله
تعالى احلم من ان يعود بعد عفوهِ . (١)

٢ - اخرج الترمذى وحسنه عن علي - رضي الله عنه - قال : لما نزلت :
* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ
صَدَقَةٌ * (٢)

قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ماترى ؟ دينار ؟ قلت : لا يطيقونه
قال : فنصف دينار ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال فكم ؟ قلت : شعيره (٣)
قال : انك لزهيد ، قال : فنزلت :
* أَشْفَقْتُمْ أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ * (٤)
قال : فبني خفف الله . (٥)

-
- (١) مسند احمد : ح ١ ص ٨٥ ، قال الهيثمي : " رواه احمد وابويعلی
الا انه قال : فالله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة بدل عليهم ، وفيه
ازهر بن راشد وهو ضعيف ، مجمع الزوائد : ح ٧ ص ١٠٣ .
- (٢) سورة المجادلة : الآية " ١٢ " .
- (٣) قوله : شعيره ، يعني : وزن شعيرة من ذهب . تحفة الاحوذى ، كتاب
التفسير : ح ٩ ص ١٩٢ .
- (٤) سورة المجادلة : الآية " ١٣ " .
- (٥) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : سورة المجادلة ،
ح ٩ ص ١٩٢ .

ثانيا - تفسيره بالاجتهاد :

ونلاحظ ذلك في قوله تعالى في سورة المدثر : الآيتان " ٣٨ ، ٣٩ " :
* كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ *
قال علي - رضي الله عنه - في تفسير قوله تعالى : * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ *
هم اطفال المسلمين . (١)

وفي قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ * (٢)

قال : علموا انفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم . (٣)

وفي قوله تعالى في سورة البقرة : الآية " ١٨٠ " :

* كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ * .

روى ابن جرير الطبري عن هشام عن أبيه قال : دخل عليّ علي مولى لهم في الموت

وله سبعمائة درهم ، أوستمائة درهم ، فقال : ألا أوصي ؟ فقال : لا انما

قال الله : (إِنْ تَرَكَ خَيْرًا) وليس لك مال كثير . (٤)

(١) الدر المنثور : ح ٦ ص ٢٨٥ ، ولعله قال هذا لان الاطفال لا يعرفون

الذنوب ولا اعمال لهم يرتنون بها .

(٢) سورة التحريم : الآية " ٦ " .

(٣) الدر المنثور : ح ٦ ص ٢٤٤ ، وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية :

" اعطوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ، وامروا اهليكم بالذكر ينحيكم الله من

النار ، وقال مجاهد : اتقوا الله وأوصوا اهليكم بتقوى الله ، وقال قتادة :

تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وان تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به

وتساعدهم عليه فاذا رأيت لله معصية قدعتهم عنها وزجرتهم عنها " .

ابن كثير : ح ٤ ص ٣٩١ .

(٤) تفسير الطبري : ح ٣ ص ٣٩٥ .

ثالثا - اقواله في تفسير آيات الاحكام :

روى ابن جرير بسنده عن علي - رضي الله عنه - في قوله تعالى :
* لِلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرِيصٌ اَرْبَعَةٌ اَشْهُرٌ فَاِنْ فَاَوْ فَاِنَّ اللّٰهَ قَفُورٌ
رَحِيْمٌ * (١)

قال : المولى اما أن يفى ، واما ان يطلق . (٢)

وفي سورة البقرة ، عند قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ
بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ
ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * (٣)

روى ابن جرير بسنده : ان عليا قال في رجل قتل امرأته : ان شاءوا قتلوه

وفرما نصف الدية . (٥)

(١) سورة البقرة : الآية ٢٢٦ .

(٢) تفسير الطبري : ح ٤ ص ٤٩٠ .

(٣) الآية : ١٧٨ .

(٤) اي اولياء المرأة .

(٥) تفسير الطبري : ح ٣ ص ٣٦٢ ، وقد حكم الامام الطبري بعدم صحة هذا

القول . وقال : ان الآية اما ان تكون نزلت في قوم كانوا لا يقتلون الرجل
بالمرأة ، ولكنهم كانوا يقتلون الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة حتى سوى الله
بين حكم جميعهم ، فجعل الاحرار في القصاص سواء رجالهم ونسائهم فسي
النفس وما دون النفس ، وكذلك العبيد فيما بينهم ، وهذا قول ابن عباس
وقتادة .

واما ان تكون الآية نزلت في قوم بأعيانهم خاصة فأمر النبي صلى الله عليه

وسلم ان يجعل ديات قتلهم قصاصا بعضها من بعض .

تفسير الطبري : ح ٣ ص ٣٥٩ وما بعدها .

طرق الرواية عن علي - رضي الله عنه - :

كثرت الرواية وتعددت طرقها عن علي - كرم الله وجهه - فتصدى لها صياقة الجرح والتعديل حتى بينوا ماصح من الروايات ما لم يصح ، ولعل السبب في كثرة الروايات عنه هو نسبته - رضي الله عنه - الى بيت النبوة فهو كما مر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترى في حجره صلى الله عليه وسلم الامر السذى يكسب الموضوع المنسوب اليه منزلة ورواجا ، بالاضافة الى غلاة الشيعة الذين بالغوا في حبه فتسبوا اليه اقوالا واراا هو منها برى* .

ومن أهم طرق الرواية عنه :

أولا :

طريق هشام (١) عن محمد بن سيرين (٢) ، عن عبدة السلماني (٣) ، عن علي . وهذه طريق صحيحة يخرج منها البخارى وغيره .

- (١) هشام بن حسان الأزدي الثردوس ، ابو عبد الله البصرى ، احد الاعلام ، قال العجلي عنه : بصرى ثقة ، حسن الحديث ، مات سنة ثمان واربعين ومائة . تهذيب التهذيب : ح ١١ ص ٣٤ .
- (٢) انظر ترجمته في ص (٩٧) من هذا الفصل .
- (٣) عبدة بن عمرو ويقال : ابن قيس بن عمرو السلماني المرادى ابو عمرو الكوفي . اسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ولم يلقيه ، قال ابن معين عنه : ثقة . لا يسئل عن مثله . وقال علي بن المديني وغيره : اصح الاسانيد محمد ابن سيرين عن عبدة عن علي . مات سنة ثلاث وسبعين ، تهذيب السبب التهذيب : ح ٧ ص ٨٤ .

ثانيا :

طريق ابن ابي حسين (١) ، عن ابي الطفيل (٢) عن علي .
وهذه طريق صحيحة ، يخرج منها ابن عيينة في تفسيره .

ثالثا :

طريق الزهري (٣) عن علي زين العابدين عن ابيه الحسن عن ابيه علي .
وهذه الطريق صحيحة جدا حتى عدها بعضهم اصح الاسانيد مطلقا ،
ولكن لم تشتهر هذه الطريق اشتهار الطريقتين السابقين ، نظرا لما الصقـــــــــــــــــه
الضعفاء والكذابين بزین العابدين من الروايات الباطلة (٤) .

وفاته :

قتله عبد الرحمن بن طجم صبيحة ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت
من شهر رمضان سنة اربعين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وقيل ابن ثلاث وستين سنة (٥)

-
- (١) هو : عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي حسين . قال عنه احمد والنسائي
وابوزرعة : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، تهذيب التهذيب : ح ٢٩٣
- (٢) وهو : عامر بن وائلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش ، روى عن النبي
صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر وعمر وعلي ومعاذ بن جبل وغيرهم .
- (٣) الزهري بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ولد سنة خمسين وحدث عن
ابن عمر وانس بن مالك وغيرهم .
- قيل لمكحول من أعلم من لقيت ، قال : ابن شهاب ، - يعني
الزهري - تذكرة الحفاظ : ح ١ ص ١٠٨ .
- (٤) التفسير والمفسرون : ح ١ ص ٩١ .
- (٥) طبقات الفقهاء : ص ٤٢ .

أبي بن كعب

ترجمته :

أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد ، له كنيستان : أبو المنذر ، كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأبو الطفيل : كناه بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

شهد العقبة ويدرأ .

وكان عمر - رضي الله عنه - يقول : " أبي سيد المسلمين " ، وهو أول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة .

روى عنه عبادة بن الصامت (١) ، وابن عباس ، وعبد الله بن خباب (٢) ، وابنه الطفيل . (٣)

ثبت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً من المسلمين قال :
" يا رسول الله أرأيت هذه الأمراض التي تصيبنا ومالنا فيها ؟ قال : " كفارات " ،
فقال أبي بن كعب : " يا رسول الله ، وإن قلت ؟ قال : وإن شوكة فما فوقها "

-
- (١) عبادة بن الصامت بن قيس ، الامام القدوة ، أبو الوليد الانصاري ، أحد النقباء ليلة العقبة ، مات سنة اربع وثلاثين من الهجرة ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة . سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٥ .
- (٢) عبد الله بن خباب بن الأرت ، ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ، له رؤية ، قتله الخوارج سنة سبع وثلاثين . اسد الغابة : ج ٣ ص ٢٢٢ .
- (٣) اسد الغابة : ج ١ ص ٦١ .

فدعا أبي ان لا يفارقه الوعك حتى يموت ، وان لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد ،
ولا صلاة مكتوبة في جماعة ، قال : فما من انسان جسده الا وجد حره حتى
مات . (١)

مكانته العلمية :

أبي بن كعب سيد القراء واحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " أقرؤهم أبي بن كعب " (٢) ، وقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهنئك العلم يا أبا المنذر . (٣)
وعن مسروق قال : كان اصحاب القضاء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم ستة : عمر ، وعلي ، وعبد الله ، وابي ، وزيد ، وابو موسى - رضي الله عنهم (٤)
وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يسأله عن النوازل ويتحاكم اليه في
المعضلات . (٥)

-
- (١) الاصابة : ح ١ ص ٢٧ ، ومسند احمد : ح ٣ ص ٢٣ قال الهيثمي : ورواه ابو يعلى
ورجاله ثقات " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ح ٢ ص ٣٠١ .
- (٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب المناقب ، مناقب معاذ بن جبل
وزيد بن ثابت ، وابي بن كعب . . ح ١٠ ص ٢٩٣ وقال الترمذى : هذا
حديث غريب . . ط / الثالثة ، دار الفكر .
- (٣) شذرات الذهب : ح ١ ص ٣٢ والحديث رواه الامام مسلم في صحيحه كتاب
صلاة المسافرين ، فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، وفي مسند الامام احمد :
ح ٥ ص ١٤٢ .
- (٤) اسد الغابة : ح ١ ص ٦١ .
- (٥) الاصابة : ح ١ ص ٢٧ .

قرأ القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، كما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سورة البينة تعليماً وارشاداً له .

عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بـ كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك * لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا *^(٢) قال : أله سما نى لك ؟ قال : نعم ، فجعل أبي بيكي . (٣)

(١) تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ١٦ .

(٢) سورة البينة : الآية " ١ "

(٣) اسد الغابة : ج ١ ص ٦٢ ، والحديث رواه الامام مسلم في صحيحه ،

كتاب الفضائل ، فضائل ابي بن كعب وجماعة من الانصار . ص ١٦٠ ج ٢٠

منهج ابي بن كعب - رضي الله عنه - في تفسير القرآن :

يعد ابي بن كعب في الصدارة بين المفسرين ، وقد عدّ من عرفوا بالتفسير واكثروا منه .

يقول السيوطي في الاتقان :

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة وعدّ منهم " ابي بن كعب " (١) ، ولقد توفرت عوامل كثيرة ساعدت ابياً على ان يأخذ هذه المكانة ، فلقد امضى حياته في المدينة وكانت بيئتها ذات خبرة سابقة بالدين وشئونه ، واتصل المسلمون بيهود المدينة ، وثمة اشارات عديدة في القرآن تعكس صدى تأثيرهم في جوانب عديدة من حياتها من ذلك :

قوله تعالى :

* اِنَّ اللّٰهَ اشْتَرٰ مِنْ الْمُؤْمِنِيْنَ اَنْفُسَهُمْ وَاَمْوَالَهُمْ بِاَنْ لَّهْمُ الْجَنَّةُ يَقاتِلُوْنَ فِى سَبِيْلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُوْنَ وَيُقْتَلُوْنَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَةِ وَالْانْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ اَوْفٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ فَاسْتَبْشِرُوْا بِبَيْعِكُمْ الَّذِى بَايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيْمُ * (٢)

واتيح لأبي بما كان عليه من اليهودية في الجاهلية ان تكون له خبرة بالكتسب

القديمة يقرأها ويفسرهما ، فيعرف اسرارها ويقف على ماورد فيها .

ما كان له الأثر في تفسيره لبعض الآيات القرآنية الكريمة ففي قوله تعالى :

* وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِيْنَ * (٣) .

(١) - ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) سورة التوبة : الآية " ١١١ " .

(٣) سورة الاعراف : الآية " ١٠٢ " .

قال : في الميثاق الذى أخذه في ظهر آدم عليه السلام (١) .

وفي قوله تعالى :

* وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * (٢)

قال : اخذهم فجعلهم ارواحا ، ثم صورهم ، ثم استنطقهم ، فكان

روح عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها العهد والميثاق ، فأرسل ذلك الروح الى مريم ، فدخل في فيها ، فحملت الذى خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام (٣) .

وابي بن كعب رضي الله عنه وان كان قد استعان في فهم آيات القرآن الكريم

بما كان في الكتب القديمة الا انه يبدو في منهجه الذى التزمه شديد الحرص يتوقف عند ماورد في الآيات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يبين لاصحابه - رضي الله عنهم - مايشكل فهمه عليهم من معاني القرآن الكريم ويبين لهم الفاظه ومعانيه ، فلا يعقل بعد ذلك ان تمر على ابي بن كعب آية من القرآن الكريم بشكل معناها عليه دون ان يسأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . والأدلة على التزامه في التفسير بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة

منها :

أولا : في قوله تعالى :

* وَالزَّمُّهُمْ كَلِمَةٌ التَّقْوَى * (٤) .

(١) تفسير الطبرى : ح ١٣ ص ١١ .

(٢) سورة الاعراف : الآية " ١٧٢ " .

(٣) تفسير الطبرى : ح ٣ ص ٤٢٩ ، وهذا الأثر أورد الطبرى عند تفسير

قوله تعالى في سورة النساء ، الآية " ١٧١ " : * إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى

ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ * .

(٤) سورة الفتح : الآية " ٢٦ " .

عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا اله الا الله " (١)

ثانيا : في قوله تعالى :

* وَإِنْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ
حُقُبًا * (٢)

روى البخارى بسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله
عنهما ، ان نوحا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب
بني اسرائيل ، فقال ابن عباس : كذب عدو الله ، حدثني ابي بن كعب انه سمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل ،
فسئل : اى الناس أعلم ؟ فقال : أنا . فعتب الله عليه ان لم يرد العلم اليه ،
فأوحى الله اليه : ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك ، قال موسى : يارب
فكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتا فتجعله في مكمل (٣) ، فحيثما
فقدت الحوت فهو ثم (٤)

ولا عجب في ذلك فقد كان يداوم على قراءة القرآن الكريم لاتقطعه منه اسباب
ولا تشغله عنه مشاغل وكان يحدد مدى للانتهاه منه . قال : " أما انا فأقرأ
القرآن في ثمان ليال " (٥)

(١) الدر المنثور : ح ٦ ص ٨٠ وتحفة الاحوذى ، كتاب التفسير ، سورة الفتح

ح ٩ ص ١٥٠ ، وقال الترمذى : هذا حديث غريب .

(٢) سورة الكهف : الآية " ٦٠ " .

(٣) المكمل : والمكثلة والجمع مكاتل : وهو الزبيل الذى يحمل فيه التمر

او العنب ، وقيل : المكمل شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا ،

لسان العرب : ح ٣ ص ٢٢٠ .

(٤) صحيح البخارى : ح ٦ ص ١١٠ كتاب التفسير باب قوله تعالى :

* وَإِنْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ *

(٥) الطبقات الكبرى : لابن سعد : ح ٣ ص ٦٠ ، ط / دار صادر ،

كذلك توفرت لابي كل الادوات التي لاغنى للمفسر عنها فقد عرف مواضع

نزول الوحي واوقاته ، لانه كان من كتاب الوحي . (١)

ولقد احاط علما بمواضع النزول حتى اصبح أهلا لكي يجيب من يسأل

عنها .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : سألت ابي بن كعب عما نزل من القرآن

بالمدينة فقال : نزل بها تسع وعشرون سورة وسائرهما بمكة . (٢)

وان معرفته بالقرآن لتدق حتى نجده يعرف الحضري والسفري منه .

وذكر ان من السفري خاتمة سورة النحل (٣)

وقد مكنته طول الملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم من ان يقف على آخر

آية نزلت من القرآن .

قال ابي : آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

* لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * (٤)

(١) مناهل العرفان : ح ١ ص ٣٦٠ .

(٢) البداية والنهاية : ح ٨ ص ٢٩٨ .

(٣) قوله تعالى : * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ * .

الآيات : " ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

الاتقان في علوم القرآن : ح ١ ص ٢٥ .

(٤) سورة التوبة : الآيتان : " ١٢٨ ، ١٢٩ " ولعل ابي بن كعب اراد انها

من آخر ما نزل من القرآن ، وقد سبق في ص (٣٠) من هذا الفصل

تحقيق القول في آخر آية نزلت من القرآن والقول الراجح

ايضا أحاط أبي بأسباب النزول ووقف على احوال الذين نزل فيهم

القرآن ، ففي قوله تعالى :

* وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي
الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
وَلَيُمَدِّدَنَّ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا * وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
قَوْلِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * (١)

اخرج الحاكم وصححه والطبراني عن ابي بن كعب قال : لما قدم

رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة وآوتهم الانصار ، رمتهم العرب
من قوس واحدة وكانوا لا يبيتون الا بالسلاح ولا يصبحون الا فيه ، فقالوا : ترون
أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لانخاف الا الله ، فنزلت :

* وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ . . . * (٢)

القراءات التفسيرية في منهج أبي بن كعب :

اضاف أبي بن كعب الى مصحفه بعض الكلمات الى النص القرآني الكريم ومراده بهذه
الاضافات تفسير الآية القرآنية حتى يسهل فهم معناها ، وهذه الاضافات كما
مرّ قريبا قراءات شاذة ، لاتجوز الصلاة بها لانها ليست من القرآن لأن القرآن
الكريم المكتوب بين دفتي المصحف ثبت بالتواتر ، اما هذه القراءات فليست
متواترة .

ولنقرأ بعض الآيات التي يبدو فيها هذا المنهج .

(١) سورة النور : الآية " ٥٥ " .

(٢) لباب النقول في اسباب النزول : ص ١٦٠ ، والحديث رواه الطبراني في

الأوسط ، ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ج ٧ ص ٨٣ .

أولا - الزيادات البيانية :

١ - قال تعالى : * أَللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ * (١)

عن ابي العالية عن ابي بن كعب في قوله تعالى * أَللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * قال : هو المؤمن جعل الله الايمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال : (أَللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال : مثل نور من آمن به .

فكان ابي يقرؤها : (مثل نور من آمن به) فهو المؤمن جعل الايمان والقرآن في صدره . (٢)

٢ - في قوله تعالى : * كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ * (٣)

نجد ابيها يفسر هذه الآية بقوله : كانوا - اى الناس - امة واحدة حين عرضوا على آدم ففطروهم يومئذ على الاسلام واقروا له بالعبودية وكانوا امة واحدة مسلمين كلهم ، ثم اختلفوا من بعد آدم .

فكان ابي يقرأ هذه الآية (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً) فاختلفوا (فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) اى : فيما اختلفوا فيه ، وان الله انما بعث الرسول وانزل الكتب عند الاختلاف . (٤)

(١) سورة النور : الآية " ٣٥ " .

(٢) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٢٨٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية " ٢١٣ " .

(٤) تفسير الطبرى : ح ٤ ص ٢٧٧ .

٣ - قال تعالى : * هَلْ يُنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ
الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * (١)
روى ابن جرير عن ابي العالية قال : في قراءة أبي بن كعب : (هَلْ
يُنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ) والملائكة (في ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ) .
قال : تأتي الملائكة في ظلل من الغمام ويأتي الله عزوجل فيما شاء (٢)

ثانيا - الزيادات الفقهية في قراءة أبي بن كعب :

تبين الاضافة الى النص القرآني في قراءة أبي - رضي الله عنه - بعض
الاحكام الفقهية ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :

١ - * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرثُوا النِّسَاءَ كَرهًا * وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ

لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ * (٣)

قال القرطبي : ان الفاحشة المبينة في هذه الآية البغض والنشوز (٤)

وقال الزمخشري : ان الفاحشة المبينة ، شكاسة الخلق ، وايداء الزوج

واهله بالبذاء ، والسلطة ، اى الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن ، فيجوز اخذ

مالهن على سبيل الخلع ويدل على هذا المعنى قراءة ابي : (الا ان يفحشن

عليكم) (٥)

(١) سورة البقرة : الآية " ٢١٠ "

(٢) تفسير الطبري : ح ٤ ص ٢٦١ .

(٣) سورة النساء : الآية " ١٩ "

(٤) تفسير القرطبي : ح ٥ ص ٩٥ .

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشري :

ح ٤ ص ١١٩ في قوله تعالى : * وَلَا يَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ

مُّبِينَةٍ * سورة الطلاق : الآية " ١ " ، وقراءة ابي (الا ان يفحشن

عليكم) . ط / دارالمعرفة / بيروت .

وتفسير البحر المحيط ، لابي حيان : ح ١ ص ٢٠٣ ، ط / دارالفكر بيروت

- ٢ - وفي قوله تعالى : * فَإِنْ آمَنَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ فَلْيُؤَدِّهِ الَّذِي أُوْتِمِنَ أَمَانَتَهُ * (١)
قرأ أبي : " فان آمن " رباعيا مبنيًا للمفعول ، اى : آمنه الناس
ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله (٢)
وروى عنه " فان ائتمن " على وزن افتعل من الامن ، اى : وثيق
بلا وثيقة صك ولا رهن . (٣)

وقراءة أبي هذه تبين حكما خاصا في موقف معين من حالات الدين .

-
- (١) سورة البقرة : الآية " ٢٨٣ " .
(٢) تفسير الزمخشري : ج ١ ص ٤٠٥ .
(٣) تفسير البحر المحيط ، ج ٢ ص ٣٥٦ .

طرق الرواية عن أبي :

وصلنا تفسير أبي بن كعب عن طريق رواته وتلاميذه الذين نقلوا عنه كثيرا من التفسير ، ونجد اسانيد روايتهم عنه في كتب التفسير ومن أهم طرق الرواية عنه :

أولا :

طريق أبي جعفر الرازي (١) عن الربيع بن انس (٢) عن أبي العالية عن أبي بن كعب .

وهذا اسناد صحيح ، وقد أخرج ابن جرير الطبري وابن أبي حاتم منها كثيرا ، وكذا الحاكم في مستدركه . (٣)

ثانيا - :

طريق وكيع (٤) عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيل ابن أبي بن كعب .

(١) ابو جعفر الرازي هو : عيسى بن أبي عيسى بن ماهان ، ولد بالبصرة ، واستوطن الري ، قال ابو حاتم وابن معين : ثقة ، ميزان الاعتدال : ح ٣ ص ٣١٩ .

(٢) الربيع بن انس البكري ، ويقال الحنفي البصري ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه النسائي : ليس به بأس . تهذيب التهذيب : ح ٣ ص ٢٣٨ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن : ح ٢ ص ٢٤٢ .

(٤) وكيع بن الجراح بن مطيع ، ولد سنة تسع وعشرين ومائة ، قال عنه الامام احمد : مارأيت اوصى للعلم ولا احفظ من وكيع . تذكرة الحفاظ : ح ١ ص ٣٠٦ .

وهذه الطريق يخرج منها الامام احمد في مسنده ، وهي على شرط الحسن ، لان عبد الله بن عقيل وان كان صدوقا تكلم فيه من جهة حفظه . (١)

وفاته :

قال ابن الجزرى : اختلف في موته - اى في موت أبي - اختلافا كثيرا ، ف قيل : سنة تسع عشرة ، وقيل سنة عشرين ، وقيل سنة ثلاث وعشرين ، وقيل سنة ثلاثين ، ثم رجح كونه مات قبل مقتل عثمان بن عفان بجمعة أو شهر . (٢)
وقال ابن حجر : واثبت الاقوال على انه مات في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاثين . (٣)

-
- (١) قال الترمذى : صدوق ، وتكلم فيه بعضهم من قبل حفظه ، وقال ابن حبان : ردى* الحفظ يجي* بالحديث على غير سننه ، وقال ابن خزيمة : لا أحتج به . وكان احمد بن حنبل والحميدى يحتجون بحديثه .
ميزان الاعتدال : ح ٢ ص ٤٨٤ . راجع التفسير والمفسرون ح ١ ص ٩٣ .
- (٢) غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزرى : ح ١ ص ٣٢ .
- (٣) الاصابة : ح ١ ص ٢٦ .

ابو موسى الأشعري

ترجمته :

عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن الأشعر (١) ، صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم .
قال ابن الأثير :
" ذكر الواقدي : ان ابا موسى قدم مكة ، فحالف ابا احيحة
سعید بن العاص بن امية ، وكان قدومه مع اخوته في جماعة من الأشعريين ، ثم
اسلموها جر الى ارض الحبشة " .
وقال ابو عمر : " الصحيح ان ابا موسى رجع بعد قدومه مكة ومخالفته
من حالف من بني عبد شمس الى بلاد قومه واقام بها حتى قدم مع الأشعريين نحو
خمسين رجلا في سفينة فألقتهم الريح الى النجاشي ، فوافقوا خروج جعفر (٢)
وأصحابه منها ، فأتوا معهم وقدمت السفينتان معا : سفينة جعفر ، وسفينة
الأشعريين على النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر .
وقد قيل ان الأشعريين ان رمتهم الريح في الحبشة اقاموا بالحبشة
مدة ، ثم خرجوا عند خروج جعفر ، فلهذا ذكره ابن اسحاق فيمن هاجر الى
الحبشة " .

-
- (١) الأشعر : لقب نبت بن أد ، لانه ولد وطلبه شعر ، وهو ابو قبيلة
باليمن ، منهم ابو موسى الأشعري .
ترتيب القاموس المحيط : ح ٢ ص ٧١٩ .
- (٢) هو : جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، السيرة النبوية
لابن هشام : ح ١ ص ٣٤٦ .

وهو معدود فيمن قرأ (١) على النبي صلى الله عليه وسلم (٢)
كان رضي الله عنه صاحب صوت حسن بالقرآن ، فقد جاء في الصحيح
المرفوع : " لقد أوتي زممارا من زمامر آل داود " (٣) ، وكان عمر
رضي الله عنه اذا رآه قال : " ذكرنا ربنا يا أبا موسى " ، وفي رواية
" شوقنا الى ربنا " (٤)

مكانته العلمية :

ابو موسى الأشعري - رضي الله عنه - من الصحابة الذين اتوا نصيبا
من العلم ، وهذا الامر جعل عمر رضي الله عنه يقره اربع سنين على البصرة
ولا يقر غيره من العمال اكثر من سنة واحدة فقد كتب في وصيته :
" لا يقر لي عامل اكثر من سنة واقروا الأشعري اربع سنين " (٥)

-
- (١) قرأ : آي القرآن الكريم .
 - (٢) أسد الغابة : ج ٣ ص ٣٦٧ .
 - (٣) ونص الحديث كما في صحيح مسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان عبد الله بن قيس او الأشعري أعطي زممارا من زمامير آل داود " . كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن : ج ٦ ص ٨٠ .
 - (٤) الاصابة : ج ٦ ص ١٩٤ .
 - (٥) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

• وكان ممن بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن ليعلّموا
الناس القرآن الكريم ولما ولاه عمر - رضي الله عنه - البصرة ، قال أنس رضي الله
عنه : "بعثني الأشعري الى عمر - رضي الله عنه - ، فأتيته فسألني عنه فقلت :
تركته يعلم الناس ، فقال : اما انه كيس (١) ، فلا تسمعها اياه .

وقال ابوالمختري : سئل علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - عن
ابي موسى الأشعري فقال : صبغ في العلم صبغه .

وقال مسروق بن الاعدع : كان العلم في ستة نفر من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفهم اهل الكوفة : عمر وعلي وعبد الله ،
وابو موسى ، وأبي ، وزيد بن ثابت " (٢)

قال الذهبي عن ابي موسى - رضي الله عنه - : أقرأ أهل البصرة
وفقهم في الدين وكان اذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلا رجلا يقرئهم " . (٣)

(١) الكيس : خلاف الحمق ، ترتيب القاموس المحيط ، مادة

(ك ي س) ح ٤ ص ١٠٥ .

(٢) طبقات الفقهاء ، لابي اسحاق الشيرازي الشافعي : ص ٤٤ ،

ط دار الرائد العربي ، بيروت : ١٩٢٠ م .

(٣) سير اعلام النبلاء : ح ٢ ص ٣٨١ و ٣٨٩ .

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

يلاحظ ان كتب التفسير بالمأثور مشحونة بأقوال كثيرة لابي موسى الاشعري ، الا أن هذه الروايات عبارة عن احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، بمعنى ان الاحاديث النبوية تمثل مساحة كبيرة جدا في تفسير ابي موسى الاشعري فهودائم الاستشهاد بها في التفسير ودائم الاستعانة بها في التوضيح ، واليك أمثلة توضح هذا :

أولا : تفسيره بالمنقول من الاقوال المصريح فيها بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(١) روى ابن جرير الطبري عن ابي بردة عن ابيه عن ابي موسى رضي الله عنه

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ان الله يظلي ، وربما قال : يمهل : الظالم ، حتى اذا أخذه

لم يظفته ، ثم قرأ قوله تعالى في سورة هود ، الآية " ١٠٢ " :

* وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ لِيُمِّ شَدِيدٌ * (١)

(٢) وفي قوله تعالى : * وَعَلَّمَ آدَمَ * (٢)

روى ابن جرير تفسيراً للكلمة (آدَمَ) عن ابي موسى الاشعري

رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله خلق

آدم من قبضة قبضها من جميع الارض ، فجاء بنو آدم على قدر الارض ،

(١) تحفة الاحوزي بشرح جامع الترمذي : ج ٨ ص ٥٣١ ، وقال

ابوعيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب و تفسير الطبري :

ج ١٥ ص ٤٧٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٣١ " .

جاء منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك ، والسهـ
والحزن (١) ، والخبيث والطيب (٢) .

(٣) وفي قوله تعالى :

* حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ * (٣)

اخرج البخارى ومسلم والترمذى عن ابي موسى الاشعري
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : الخيمة دره مجوفة
طولها في السماء ستون ميلا ، في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراهم
الآخرون يطوف عليهم المؤمن . (٤)

ثانيا :

تفسيره الموقوف عليه ، فمثله لا يقال من قبل الاجتهاد ، فهو رضي الله
عنه وان لم يصرح فيه بالسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكمه حكم
المرفوع .

(١) قال تعالى في سورة البقرة :

* كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرِهِ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ
مُتَشَابِهًا * (٥)

-
- (١) الحزن في اللغة: بفتح الحاء وسكون الزاى : اى الغليظ ،
ترتيب القاموس المحيط : مادة (ح ز ن) ح ١ ص ٦٣٦ .
- (٢) تحفة الاحوذى : ح ٨ ص ٢٩٠ وقال ابو عيسى : هذا حديث
حسن صحيح ، تفسير الطبرى : ح ١ ص ٤٨١ .
- (٣) سورة الرحمن : الآية " ٧٢ " .
- (٤) صحيح البخارى : ح ٦ ص ١٨٢ ، والدر المنثور : ح ١ ص ١٥١
- (٥) الآية : " ٢٥ " .

روى ابن جرير الطبري عن ابي موسى الاشعري قال : ان الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء ، فشاركه هذه من ثمار الجنة ، غير ان هذه تغير وتلك لا تغير . (١)

(٢) وفي قوله تعالى :

* وَاسْمَاعِيلَ وَإِذْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصّٰٓئِرِيْنَ * (٢)

قال ابو موسى الاشعري - رضي الله عنه - وهو يخاطب الناس : ان ذا الكفل لم يكن نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته ، وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة ، فأحسن الله عليه الشفاء في كفاله اياه . (٣)

فرواية ابي موسى - رضي الله عنه - هذه تفسر المعنى اللغوي لكلمة ذى الكفل ، كما اقتضوه على ذى الكفل ومن هو وطرقا من علمه .

(١) تفسير الطبري : ج ١ ص ٣٩٣ .

(٢) سورة الانبياء : الآية " ٨٥ " .

(٣) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ١٩١ . وبمثل هذا القول قال مجاهد

وقتادة ، وقال الحسن : هو نبي قبل الياس ، والجمهور على انه ليس

بنبي ، راجع تفسير القرطبي : ج ١١ ص ٣٢٨ .

طريق الرواية عن ابي موسى الاشعري :

- (١) طريق ابي عمران الجوني عن ابي بكر (١) بن عبد الله بن قيس عن ابيه .
وهذه طريق صحيحة اخرج منها الامام البخارى ومسلم .
- (٢) طريق يزيد بن ابي بردة عن ابي بردة (٢) عن ابي موسى الاشعري .
وهذه ايضا طريق صحيحة اخرج منها البخارى .
- (٣) طريق قسامة بن زهير (٣) عن ابي موسى الاشعري .
وهذه الطريق اخرج منها الامام احمد في مسنده والترمذى في جامعه وابوداود في سننه .

-
- (١) ابوبكر بن ابي موسى الاشعري الكوفي، يقال ان اسمه عمرو ويقال عامر، قال الآجرى : قلت لابي داود ، سمع ابوبكر من ابيه قال : اراه قد سمع ، وابوبكر ارضى عندهم من ابي بردة . وقال المعجلي : كوفي تابعي ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات . مات سنة ست ومائة ، تهذيب التهذيب : ح ١٢ ص ٤٠ .
- (٢) ابو بردة بن ابي موسى ، عبد الله بن قيس بن حضار الاشعري ، الفقيه ، العلامة ، قاضي الكوفة ، قيل ان اسمه عامر ، كان من اوعية العلم ، حجة باتفاق ، تولى قضاء الكوفة مدة ، مات سنة اربع ومائة ، سير اعلام النبلاء : ح ٥ ص ٥ .
- (٣) قسامة بن زهير المازني التميمي البصري ، قال المعجلي : بصرى تابعي ثقة ، وقال ابن سعد : كان ثقة ان شاء الله ، وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي بعد الثمانين ، تهذيب التهذيب : ح ٨ ص ٣٧٨ .

وفاته :

اجتهد ابو موسى رضي الله عنه قبل موته اجتهادا شديدا ، فقيل له :
لو امسكت ورققت بنفسك ؟ قال : ان الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس مجراها ،
اخرجت جميع ما عندها ، والذي بقي من اجلي اقل من ذلك . (١)
توفي رضي الله عنه سنة اربع واربعين ، على الصحيح . (٢)

(١) سير اعلام النبلاء : ج ٢ ص ٣٩٣ .

(٢) نفس المصدر والجزء : ص ٣٩٨ .

أنس بن مالك

ترجمته :

انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن هرام بن جندب ،
خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتسمى بذلك ويفتخر به ، وحق له
ذلك .

كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا حمزة (١) بهقله كان يحبها ،
خدم أنس - رضي الله عنه - النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وهي مدة اقامته
بالمدينة ، وثبت ذلك في الصحيح (٢) وحمل عنه حديثا كثيرا ، فروى الفسي
حديث ومائتين وستة وثمانين - ٢٢٨٦ - حديثا .

كان اكثر الصحابة اولادا لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ، ففي الصحيحين
واللفظ للبخارى : (٣) عن انس رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه
وسلم على ام سليم - يعني امه - ، فأنته بتمر وسمن ، فقال اعيدوا سننكم في
سقاء (٤) وتمركم في وعاءه فاني صائم ، ثم قام الى ناحية البيت فصلى غير

(١) كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابا حمزة ، لان الهقلة التي جناها
انس كان في طعمها لذع فسميت حمزة لفعالها ، ويقال رمانه حامزة ،
اي فيها حموضة. النهاية في غريب الحديث والاشتر ، لابن الاثير :
ح ١ ص ٤٤٠ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب آية الحجاب : ٦٥/٨

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الصوم ، باب من زار قوما فلم يفطر عندهم :

ح ٣ ص ٥٣ .

(٤) السقاء : جلد السخلة اذا أجدع يكون للماء واللبن ،

ترتيب القاموس المحيط : ح ٢ ص ٥٨٣ مادة (س ق ي) .

المكتوبة فدعا لام سليم وأهل بيتها . فقالت يا رسول الله ان لي خويصة ، قال : ماهي ، قالت : خادمك انس ، فما ترك خيرا آخرة ولا دنيا الا دعاه به ، اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له ، قال : فاني لمن اكثر الانصار مالا . (١) كانت له ذؤابة^(٢) فأراد ان يجزها فنهته أمه وقالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يمدّها ويأخذ بها . (٣)

شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرته والحج والفتح وحنيننا والطائف (٤) .

وعن مولى لانس ، انه قال لانس : اشهدت بدرا ؟ فقال : لا أم لك ، وابن اغيب عن بدر . (٥)

وعن موسى بن انس : ان أنسا غزا ثمان غزوات .

وقال ثابت البناني : قال ابو هريرة : ما رأيت احدا اشبه بصلاة

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ابن ام سليم - يعني انسا - .

(١) تهذيب الاسماء واللغات ، للنووي ، ج ١ من ق ١ ص ١٢٧ ، ط / دار الكتب العلمية

(٢) الذؤابة : شعر الناصية ، ترتيب القاموس المحيط : ٢٤٥/٢ .

(٣) أسد الغابة : ج ١ ص ١٥١ .

(٤) تهذيب التهذيب : ج ١ ص ٣٢٦ .

(٥) قال الذهبي : * لم يعده اصحاب المغازي في البدرين لكونه

حضرها صبيا ، ما قاتل ، بل بقي في رحال الجيش * فهذا وجه

الجمع بين عدم ذكره في البدرين وبين قوله : وابن اغيب عن بدر ،

سير اعلام النبلاء : ج ٣ ص ٣٩٧ .

وقال انس بن سيرين : كان أنس بن مالك أحسن الناس صلاة في

الحضر والسفر .

وعن ثامه قال : كان انس يصلي حتى تفطر (١) قدماه دما ،

ما يطيل القيام - رضي الله عنه - .

وعن ثابت البناني قال : جاء قم ارض انس ، فقال : عطشت

ارضوك فقام انس وتوضأ ، ثم خرج الى البرية ، ثم صلى ، ودعا ، فثارت سحابة

وغشيت ارضه ومطرت ، حتى ملأت صهريجه وذلك في الصيف ، فأرسل بعض

اهله ، فقال : انظر اين بلغت ؟ فاذا هي لم تعد ارضه الا يسيرا . (٢)

مكانته العلمية :

انس بن مالك - رضي الله عنه - احد كبار رواة الاسلام من الصحابة

الذين شرفوا بتلقي العلم من النبي صلى الله عليه وسلم فحفظوه وعلومه اتباعهم

من التابعين .

وكان حريصا على أن يأمر اتباعه أن يطبقوا على انفسهم العلم الذي تعلموه

ويسمى دائما ليخرس في نفوس اتباعه الثقة به لينتفعوا بعلمه ، فالتلميذ ينتفع

من استاذه بمقدار ثقته به .

ولهذا كان انس - رضي الله عنه - يقول لثابت البناني - وهو من

الصق تلاميذه به : " يا ثابت خذ عني فانك لن تأخذ عن أوثق مني ، اني

أخذته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن

جبرائيل وأخذه جبرائيل عن الله عز وجل " (٣)

(١) الفطر : الشق ، جمع : فطور . وتفطر تشقق . ترتيب القاموس المحيط

مادة (ف ط ر) ح ٣ ص ٥٠٣ .

(٢) سير اعلام النبلاء : ح ٣ ص ٤٠٠ و تهذيب التهذيب : ١/٣٧٨ .

(٣) تحفة الاخوان بشرح جامع الترمذي : ١٠/٣٣٢ وقال الترمذي : هذا

حديث غريب .

ولهذا عرف أهل الفضل والعلم له هذه المكانة الرفيعة " فلما استخلف أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بعث إلى أنس بن مالك ليوجهه إلى البحرين على السعاية ، فدخل عمر - رضي الله عنه - على أبي بكر ، فقال أبو بكر : اني اردت ان ابعث هذا إلى البحرين على السعاية وهو فتى شاب ، فقال عمر رضي الله عنه : ابعثه فانه لبيب كاتب ، قال : فبعثه " (١)

ولما توفي - رضي الله عنه - كانت وفاته في نظراته خسارة للعلم ، قال مورق العجلي : لما توفي انس بن مالك : ذهب اليوم نصف العلم ، فقيل : وكيف ذاك يا ابا المعتمر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء اذا خالفنا في الحديث قلنا : تعال إلى من سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم . (٢)

ويلغ به الورع في آخر حياته إلى الامتناع في كثير من الاحيان عن التحديث ، خوفا من ان يخلط فيه فكان اذا قيل له : الا تحدثنا ؟ يقول : ان من يكثر بهجر . (٣)

(١) تهذيب التهذيب : ح ١ ص ٣٧٦ .

(٢) التاريخ الكبير ، للبخارى - القسم الثاني من الجزء الاول :

ص ٢٨ ، ط / دار الكتب العلمية .

(٣) سمر اعلام النبلاء : ح ٣ ص ٤٠٣ ، وقوله : بهجر من هجر فسي

كلامه : اذا خلط فيه واذا هذى .

ترتيب القاموس المحيط : مادة (هجر) ح ٤ ص ٤٨١

نماذج من تفسيره القرآن الكريم :

وكما مر فأنس بن مالك - رضي الله عنه - كان من أكثر الصحابة ملازمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - خدعه سنوات طويلة ، وهذا الأمر يعده أعدادا خاصا ليكون من أصحاب المنهج النقلي في التفسير . وهذا ما نلاحظه في كتب التفسير بالمأثور ، فعلى الرغم من ان هذه الكتب حافلة بأقوال كثيرة لأنس رضي الله عنه ، إلا أن المتأمل فيها يجدها أحاديث مرفوعة الى النبي - صلى الله عليه وسلم - في الاغلب ، وهذا كثير ، ومنه :

(١) في قوله تعالى : ﴿ وَظِلٌّ مُمْدُودٍ ، وَوَاءٌ مَسْكُوبٍ ﴾ (١)

اخرج البخارى (٢) واحمد والترمذى : عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وان شتم فأقروا ﴿ وَظِلٌّ مُمْدُودٍ ﴾ *
﴿ وَوَاءٌ مَسْكُوبٍ ﴾ (٣)

-
- (١) سورة الواقعة : الآيتان " ٣٠ ، ٣١ " .
(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير : ح ٦ ص ١٨٣ ، تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : ح ٩ ص ١٨٠ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، ومسنده احمد : ح ٣ ص ١٣٥ .
(٣) الدر المنثور : ح ٦ ص ١٥٧ .

(٢) وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ (١)

عن أنس - رضي الله عنه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال : " - في الشجرة الخبيثة - هي الحنظلة " . (٢)

(٣) وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (٣)

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لما عرج بي

رأيت ادريس في السماء الرابعة " (٤)

طرق الرواية عن أنس :

يعتبر أنس بن مالك - رضي الله عنه - شيخ السادة من علماء التابعين

امثال ثابت البناني ، ومحمد بن سيرين ، والحسن البصرى ، وسعيد بن جبير
وقتادة وغيرهم كثير من اخذوا عنه ورووا له^(١) ومن اصح طرق الرواية عن أنس .

(١) سورة ابراهيم : الآية " ٢٦ " .

(٢) تفسير الطبرى : ح ١٦ ص ٥٨٥ ، تحفة الاحوذى بشرح جامع

الترمذى ، كتاب التفسير : ح ٨ ص ٥٤٥ .

(٣) سورة مريم : الآية " ٥٧ " .

(٤) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : ح ٨ ص ٦٠٣

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(١) ؟ ؟

أولا : طريق عبد الله بن محمد عن يونس بن محمد عن شيبان عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه .

وهذه طريق صحيحة أخرج منها البخاري ومسلم واحمد .

ثانيا : طريق علي بن عبد الله عن ازهر بن سعد عن ابن عون عن موسى بن أنس عن أنس .

وهذه طريق صحيحة أخرج منها البخاري .

ثالثا : طريق روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع عن سعيد بن قتادة عن أنس .

وهذه ايضا طريق صحيحة اخرج منها البخاري والترمذي واحمد .

رابعا : طريق ابوالنعمان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس .

وهذه طريق صحيحة اخرج منها البخاري ومسلم (١)

وفاة أنس رضي الله عنه :

اختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره ، فقليل : مات سنة احدى وتسعين ، وكان عمره مائة سنة وسبع سنين ، وقيل غير ذلك .
وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة ، وكان موته بقصره بالطف ، ودفن هناك على فرسخين (١) من البصرة - رضي الله عنه - . (٢)

(١) الفرسخ : ثلاثة اميال هاشمية ، او اثنا عشر الف ذراع ، او عشرة

الاف ، ترتيب القاموس المحيط : مادة (ف ر س خ) :

ح ٣ ص ٤٦٩ .

(٢) اسد الغابة : ح ١ ص ١٥١ .

حجية التفسير المأثور عن الصحابة :

قال النووي : " وأما قول من قال تفسير الصحابي مرفوع فذاك

في تفسير يتعلق بسبب نزول آية أو نحوه " . (١)

قال الزركشي : " تفسير الصحابي بمنزلة المرفوع الى النبي صلى الله

عليه وسلم كما قاله الحاكم في تفسيره " . (٢)

ولكن هناك تفصيل في هذه المسألة أورده الزركشي في

البرهان :

" قال : الحق أن علم التفسير منه ما يتوقف على النقل

كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل ، ومنه ما لا يتوقف ويكفي

في تحصيله التفقه على الوجه المعتبر . . . واعلم أن القرآن قسمان : قسم ورد

تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد ، والاول اما ان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم

أو الصحابة أو رؤوس التابعين ، فالأول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر

في تفسير الصحابي فان فسر من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلا شك في اعتماده

اوبما شاهده من الاسباب والقرائن فلا شك فيه " (٣) .

(١) تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى ، للسيوطي : ١٩٢/١ ،

ط / دار الفكر .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ج ٢ ص ١٥٧ .

(٣) ج ٢ ص ١٧١ ، ١٧٢ .

نستخلص من هذا النص مايلي :

- ١ - ان مرفعه الصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مرفوع .
- ٢ - مفسره الصحابي فيما يتعلق بسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم والمجمل مما لا دخل للرأى فيه ، فهو في حكم المرفوع .
قال ابن كثير في مقدمة تفسيره :
" وحينئذ اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى اقوال الصحابة فانهم ادرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والاحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ولا سيما علماءهم وكبراءهم كالاثمة الاربعة الخلفاء الراشدين : والائمة المهتدين المهديين وعهد الله بمن مسعود - رضي الله عنهم - " (١)

مميزات التفسير في عهد الصحابة :

- ١ - لم يفسر القرآن كله ، لان الصحابة رضي الله عنهم - لقرب عهدهم بالوحي ومعاصرتهم لنزوله لم يكونوا بحاجة الى ان يفسروا من القرآن الا ماغض عليهم ان كلما ابتعد الناس عن عصر النبوة كانوا اكثر حاجة لتفسير القرآن الكريم .

(١) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٣ .

٢ - قلة الاختلاف بين الصحابة في فهم معانيه ، لان عقيدتهم كانت نقيضة واتجاهاتهم كانت موحدة وافكارهم متقاربة وخالية من التكلف .

٣ - وكانوا يكتفون بالمعنى الاجمالي ولا يلزمون انفسهم بتفهم معانيه على سبيل التفصيل وكانوا ايضا كثيرا ما يقتصرون على ادراك المعنى اللغوي الذي فهموه بأخصر لفظ . فيكفي ان يفهموا من مثل قوله تعالى :

* وَفَاكِهَةٌ وَأَبًا * (١)

انها تعداد للنعم التي انعم الله بها على عباده ، وقد تراجع

عمر بن الخطاب في البحث عن الاب في قوله تعالى :

* وَفَاكِهَةٌ وَأَبًا *
وقال : انه التكلف يا عمر (٢)

٤ - كان التفسير في هذه المرحلة جزءا من الحديث النبوي وفرعا من فروعه .

٥ - لم يكن التفسير مرتبا حسب النزول بل كانت تفاسيرهم متناثرة كما كان الشأن في رواية الحديث .

٦ - ندرة الاستنباط الفقهي من الآيات الكريمة لعدم جهلهم في الغالب

بالامور الفقهية ان كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقه

لا يحكم الشرع ما ظهروا غضة في اذنانهم وهم الذين عاشوها مع الرسول

صلى الله عليه وسلم . (٣)

(١) سورة : عيس : الآية " ٣١ " .

(٢) تفسير ابن كثير : ح ١ ص ٥٥ .

(٣) انظر التفسير والمفسرون : ح ١ ص ٩٧ ، ٩٨ .

الفصل الثاني

المفسرون من التابعين

المبحث الأول : تراجم لأهم أتباع عبد الله بن عباس

المبحث الثاني : تراجم لأهم أتباع عبد الله بن مسعود

المبحث الثالث : تراجم لأهم أتباع أبي بن كعب

المبحث الأول

تراجم الأهم أتباع عبد الله بن عباس

- مجاهد بن جبر

- عكرمة مولى ابن عباس

- عطاء بن أبي رباح

مجاهد بن جبر

ترجمته :

مجاهد بن جبر المكي ابو الحجاج المخزومي المقرئ مولد في
السائب بن ابي السائب ، كان مولده سنة احدى وعشرين في خلافة
عمر - رضي الله عنه - .

روى عن علي وسعد بن أبي وقاص ، والعبادلة الأربعة (١) ،
وأبي سعيد الخدري ، ورافع بن خديج ، وخلق كثير .
وروى عنه : ايوب السختياني ، وعطاء ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار
وآخرون .

مكانته العلمية :

وثقه كثير من العلماء وشهدوا له بالعلم والفضل ، قال ابن معين ،
وأبو زرعة عنه : " ثقة " .
وقال ابن سعد : " كان ثقة فقيها سالما كثير الحديث " .
وقال ابن حبان : " كان فقيها ورعا عبدا متقنا " .
وقال ابو جعفر الطبري : " كان قارئا عالما " .
وقال العجلي : " مكي تابعي ثقة " .
وقال الذهبي في آخر ترجمته : " اجمعت الأمة على امامة
مجاهد والاحتجاج به " .

(١) العبادلة الأربعة هم : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ،
وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو ، مقدمة ابن الصلاح :
ص ١٤٧ ، ط : دار الكتب العلمية .

وقال عبد السلام بن حرب عن مصعب : " كان اعلمهم بالتفسير مجاهد ، وبالحج عطاء " .

وقال الفضل بن ميمون : سمعت مجاهدا يقول : " عرضت القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثين مرة " ، وفي رواية عن مجاهد ايضا قال : " قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات اقف عند كل آية اسأله فمّ نزلت وكيف كانت " (١) .

وقال الثوري عن سلمة بن كهيل : " مارأيت أحدا اراد بهذا العلم وجه الله تعالى الا عطاء وطاووسا ومجاهدا " (٢) .
وكان رحمه الله شديد الرغبة الى معرفة ما لم يثبت له من تفسير الآيات .

روى انه قال : " لو اعلم من يفسر لي الآية :
* وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ * الى قوله :
* فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ * (٣) الى آخر الآية من سورة النساء ،
لضربت اليه اكباز الابل " . (٤)

-
- (١) يقول الدكتور الذهبي : " لا تعارض بين الروایتين لان الاخبار بالقليل لا ينافي الاخبار بالكثير ، ولعل مجاهدا عرض القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثين مرة لتعام الضبط ودقة التجويد وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلبا لتفسيره ومعرفة ما خفي من معانيه " التفسير والمفسرون : ح ١ ص ١٠٤ .
- (٢) انظر تهذيب التهذيب : ح ١٠ ص ٤٢ وما بعدها .
- (٣) الآية : " ٢٤ " .
- (٤) تفسير الطبري : ح ٨ ص ١٦٥ .

كما كان يلتزم العلم اينما كان ويشتاق الى ان يرى الآثار التاريخية بنفسه ، وكان لا يسمع باعجوبة الا أراد رؤيتها ، " قيل انه ذهب الى بئر برهوت بحضرموت " ، وذهب الى باهل وطلب ممن متولّيها ان يوقفه على هاروت وماروت " . (١)

تعلم التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما ، ولزمه مدة ليقرأ عليه القرآن ، وتخصص بالتفسير ، حتى قيل انه اعلم الناس بالتفسير . يقول ابن ابي مليكة : " رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن معه الواح ، فيقول له ابن عباس : اكتب ، قال : حتى سأله عن التفسير كله . " (٢)

لذا اعتمد على تفسيره المحدثون والمفسرون وفي ذلك يقول سفيان الثوري : " اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك " (٣) . ويقول ابن كثير :

" مجاهد احد أئمة التابعين المفسرين ، كان من أخصاء أصحاب ابن عباس ، وكان اعلم اهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل : انه لم يكن احد يريد بالعلم وجه الله الا مجاهد وطاوس " . (٤)

-
- (١) سير اعلام النبلاء : ج ٤ ص ٤٥٥ .
(٢) تفسير الطبري : ج ١ ص ٩٠ .
(٣) تفسير الطبري : ج ١ ص ٩١ .
(٤) البداية والنهاية لابن كثير : ج ٩ ص ٢٢٤ .

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

لمجاهد - رحمه الله - تفسير كبير " وصل اليها برواية
عبد الله بن أبي نجيح (١) وأخذ الطبري من هذا التفسير حوالتي
سبعمئة مرة (٧٠٠) بالرواية التالية :

حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا ابو عاصم النبيل ،
قال : حدثني عيسى بن ميمون المكي ، قال : حدثنا ابن ابي نجيح
عن مجاهد .

بالاضافة الى ان بعض هذا التفسير جاء عن طريق تفاسير
أخرى مثل تفسير ابن جريج ، والثوري ، ومعر بن راشد ، وعبد الرزاق
ابن همام ، وورقاء بن عمر ، وشبل بن عباد . (٢)

ومالا حظته في اثناء قراءتي في بعض كتب التفسير بالمأثور أن
مجاهدا - رحمه الله - في تفسيره لبعض الآيات القرآنية التي يبدو
ظاهرها بعيدا يعمل عقله في حرية واسعة واكثر وينزلها على التشبيه
والتمثيل ، ولعل هذا المسلك الذي اتبعه هو الذي جعل بعض العلماء
يتقون تفسيره . (٣)

(١) عبد الله بن ابي نجيح ابوياسر الثقفي المكي ، من اخص الناس

بمجاهد - رحمه الله - ، وثقه يحيى بن معين وغيره ،

وقال ابن عيينه : هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار ، توفي

سنة احدى وثلاثين ومائة . سير اعلام النبلاء : ح ٦ ص ١٢٥ .

(٢) تاريخ التراث : ح ١ ص ٤٨ .

(٣) وقد مر في الصفحة السابقة توثيق العلماء له .

وبأخذونه بتحفظ لأنه كان يطلب الرأي كثيرا من علماء النصارى
وأخبار اليهود .

ففي ميزان الاعتدال : " ان ابا بكر بن عياش قال : قلت
للأعمش : ما بال تفسير مجاهد مخالف ؟ أو ما بالهم يتقون مجاهدا ؟
كما في رواية ابن سعد ، قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب " (١)

وان صح عن مجاهد انه كان يأخذ عن أهل الكتاب فيستعمل
عنه انه تغافل عن توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :
" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " و (٢) * قُولُوا
آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا * (٣)

وهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما الذي بالغ في النهي
عن الأخذ من أهل الكتاب ولعل أخذه عنهم كان ضمن حدود معينة.

- (١) ميزان الاعتدال : ح ٣ ص ٤٣٩ .
(٢) مسند احمد : ح ٤ ص ١٣٦ ، صحيح البخارى كتاب
التفسير ؛ سورة البقرة باب : (وقالوا اتخذ الله ولدا)
ح ٦ ص ٢٥ .
(٣) سورة البقرة : الآية " ١٣٦ " .

نماذج من تفسيره بالرأى :

١ - عند تفسير قوله تعالى من سورة القيامة :

* 'وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ' * (١)

ينقل ابن كثير تفسير مجاهد الذي فسر الآيتين بقوله :

" تنتظر الشواب من ربها (٢) .

ويبدو أن هذا التفسير عن مجاهد هو الذي اعتمده منكروا رؤية

المؤمنين لربهم يوم القيامة مع ان اهل السنة والجماعة مقرون برواية المؤمنين

ربهم يوم القيامة. (٣)

٢ - وفي قوله تعالى من سورة البقرة :

* 'وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا

قِرَدَةً خَاسِئِينَ * (٤)

ينقل ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية قول مجاهد

هذا : " مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قرده وانما هو مثل ضربه الله لهم

" كمثل الحمار يحمل اسفارا " (٥)

(١) الآيتان : " ٢٢ ، ٢٣ " .

(٢) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ٤٥٠ .

(٣) سيأتي لهذا الموضوع مزيد بيان في الفصل الاول من الباب الثاني

ان شاء الله .

(٤) الآية " ٦٥ " .

(٥) تفسير الطبري : ح ٢ ص ١٧٣ ونرى الطبري يعلق على تفسير

مجاهد في هذه الآية ويخطئه ان يقول : " وهذا القول الذي

قاله مجاهد قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف وذلك ان الله =

٣ - وفي سورة مريم : الآيتان " ٧١ ، ٧٢ "

* وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ، ثُمَّ نُنَجِّي
الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا * *

يقول مجاهد في تفسيرهاتين الآيتين : " ورود المؤمنين النار
هو الحمى التي تصيب المؤمن في دار الدنيا وهي حظ المؤمن من النار

==
اخبر في كتابه انه جعل منهم القردة والخنزير وعيد الطاغوت كما
اخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم : * آرْنَا اللّٰهَ جَهْرَةً * سورة النساء
الآية " ١٥٣ " . وان الله تعالى ذكره اصعقهم عند مسألتهم
ذلك ربهم ، وأنهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وانهم
أمروا بدخول الارض المقدسة فقالوا لنبيهم :
* فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ * سورة المائدة :
الآية " ٢٤ " .

فابتلاهم بالتب ، فسواء قاتل قال : هم لم يمسخوا قردة ،
وقد اعتبر جل ذكره انه جعل منهم قردة وخنزير - وآخر قال : لم
يكن شي * ما اخبر الله عن بني اسرائيل انه كان منهم - من الخلاف
على انبيائهم ، والنكال والعقوبات التي احلها الله بهم . ومن أنكر
شيئا من ذلك وأقر بآخر منه ، سئل البرهان على قوله ، وعورض -
- فيما انكر من ذلك - بما أقر به ، ثم يسأل الفرق من خبر
مستفيض أو أثر صحيح .

هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز
عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه . وكفى دليلا على
فساد قول ، اجماعها على تخطئه " . تفسير الطبري : ج ٢ ص ١٧٣ .

فلا يردّها * (۱)

نماذج من تفسيره اللغوي :

كان مجاهد - رحمه الله - مفسرا لغويا يشرح الالفاظ الصعبة ويفسر العبارات المشككة بما عنده من العلم بأساليب العرب واصطلاحاتهم وتضلعه في لغتهم .

وفي كثير من آثاره التفسيرية يبدو مجاهد لغويا خبيرا ، واليك

بعض الأمثلة التي تدل على ذلك :

(۱) تفسير القرطبي : ح ۱۱ ص ۱۳۸ ، وذكر القرطبي اقوال السلف

في الورد فقال : اختلف الناس في الورد ، فقليل : الورد الدخول ، وروى عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الورد الدخول ، لا يبقى به ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بـردا وسلاما . كما كانت على ابراهيم " - وقد عقب ابن كثير على هذا الحديث بقوله : غريب ولم يخرجوه ، تفسير ابن كثير : ح ۳ ص ۱۲۳ ، - وهذا قول ابن عباس وغيره .

وقيل الورد : المر على الصراط ، وهذا القول مروى عن ابن عباس ايضا وابن مسعود وكعب الاحبار ، وقاله الحسن وقيل : الورد : اشراف واطلاع وقرب . ثم بعد أن ذكر أقوال العلماء في ذلك واختلافهم قال : وظاهر الورد الدخول الا أن النار تكون بردا وسلاما على المؤمنين وينجون منها سالمين " . بتصريف من تفسير القرطبي : ح ۱۱ ص ۱۳۶ وما بعدها .

١ - قال تعالى في سورة الحج ، الآية " ٢٩ " :

* وَلَيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ * .

يقول مجاهد : " اعتق من الجبايرة أن يسلطوا عليه " ،
وفي رواية اخرى في تسمية البيت بالعتيق قال : " لأنه لم يرد أحد
بسوء الا هلك " (١) .

٢ - وفي قوله تعالى في سورة الرعد ، الآية " ٣١ " .

* أَفَلَمْ يَهْتَمِ الَّذِينَ آمَنُوا *

يقول مجاهد : أفلم : يتبين (٢)

(١) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٢١٨ .

(٢) تفسير الطبري : ح ١٦ ص ٤٥٤ .

تفسيره القرآن بالقرآن :

يفسر مجاهد - رحمه الله - القرآن بالقرآن :

- ١- ففي قوله تعالى من سورة فاطر :
- * وَأَنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَنْبِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ * (١) .
- قال : هو كقوله : في سورة الأنعام ، الآية " ١٦٤ " :
- * وَلَا تَزِدُ وَازِرَةً وَّزْرًا أُخْرَىٰ * (٢)

٢- وفي قوله تعالى من سورة العنكبوت :

- * وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ * (٣)
- يقول مجاهد - رضي الله عنه - في تفسير هذه الآية هو -
- كقوله تعالى في سورة النحل ، الآية " ٢٥ " :
- * لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ * وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ * (٤)

ما تقدم يتضح ان مجاهدا - رحمه الله - في منهجه السدى اتبعه في تفسير القرآن الكريم لم يقتصر على اعمال الرأى وسؤال اهل الكتاب ، بل كان الى جانب ذلك يفسر القرآن من الناحية اللغوية على ضوء ما كان معه من معرفة لغة العرب ، وايضا يفسر القرآن بالقرآن .

- (١) الآية " ١٨ " .
- (٢) تفسير مجاهد : ج ٢ ص ٥٣١ ، ط/ مجمع البحوث الاسلامية ، اسلام آباد .
- (٣) الآية " ١٣ " .
- (٤) تفسير مجاهد : ج ٢ ص ٤٩٤ .

وفاته :

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاته ،
قال ابونعيم : مات سنة اثنتين ومائة .
وقال ابن حبان : مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائة
وهو ساجد .
وقال يحيى القطان : مات سنة اربع ومائة . وهو الأشهر . (١)

(١) تهذيب التهذيب : ح ١٠ ص ٤٢ .

عكرمه مولى ابن عباس

ترجمته :

هو: عكرمة القرشي الهاشمي ، ابو عبد الله المدني ، مولى
ابن عباس - رضي الله عنهما - اصله من البربر من أهل المغرب ، كان
لحسين بن ابي الحر العبدي فوهبه لعبد الله بن عباس ، حيث جاء
والباطي البصرة لعلي بن ابي طالب - رضي الله عنه - .
روى عن جابر بن عبد الله ، والحسن بن علي بن ابي طالب ،
وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو
ابن العاص وطائفة . (١) .

وهو : ابراهيم النخعي ومات قبله ، وابو الشعثاء جابر
ابن زيد ، والشعبي وهما من اقرانه وآخرين . (٢)

اختلاف العلماء في توثيقه :

اختلف علماء الجرح والتعديل في توثيق عكرمة - رحمه الله - فمنهم
من وثقه وشهد له بالعلم والفضل ، ومنهم من لم يوثقه وبالتالي لم يـ
عنه .

وفي البداية سأستعرض شهادات الموثقين له ومبلغه من العلم ، ثم
اذكر ما طعن به عكرمه والرد على تلك المطاعن .

(١) تهذيب الكمال في اسما الرجال : ج ٢ ص ٩٥٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٢٦٤ .

شهادات الموقنين له :

كثير من العلماء النقاد اشاروا بمكانة عكرمة العلمية ووثقوه ،

وهاهي أولا : أقوال بعض العلماء في الاشارة بمكانته العلمية :

قال شهر بن حوشب وقد سأله نفر وقد قدم عكرمة ، ألا تأتيه؟

فقال : " ايتوه فانه لم تك أمة الا كان لها حبر وان مولى بن عباس

حبر هذه الأمة " (١) .

وقال ايوب بن عمرو بن دينار : " دفع اليّ جاهر بن زيـد

مسائل اسأل عنها عكرمة ، وجعل يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس

هذا البحر فسلوه " .

وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار : " سمعت ابا الشعثاء

يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا أعلم الناس " .

وقيل لسعيد بن جبير : " تعلم احدا أعلم منك ؟ قال : نعم ،

عكرمة " .

وقال اسماعيل بن ابي خالد سمعت الشعبي يقول : " ما بقي

احد أعلم بكتاب الله من عكرمة " .

وعن قتادة قال : " اعلم الناس بالحلال والحرام الحسن ،

وأعلمهم بالمناسك عطاء ، واعلمهم بالتفسير عكرمة " ، وفي رواية عن قتادة :

" كان عكرمة اعلمهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم " (٢)

(١) تهذيب الكمال : ج ٢ ص ٩٥٠ .

(٢) المرجع السابق : ج ٢ ص ٩٥١ .

وكان مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير ، فلم يسألاه عن ايه الا فسرهما لهما ، فلما نفذ ما عندهما ، جعل يقول : انزلت آية كذا في كذا وانزلت آية كذا في كذا .

وقال سفيان بن عيينة : " سمعت ايوب يقول : لو قلت لك ان الحسن - يعني البصرى - ترك كثيرا من التفسير حين دخل علينا عكرمة البصرة حتى خرج منها لصدقت " .
وكان سفيان الثوري يقول بالكوفة : " خذوا التفسير عن اربعة " ، وذكر عكرمة من هؤلاء الاربعة .

وكان عكرمة يقول : " اني لا اخرج الى السوق فأسمع الرجل يتكلم فيفتح لي خمسون بابا من العلم " .

وقال يحيى بن ايوب المصرى : " قال لي ابن جريج : قدم عليكم عكرمة ، قلت : بلى ، قال : فكنتهم عنه ؟ قلت : لا ، قال فاتكم ثلثا العلم " (١)

وعن ابي سلمة سعيد بن يزيد قال : سمعت عكرمة يقول : " مالكم لا تسألوني افلستم " (٢) .

من النصوص المتقدمة يتضح ان عكرمة كان صاحب مكانة عالية فسي تفسير القرآن الكريم شهد له العلماء بالفضل والعلم ، فقد ظل - رحمه الله - يطلب العلم اربعين سنة ولا عجب في ذلك فهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما

- (١) تهذيب الكمال : ج ٢ ص ٩٥١ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء ص ٩٥٢ .

ترجمان القرآن الذى كان يضع الكبل (١) في رجله ليعلمه القرآن
والسنن ، قال عكرمة : " طلبت العلم اربعين سنة وكان ابن عباس يضع
الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن " (٢)

ففاق اقرانه من التابعين وبلغ في العلم مبلغا عظيما حتى انه
بين لابن عباس بعض ما أشكل عليه في القرآن الكريم ، ففي قوله تعالى :
* وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * (٣)

روى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قال :
" ما أدرى أنجا الذين قالوا : * لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا لَّهِ مُهْلِكُهُمْ * أم لا ؟
قال عكرمة : فلم أزل به حتى عرفته انهم قد نجوا فكساني حلة " (٤)

ثانيا - شهادات العلماء في توثيقه :

قال حماد بن زيد : سمعت ايوب وسئل عن عكرمة كيف هو ؟
قال : لولم يكن عندي ثقة لم أكتب عنه .
وهن حماد بن عبد الله قال : قيل لايوب اكنتم او كانوا يتهمون
عكرمة ؟ قال : اما انا فلم اكن اتهمه .

- (١) الكبل : هو ، القيد ، ترتيب القاموس المحيط : مادة :
(ك ب ل) : ح ٤ ص ٩ .
(٢) طبقات المفسرين للداودي : ح ١ ص ٣٨٠ ط / الأولى .
(٣) سورة الأعراف : الآية " ١٦٤ " .
(٤) تفسير ابن كثير : ح ٢ ص ٢٥٨ .

وقال ابو بكر المروزي ، قلت ل احمد بن حنبل : " يحتج بحدِيث
عكرمه ؟ قال : نعم يحتج بحدِيثه " .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي قلت ليحيى بن معين : " فعكرمة
أحب اليك عن ابن عباس او عبيد الله بن عبد الله ؟ فقال كلاهما ، ولم
يخير ، فقلت : فعكرمة او سعيد بن جبير ؟ فقال : ثقة وثقه ولم يخير .
قال وسألت عن عكرمة بن خالد فقال : ثقة ، قلت : هو أصح حدِيثاً
او عكرمة مولى ابن عباس ، فقال : كلاهما ثقتان " .

وقال العجلي : " مكى تابعي ثقة برى ما يرميه به الناس " .

وقال البخاري : " ليس احد من اصحابنا الا وهو يحتج بعكرمة " .

وقال النسائي : ثقة .

وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم : سألت ابي عن عكرمة مولى ابن

عباس كيف هو ؟ قال : ثقة ، فقلت : يحتج بحدِيثه ؟ قال : نعم

اذا روى عنه الثقات ، وقال : سئل ابي عن عكرمة وسعيد بن جبير ايهما

اطم بالتفسير ؟ فقال : اصحاب ابن عباس عيال على عكرمة " .

وقال ابو احمد بن عدى : " وعكرمة مولى ابن عباس لم أخرج

ههنا من حدِيثه شيئاً لان الثقات اذا رَووا عنه فهو مستقيم الحديث ، الا ان

يروى عنه ضعيف فيكون قد اتى من قبل الضعيف لا من قبله ، ولم يمتنع

الائمة من الرواية عنه ، واصحاب الصحاح ادخلوا احاديثه اذا روى عنه ثقة

في صحاحهم ، وهو اشهر من ان احتاج ان اخرج له شيئاً من حدِيثه وهو

لا بأس به " .

وقال الحاكم ابواحمد : " احتج بحديثه الأئمة القداماء لكن بعض المتأخرين اخرج حديثه من حيز الصحاح . " (١)

وقال ابن مندة في صحيحه : اما حال عكرمه في نفسه فقد عدله أمه من نبلاء التابعين فمن بعدهم وحدثوا عنه واحتجوا بمفاريده فسي الصفات والسنن والأحكام . " (٢)

مطامن من لا يوثقونه :

نقل ابن حجر في - تهذيب التهذيب - مطامن به عكرمه ونسبه الى قائله وهذا بعض منه .

قال ابن لهيعة عن ابي الاسود : " كان عكرمة قليل العقل خفيفا ، كان قد سمع الحديث من رجلين وكان اذا سئل حدث به عن رجل ثم يسئل عنه بعد ذلك فيحدث به عن الآخر ، فكانوا يقولون ما أكذبه .
وقال مصعب الزهيري : " كان عكرمة يرى رأى الخواج ، وزعم ان مولاة كان كذلك " .

وقال ابو خلف الخزاز عن يحيى البكاء : " سمعت ابن عمر يقول لنافع : اتق الله ويحك يا نافع ولا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس " .
وروى عن سعيد بن المسيب انه كان يقول لغلامه برد : " يا برد لا تكذب علي كما يكذب عكرمة على ابن عباس " . (٣)

(١) تهذيب الكمال : ج ٢ ص ٩٥٢

(٢) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٢٧٢ .

(٣) نفس المصدر والجزء ص ٢٦٧ .

وقال جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن ابي زياد : دخلت
على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مقيد على باب الحش ، قال :
قلت مال هذا ؟ قال : انه يكذب على ابي . (١)

وقال ابراهيم بن ميسرة عن طاووس : لو ان مولى ابن عباس
اتقى الله وكف عن حديثه لشدت اليه المطايا . (٢)

ويقال : انه اتفقت جنازته وكثيره بهاب المسجد في يوم
واحد فما قام اليها احد وشيع كثيره خلق كثير . (٣)

الرد على هذه المطاعن :

هذه المطاعن لم تكن تخفى على عكرمة - رحمه الله - ، وكان يفضل ان
يواجهه بها متهموه حتى يستطيع أن يدافع عن نفسه .

قال حماد بن زيد عن ايوب : قال عكرمة : رأيت هؤلاء الذين
يكذبوني من خلفي أفلا يكذبوني في وجهي ، فاذا كذبوني في وجهي فقد
والله كذبوني . (٤) .

أما قولهم : ان عكرمة كان يسمع الحديث من رجلين فاذا سئل حدث
به عن واحد ، فيقولون ما أكذبه .

-
- (١) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٢٦٨ .
 - (٢) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٢٦٧ .
 - (٣) نفس المصدر والجزء : ص ٢٧١ .
 - (٤) نفس المصدر والجزء : ص ٢٦٧ .

فيرد عليه ، بقول حبيب بن ابي ثابت قال : " مرّ عكرمة بعطاء وسعيد بن جبير فحدثهم ، فلما قام قلت لهما : تنكران مما حدث شيئا قالوا : لا " . (١)

وقول ابي اسحاق قال : " سمعت سعيد بن جبير يقول : انكم لتحدثون عن عكرمة بأحاديث لو كنت عنده ما حدث بها ، قال : فجاء عكرمة فحدث بتلك الأحاديث كلها . قال : والقوم سكوت فما تكلم سعيد ، قال ثم قام عكرمة فقالوا : يا ابا عبد الله ماشأنك ؟ قال : اصاب الحديث " . (٢)

وماقاله يحيى البكاء من ان ابن عمر قال لنافع أتق الله ولا تكذب

علي كما كذب عكرمة على ابن عباس فيرد عليه بالآتي :

أ - استشهاد عكرمة ببعض اصحابه على صدقه فيما يروى عن مولا ابن عباس ، عن عثمان بن حكيم قال : " كنت جالسا مع ابي امامة بن سهل بن حنيف ، اذ جاء عكرمة ، فقال : يا ابا امامة اذكرك الله هل سمعت ابن عباس يقول ما حدثكم عكرمة عني فصدقوه فانه لم يكذب علي ، فقال ابو امامة : نعم " . (٣)

ب - قال اسحاق بن عيسى الطباع سألت مالك بن أنس : " ابلغك ان ابن عمر قال لنافع : لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس ، قال : لا . ولكن بلغني ان سعيد بن المسيب قال ذلك لبرد مولا " . (٤)

(١) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٢٦٦ .

(٢) تهذيب الكمال : ج ٢ ص ٩٥٢ .

(٣) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٢٦٥ .

(٤) نفس المصدر والجزء : ص ٢٦٨ .

ح - هذا القول من رواية يحيى البكاء ، " ويحيى البكاء متروك الحديث " (١) .

اما مقاله يزيد بن ابي زياد من ان علي بن عبد الله بن عباس كان يقيد عكرمة ويقول انه يكذب على ابي فيرد عليه بما يلي :
يقول جابر بن زيد : " لا ينبغي ان يعرج على قول يزيد
ابن ابي زياد ، لانه ليس ممن يحتج بنقل مثله ، لان من المحال ان
يعرج العدل بكلام المجرع " (٢) .

بالاضافة الى مقاله عباس الدوري عن ابن معين من ان ابن عباس مات وعكرمة عبد لم يعتق فباعه علي بن عبد الله بن عباس ثم استرده . (٣)
وما قيل من انهم لم يشهدوا جنازته ، فلعل ذلك ان ثبت كان بسبب تطلب الامير له وتغيبه عنه حتى مات ، والذي نقل انهم شهدوا جنازه كثير ، وتركوا عكرمة لم يثبت لان ناقله لم يسم " (٤)
ومارسى به من الميل للخواج ، فافتراء عليه ، قال ابن حجر :
" فاما البدعة ، فان ثبتت عليه فلا تضر حديثه ، لانه لم يكن داعية ، مسع
انها لم تثبت عليه " . (٥)

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ح ١٤ ص ٤٢٧ ؛
" هدى الساري "

(٢) تهذيب التهذيب : ح ٧ ص ٢٧٢ .

(٣) نفس المصدر والجزء : ص ٢٦٥ .

(٤) نفس المصدر والجزء : ص ٢٧٣ .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ح ١٤ ص ٤٢٥ .

" هدى الساري " .

هذا وقد اجمع عامة اهل العلم بالحديث على الاحتجاج بحديث
عكرمة واتفق على ذلك رؤساء اهل العلم بالحديث منهم احمد بن حنبل
وابن راهويه ويحيى بن معين وابوشور ، وسئل اسحاق بن راهوية عن
الاحتجاج بحديث عكرمة فقال : عكرمة عندنا امام الدنيا ، وتعجب من
السؤال .

وقد روى عنه زهاء ثلاثمائة رجل من البلدان منهم زيادة على
سبعين رجلا من خيار التابعين ورفقائهم ، وهذه منزلة لا تكاد توجد لكثير
من التابعين ، على ان من جرحه من الأئمة لم يمسكوا من الرواية عنه ولم
يستغنوا عن حديثه ، وكان يتلقى حديثه بالقبول ويحتج به قرنا بعد
قرن واماما بعد امام ، الى وقت الأئمة الاربعة الذين اخرجوا الصحيح
وميزوا ثابته من سقيه وخطاه من صوابه ، واخرجوا روايته ، وهم البخارى ،
ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، فأجمعوا على اخراج حديثه واحتجوا
به على ان مسلما كان اسوأهم رأيا فيه وقد اخرج عنه مقرونا وعدله بعد ما
جرحه .

فعكرمة قد ثبتت عدالتها بصحبة ابن عباس وملازمته اياه وبأن غير
واحد من العلماء قد رووا عنه وعدلوه ، وكل رجل ثبتت عدالتها لم يقبل منه
تجريح احد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غيره . (١)

(١) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، بتصريف .

نماذج من تفسيره :

بلغت نظرنا في تفسير عكرمة - رحمه الله - السهولة في الشرح ،
والعدوية في التبسيط ، والبعد عن التعقيد ، فهو يجنح دائما الى
المعنى البسيط المباشر للكلمة المراد تفسيرها من القرآن ويأتي به
في صورة مرادف بسيط ودقيق فيفسر مثلا كلمة " أَنْكَالًا " في قوله تعالى :

* إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا * (١)

قال : " قيودا " (٢)

ويفسر البنان في قوله تعالى :

* وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * (٣)

قال : " الاطراف ، ويقال كل مفصل " (٤)

ويفسر الارائك في قوله تعالى :

* هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِينُونَ * (٥)

قال : هي السرر تحت الحجال . (٦)

-
- (١) سورة المزمل : الآية " ١٢ " .
(٢) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ٤٣٧ .
(٣) سورة الانفال : الآية " ١٢ " .
(٤) تفسير الطبري : ح ١٣ ص ٤٣٢ .
(٥) سورة يس : الآية " ٥٦ " .
(٦) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٥٧٥ ، والحجال في اللغة :
ج حجلة ، كالقبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس ،
ترتيب القاموس المحيط : ح ١ ص ٥٩٦ مادة (ح ج ل) .

كما نجد لعكرمة - رحمه الله - العديد من النظرات الفقهية

الصائبة التي ضمنها تفسيره منها ما جاء في قوله تعالى :

* وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ * (١)

قال : اذا طلق الرجل المرأة قبل ان يمسه وقد فرض لها ،

فنصف الفريضة لها عليه ، الا ان تعفو عنه فتركه . (٢)

وفي قوله تعالى من سورة البقرة :

* وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ * (٣)

قال : يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات ،

الله اكبر ، الله اكبر . (٤)

فهو رحمه الله يفسر الايام المعدودات بأيام التشريق ،

بالاضافة الى الجانب الفقهي في تفسيره نجده يذكر سبب نزول الآية

ففي قوله تعالى من سورة النحل :

* لِسَانُ الَّذِي يُبْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ * (٥)

قال : " كان غلام لهنبي عامر بن لوى ، اظنه يقال له يعيش ،

او من أهل الكتاب ، فقالت قريش : " هذا يعلم محمدا " ، صلى الله عليه

وسلم ، فأنزل الله عز وجل : * لِسَانُ الَّذِي يُبْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِيٌّ وَهَذَا

لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ * (٦)

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٣٧ " .

(٢) تفسير الطبرى : ج ٥ ص ١٤٣ .

(٣) الآية " ٢٠٣ " .

(٤) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٢٤٤ .

(٥) الآية : " ١٠٣ " .

(٦) تفسير سفيان الثوري : ص ١٦٧ .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال : سأل اهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله :

* وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا * (١)

فقالوا : تزعم اننا لم نوهت من العلم الا قليلا ، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ، " ومن يوهت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا " ، فنزلت :

* وَلَوْ أَنَّ مَافِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ * (٢) .

وفي تفسيره للآية :

* وَإِنْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * (٣) .

يحكى ما حدث ليلة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فيقول : " لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ، أمر علي بن أبي طالب فنام في مضجعه ، فبات المشركون يحرسونه ، فاذا رأوه نائما حسبوا أنه النبي صلى الله عليه وسلم فتركوه . فلما أصبحوا ثاروا اليه وهم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا هم ، بعلي ، فقالوا : ابن صاحبك ؟ قال : لا ادري ! قال : فركبوا الصعب والذلول (٤) في طلبه (٥) .

(١) سورة الاسراء : الآية " ٨٥ " .

(٢) سورة لقمان : الآية " ٢٧ " ، لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ، ص ١٦٩ .

(٣) سورة الانفال : الآية " ٣٠ " .

(٤) الصعب من الابل ، هو الذي لم يركب قط ، لانه لا ينقاد لراكبه ،

ترتيب القاموس المحيط : ح ٢ ص ٨٢٠ ، ونقيضه " الذلول " :

وهو السهل المنقاد . ترتيب القاموس المحيط : ح ٢ ص ٢٦٥ ،

مادة (ص ع ب) مادة (نل) .

(٥) تفسير الطبري : ح ١٣ ص ٤٩٦ .

يتبين من النماذج المتقدمة ان عكرمة - رحمه الله - كان
عالما بتفسير القرآن الكريم فهو يفسره من الناحية اللغوية ، ويذكر
جانبا من اسباب النزول ، كما كان بارعا في الناحية الفقهية.

وفاته :

مات - رحمه الله - بالمدينة سنة اربع ومائة وهو ابن ثمانين سنة (١)

وقيل غير ذلك .

(١) تهذيب الكمال في اسماء الرجال : ج ٢ ص ٩٥٢ .

عطاء بن ابي رباح

ترجمته :

عطاء بن ابي رباح ، ابو محمد بن اسلم القرشي مولا هم المكي ،
ولد سنة سبع وعشرين من الهجرة ، كان من سادات التابعين فقهياً
وعلماً وورعاً ، (١)

حدث عن عائشة ، وام سلمة ، وام هاني* ، وابي هريرة ، وابن عباس
وطائفة - رضي الله عنهم - . (٢)

وروى عنه : ابنه يعقوب ، وابو اسحاق السبيعي ، ومجاهد
والزهري ، وايوب السخيتاني ، والاعمش ، والأوزاعي ، وابن جريج ،
وخلق كثير . (٣)

كان المسجد الحرام فراشه عشرين سنة ، وكان من احسن
الناس صلاة . (٤)

مكانته العلمية :

كان - رحمه الله - عالماً كثير الحديث ادرك مائتين من
الصحابة كما قال عن نفسه : (ادركت مائتين من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم) (٥)

-
- (١) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ١٩٩ .
 - (٢) سير اعلام النبلاء : ج ٥ ص ٧٩ .
 - (٣) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ١٩٩ .
 - (٤) سير اعلام النبلاء : ج ٥ ص ٩٨ .
 - (٥) المرجع السابق : ص ٨١ .

" وقال عنه محمد بن عبد الله الديباج : مارأيت مفتيا خيرا من عطاء انما كان مجلسه ذكر الله لا يفتر فان سئل احسن الجواب .
وقال اسماعيل بن امية : كان عطاء يطيل الصمت فاذا تكلم خيل اليه انه يؤيد .

وقال عبد الله بن عباس : يا اهل مكة تجتمعون عليّ وعندكم عطاء ؟
وعن عمرو بن سعيد عن ابيه قال : قدم ابن عمر - رضي الله عنهما - مكة فسأله ، فقال : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء ؟ " (١)
" وعن ابي جعفر الباقر قال : " خذوا عن عطاء ما استطعتم " .
وقال " ما بقي على ظهر الأرض احد اعلم بمناسك الحج من عطاء " .
وكان يقول للناس - وقد اجتمعوا - : عليكم بعطاء ، هو والله خير لكم مني " . (٢)

وروى ابراهيم بن عمر بن كيسان قال : اذكرهم في زمان بني أمية بأمرؤن في الحج مناديا بصيح : لا يفتي الناس الا عطاء بن أبي رباح ، فان لم يكن عطاء ، فعبد الله بن أبي نجيح .

وقال ابو حازم الأعرج : فاق عطاء أهل مكة في الفتوى .

ومن قتادة قال : قال لي سليمان بن هشام : هل بالبلد - يعني مكة - احد ؟ قلت : نعم ، اقدم رجل في جزيرة العرب علما ، فقال : من ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح .

(١) تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ٩٨ .

(٢) سير اعلام النبلاء : ج ٥ ص ٨١ .

ومن قتادة ايضا قال : اذا اجتمع لي اربعة ، لم التفت الي
غيرهم ولم اهل من خالفهم : الحسن ، وابن المسيب ، وابراهيم ،
وعطاء ، هولاة ، أئمة الأمصار .

وجاء اعرابي يسأل فأرشد الي سعيد بن جبير فجعل الاعرابي
يقول : اين ابو محمد ؟ فقال سعيد : مالنا ههنا مع عطاء شي .
ومن أبي حنيفة قال : مارأيت فيمن لقيت افضل من عطاء .

وقال الثوري ، عن سلمة بن كهيل : مارأيت احدا يريد بهذا
العلم وجه الله غير هولاة الثلاثة : عطاء ، وطاووس ، ومجاهد (١) .

منهجه في التفسير :

كان - رحمه الله - يتخرج من القول في القرآن برأيه ، فـ
سئل عن مسألة فقال : لا أدري ، فقل له الا تقول فيها برأيك ؟ قال :
اني استحي من الله ان يدان في الأرض برأبي . (٢)

ولعل تحرجه من القول في القرآن برأيه كان سببا في اقلاله من
الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما مع انه كان احد تلاميذه القريبين منه
اذا ما قورنت بمجاهد وسعيد بن جبير - رحمهما الله - .

ولكن هذا الامر لم يقلل من قيمته العلمية فقد انتهت اليه فتوى
أهل مكة .

(١) سير اعلام النبلاء : ح ٥ ص ٨١ وما بعدها . باختصار وتصرف .

(٢) تهذيب التهذيب : ح ٧ ص ٢٠٤ .

نماذج من تفسيره :

لعطاء - رحمه الله - تفسير * وفيما بيدوان هذا التفسير لم يكن كبيراً وقد استخدمه الطبري بالرواية الآتية :

القاسم بن الحسن الهمداني (المتوفي سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥ م)

- الحسين بن داود المصيصي (المتوفي سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤٠ م) -

حجاج بن محمد المصيصي (المتوفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) - ابن جريج

(المتوفي سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) . كما ان الثعلبي افاد من هذه

التفسير في كتابه الكشف والبيان * . (١)

أولاً - تفسيره بالمنقول من الأقوال :

١ - قال تعالى : * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَآخِوَانُكُمْ * (٢) .

روى ابن جرير الطبري عن ابن جريج قال : سألت عطاء بن

أبي رباح عن قوله : * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ

تُخَالِطُوهُمْ فَآخِوَانُكُمْ * قال : لما نزلت سورة النساء عزل الناس طعامهم

فلم يخالطوهم . قال : ثم جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : انا

يشق علينا ان نعزل طعام اليتامى وهم يأكلون معنا ! فنزلت :

* وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَآخِوَانُكُمْ * (٣)

(١) تاريخ التراث العربي : ج ١ ص ٥١ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٢٢٠ " .

(٣) تفسير الطبري : ج ٤ ص ٣٥٢ .

٢ - وفي قوله تعالى : من سورة الأنفال : الآية " ٦٥ " :

* اِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا بِأَتْتِنَ *

قال عطاء - رحمه الله - في تفسير هذه الآية ، كان لا ينبغي

لواحد أن يفر من عشرة فخفف الله عنهم . (١) وهذا هو قول ابن عباس

- رضي الله عنهما - (٢)

ثانيا - تفسيره الاجتهادى :

١- قال تعالى : * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً * (٣)

الآية .

قال عطاء - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : يعقوب النافله ،

والنافله عطية . (٤)

٢ - وفي قوله تعالى : * وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا * (٥)

روى الطبرى عن عبد الملك بن ابي سليمان قال : " سألت عطاء

ابن ابي رباح عن قول الله جل ثناؤه : * وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا * قال :

من لقيت من الناس فقل له حسنا من القول " . (٦)

(١) تفسير سفيان الثورى : ص ١٢١ .

(٢) تفسير ابن كثير : ح ٢ ص ٣٢٤ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية " ٧٢ " .

(٤) تفسير سفيان الثورى : ص ٢٠٢ ، ويرى ابن عباس وقتادة رضي الله

عنهم ان النافله : ولد الولد ، يعني ان يعقوب ولد اسحاق .

ابن كثير : ح ٣ ص ١٨٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية " ٨٣ " .

(٦) تفسير الطبرى : ح ٢ ص ٢٩٦ .

٣ - وفي قوله تعالى :

* وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
وَلَا يُصْلِحُونَ * (١)

عبر عطا - رحمه الله - عن فساد هؤلاء القوم - وهم طغاة
ثمود ، قوم سيدنا صالح - بأنهم كانوا يقرضون الدراهم .
يعني أنهم كانوا يأخذون منها ، وكانهم كانوا يتعاملون بها
عددا كما كان العرب يتعاملون . (٢)

وفاته :

مات عطا - رحمه الله - سنة اربع عشرة ومائة ، وقيل سنة
خمس عشرة ومائة ، والاول هو المشهور . (٣)

(١) سورة النمل : الآية " ٤٨ " .

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ٣٦٧ .

(٣) سير اعلام النبلاء : ٨٨/٥ .

المبحث الثاني

تراجم الأهم اتباع عبد الله بن مسعود

- علقمة بن قيس

- مسروق بن الأحمق

- الحسن البصري

- قنادة بن دعامة السدوسي

علقمة بن قيس

ترجمته :

علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة ، كنيته ابو شبل ،
" كناه بذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " (١) ولد في حياة
رسول الله صلى الله عليه وسلم .
روى عن : عمر ، عثمان ، وعلي ، وسعد ، وحذيفة ،
وابي الدرداء ، وابن مسعود ، وابي موسى ، وعائشة ، وغيرهم .
وعنه : ابن اخيه عبد الرحمن بن يزيد بن قيس ، وابن اخته
ابراهيم بن يزيد النخعي وجماعة . (٢)

مكانته العلمية :

كان علقمة من اعلام الهدى والتقى والورع والاستقامة ، قال عنه
الامام احمد : " ثقة من اهل الخير " .
وقال عثمان بن سعيد : قلت لابن معين علقمة احب اليك
أوعبيدة ؟ (٣) فلم يخير . قال عثمان : كلاهما ثقة ، وعلقمة أعلم
بعبد الله (٤) .

-
- (١) الطبقات الكبرى : ج ٦ ص ٨٦ .
 - (٢) تهذيب التهذيب : ج ١ ص ٢٧٦ .
 - (٣) هو : عبدة بن عمرو السلماني المرادى الكوفي ، سبق التعريف
به في الفصل الأول ص (٦٨) .
 - (٤) تهذيب التهذيب : ج ٨ ص ٢٧٧ .

قال الامام الذهبي : " كان فقيها اماما بارعا طيب الصوت بالقرآن ، ثبتا فيما ينقل صاحب خير وورع . كان يشبه ابن مسعود فسي هديه ودله وسمته وفضله " (١)

قال قابوس بن ابي ظبيان قلت لأبي : لآى شي * كنت تدع الصحابة وتأتي علقمة ؟ قال : " ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون علقمة ويستفتونه " .

وقال عبد الرحمن بن يزيد : قال ابن مسعود : " ما أقرأ شيئا وما أعلم شيئا الا وعلقمة يقرؤه ويعلمه " . (٢) قبل يا أبا عبد الرحمن : " والله ما علقمة بأقرئنا " قال بلى انه والله لا قرؤكم " .

وكان علقمة يقول لاصحابه : " امشوا بنا نزد دايمانا - يعني يتفقون - " (٣) .

كان - رحمه الله - " يقرأ القرآن في خمس أو ست ليال ، وكان حسن الصوت جيد التلاوة ، حتى انه كان يقرأ على عبد الله بن مسعود ، وفي حجر عبد الله المصحف فيعجب ابن مسعود من قراءته فيقول له : رتل فداك ابي وامي " (٤)

-
- (١) تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ٤٨ .
(٢) المرجع السابق : ج ١ ص ٤٨ .
(٣) حلية الأولياء : ج ٢ ص ٩٩ .
(٤) الطبقات الكبرى : ج ٦ ص ٩٠ .

قال منصور عن ابراهيم : كان اصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة ويصدر الناس عن رأيهم ستة . علقمة والاسود وذكر الباقيين .

وقال غالب ابوالهذيل ، قلت لابراهيم : اعلقمة كان افضل أو الاسود ، فقال : علقمة .

وقال مرة الهمداني : كان علقمة من الربانيين (١)

كان علقمة يتوقى الشهرة ، فقد قال له الصحابة : " لو صليت في المسجد وتجلس ونجلس معك ، فنسأل ؟ قال : اكره ان يقال : هذا علقمة " (٢)

(١) تهذيب التهذيب : ج ٨ ص ٢٧٧ .

(٢) الطبقات الكبرى : ج ٦ ص ٨٨ .

نماذج من تفسيره :

نرى لعلقة بن قيس نظرات تفسيرية فقهية متناثرة لا يجمعها الا رباط من الاجتهاد الصائب ، ولا بد من وجود هذه النظرات الفقهية في ذلك الوقت والذي لم يزل مبكرا ، وذلك تأثرا بنشاط استاذة ابن مسعود رضي الله عنه الذي كان له بلا شك صداه في كافة الدوائر العلمية في ذلك العصر ، واليهك بعض النماذج :

(١) روى ابن جرير عن علقمة في قوله تعالى :

* فَإِنْ أَحْضَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَخْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ * فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ آذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ * (١) قال : " اذا أهل الرجل بالحج فأحصر ، بعث بما استيسر من الهدى ، شاة . فان عجل قبل ان يبلغ الهدى محله - حلق رأسه ، أو مس طيبا ، أو تدأوى - كان عليه فدية من صيام أو صدقة أو نسك ، والصيام ثلاثة ايام ، والصدقة ثلاثة أصع (٢) على ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع ، والنسك شاة " (٣)

(١) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .

(٢) الصاع : الذي يكال به وتدور عليه احكام المسلمين وهو اربعة امداد

كل مد رطل وثلاث والرطل اربع حفنات بكفي الرجل المعتدل الكفين ،

ترتيب القاموس المحيط : ح ٢ ص ٨٦٧ .

(٣) تفسير الطبري : ح ٤ ص ٧٢

(٢) وفي قوله تعالى من سورة البقرة : * وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ * (١)
روى ابن جرير الطبري عن علقمة في (الذي بيده عقدة النكاح) ، قال :
الولي (٢) .

(٣) وفي قوله تعالى :
* فَإِذَا آمَنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعْ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ * (٣)
قال : " اذا برأ الرجل فمضى من وجهه ذلك حتى أتى البيت ، حل من حجه بعمره ، وكان عليه الحج من قابل ، وان هو رجع ولم يتم الى البيت من وجهه ذلك ، فان عليه حجة وعمره ودما لتأخيره العمرة ، فان هو رجع متمتعا في اشهر الحج ، فان عليه ما استيسر من الهدى ، شاه ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع " (٤)

الامثلة المتقدمة بينت بعض النواحي الفقهية في تفسير علقمة - رحمه الله -

وقد اقتصر على بيان هذه الناحية لانها الغالبة في تفسيره .

وفاته :

مات سنة احدى وستين من الهجرة ، وله من العمر تسعون عاما (٥) وقيل

غير ذلك في تاريخ وفاته وعمره .

-
- (١) الآية " ٢٣٧ " .
 - (٢) تفسير الطبري : ج ٥ ص ١٤٩ .
 - (٣) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .
 - (٤) تفسير الطبري : ج ٤ ص ٨٩ .
 - (٥) تهذيب التهذيب : ج ٨ ص ٢٧٨ .

مسروق بن الأجدع

ترجمته :

هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن وداعة
الهمداني الوداعي الكوفي العابد من كبار التابعين ، يكنى بأبي عائشة
قال مسروق قال لي عمر : ما اسمك ؟ قلت : مسروق بن الاجدع .
قال : الاجدع شيطان ، انت مسروق بن عبد الرحمن .
روى عن ابي بكر الصديق ، وعمر وعثمان وعلي ، ومعاذ بن جبل ،
وخباب بن الارت ، وابن مسعود ، وابي بن كعب ، وجماعة .
وروى عنه ابن اخيه محمد بن المنتشر بن الاجدع ، وابو وائل ،
وابو الضحى والشعبي وابراهيم النخعي وغيرهم (١)

مكانته العلمية :

ادرك - رحمه الله - الصدر الاول من الصحابة وروى عنهم - كما
سبق - ولكنه كان مكثرا عن ابن مسعود ، روى عنه الكثير ، وكان اعلم
اصحاب ابن مسعود ، سئل الشعبي عن مسألة فقال : " مارأيت احدا اطلب
للعلم في أفق من الآفاق من مسروق " .

وقال الشعبي : خرج مسروق الى البصرة الى رجل يسأله
عن آية ، فلم يجد عنده فيها علما ، فأخبر عن رجل من أهل الشام ،
فقدم علينا ههنا ، ثم خرج الى الشام الى ذلك الرجل في طلبها . " (٢)
وقال ايضا : " كان مسروق اعلم بالفتوى من شريح وكان شريح
اعلم بالقضاء " .

(١) تهذيب التهذيب : ج ١٠ ص ١٠٩ .

(٢) حلية الاولياء : ج ٢ ص ٩٦ .

وذكره منصور بن المعتمر عن ابراهيم ، في اصحاب ابن مسعود
الذين كانوا يعلمون الناس السنة . " (١) .
" وكان شريح يستشير مسروقا " (٢) ، وهذا يدل على أن
ثقة القاضي شريح كبيرة في علم مسروق ومقدرته .
كما كان - رحمه الله - كثير العبادة ، مجهد نفسه فيها ،
" روى انس بن سيرين عن امرأة مسروق انه كان يصلي حتى تورم قدماه ."
وقال شعبة : " حج مسروق فلم ينم الا ساجدا " (٣)

توثيق العلماء له :

وثقه كثير من العلماء النقاد وشهدوا له بالعلم والفضل .
قال عنه ابن عيينة : " مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه احد . "
وقال علي بن المديني : " ما اقدم على مسروق من اصحاب عبد الله
احدا " . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : " كان من عباد أهل
الكوفة " .
وقال عنه اسحاق بن منصور : " لا يسئل عن مثله " .
وقال العجلي : " كوفي تابعي ثقة ، وكان احد اصحاب
عبد الله الذين يقرئون ويفتون " .
وقال ابن سعد : " كان ثقة وله احاديث سالحة " (٤)

-
- (١) تهذيب التهذيب : ج ١٠ ص ١١٠ .
(٢) الطبقات الكبرى : ج ٦ ص ٨٣ .
(٣) تهذيب التهذيب : ج ١٠ ص ١١٠ .
(٤) المصدر السابق : ج ١٠ ص ١١٠ - ١١١ .

نماذج من تفسيره :

استفاد مسروق - رحمه الله - في تفسير القرآن الكريم من علمه بأسباب النزول فكان كثيرا ما يذكر سبب نزول الآية ، ففي قوله تعالى :
* لَمِنَ بَأْمَانِكُمْ وَلَا أُمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ * (١).

اخرج ابن جرير عنه قال : " تفاخر النصارى واهل الاسلام ، فقال هؤلاء : نحن افضل منكم ، وقال هؤلاء : نحن افضل منكم ،

فأنزل الله قوله تعالى في سورة النساء : الآية " ١٢٣ " :

* لَمِنَ بَأْمَانِكُمْ وَلَا أُمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ * (٢)

وفي قوله تعالى : * وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ

تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ * (٣).

اخرج ابن ابي حاتم عن مسروق قال : قال اصحاب محمد

صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما ينبغي لنا ان نفارقك فانك لو

قدمت لرفعت فوقنا ، ولم نرك فأنزل الله :

* وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. * الآية (٤)

وفي قوله تعالى في سورة الانبياء :

* وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ

الْقَوْمِ وَكُنَّا لَهُمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ * (٥)

(١) سورة النساء : الآية " ١٢٣ " .

(٢) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٨٣ .

(٣) سورة النساء : الآية " ١٣ " .

(٤) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٧٤ .

(٥) الآيتان : " ٧٨ ، ٧٩ " .

يقول : الحرث عنب (اِنْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) قال ،
بالليل ، فحكم فيها داود عليه السلام أن تدفع اليهم الغنم ، قال
سليمان : ما قال داود ؟ قالوا : دفع اليهم الغنم . فقال : لو كنت
انا ، لم ادفعها ، ولكن كنت اجعلها لهم ينتفعون بأصوافها وألبانها
وسمنها ، ويقوم اصحاب الغنم بالحرث ، حتى يصيرونه الى مثل ماكان ،
ثم ترد عليهم الغنم ويردون الحرث على اربابه . فأنزل الله عز وجل :
* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ * (١)

فهو في هذا المثال الأخير يفسر نوع الحرث بقوله : انه العنب
ويحكي ما حكم به داود عليه السلام وما دار من حديث بين سيدنا سليمان
عليه السلام وبين القوم .

ونجد مسروقا - رحمه الله - لا يكتفى في تفسيره لآي القرآن الكريم
بذكر سبب النزول فحسب بل يفسر الآي ايضا بذكر شيء من امور الآخرة ،
ففي قوله تعالى من سورة البقرة :

* وَيَشِرُّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ * (٢) .

يقول : نخل الجنة نضيد (٣) من اصلها الى فرعها ،
وشرها أمثال القلال ، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى ، وما وهها
يجرى في غير اخدود * (٤)

(١) سورة الأنبياء : الآية " ٧٩ " ، تفسير سفيان الثوري : ص ٢٠٢

(٢) الآية " ٢٥ " .

(٣) نضيد : يقال : نضدت المتاع بعضه على بعض القيته فهو

منضود ونضيد ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني :
ص ٤٩٦ ، ط / دار المعرفة .

(٤) تفسير الطبري : ج ١ ص ٣٨٤ .

وهو كما مر كان مكثرًا عن ابن مسعود رضي الله عنه ، فنجده

ينقل تفسيره للآية : * حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُوا : مَاذَا

قَالَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * (١)

يقول : سئل ابن مسعود عن هذه الآية : * حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ

عَنْ قُلُوبِهِمْ * فقال : رفعه عن قلوبهم ، ثم يكمل مسروق - رحمه الله -

تفسير الآية بقوله : اذا تكلم الله بالوحي ، سمع اهل السماوات صلصلة

كصلصلة الحديد على الصفوان (٢) فيفزعون فيخرون سجدا ويظنون انه

من امر الساعة فاذا رفعه عن قلوبهم ، ينادوا :

* مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : الْحَقَّ . وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ * (٣)

ويسأل ابن مسعود عن قوله تعالى :

* وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ

رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * (٤)

فيقول ابن مسعود رضي الله عنه : " ارواح الشهداء عند الله

كطير خضر ، تأوى الى قناديل معلقة بالعرش ، تسرح في الجنة حيث

شامت " (٥)

(١) سورة سبأ : الآية " ٢٣ " .

(٢) الصفوان : الحجر الصلد الضخم ويسمى صفاه ، ترتيب القاموس

المحيط : ج ٢ ص ٨٣٤ ، مادة (ص ف و) .

(٣) سورة سبأ : الآية " ٢٣ " ، تفسير سفيان الثوري : ص ٤٢٣

(٤) سورة آل عمران : الآية " ١٦٩ " .

(٥) تفسير سفيان الثوري : ص ٧ .

وهو ايضا لا يكتفي بالسؤال عن تفسير الآية بل يفسر قوله

تعالى : * حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ * (١)

بقوله : " المحافظة عليها : المحافظة على وقتها ، وعدم

السهو عنها " (٢)

وفاته :

مات - رحمه الله - سنة ثلاث وستين من الهجرة (٣) على

الأشهر .

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٣٨ " .

(٢) تفسير الطبرى : ج ٥ ص ١٦٨ .

(٣) تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ٥٠ .

الحسن البصرى

ترجمته :

" الحسن بن ابي الحسن البصرى ابو سعيد ، واسم ابي الحسن يسار ، مولى الانصار ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر -رضي الله عنه- . وروى ان امه كانت خادمة لام سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وربما بعثتها في حاجة فيبكي الحسن فتناوله ثديها ، فأوا ان تلك الحكم التي رزقها من بركات ذلك .

وروى ان ام سلمة اخرجته الى عمر - رضي الله عنه - فدعا له

فقال : " اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس " (١) .

روى عن أبي بن كعب وسعد بن عباد ، وعمر بن الخطاب - رضي الله

عنهم - ولم يدركهم .

وروى عنه : حميد الطويل ، وايوب ، وقتادة ، وعوف الاعرابي ،

وبكر بن عبد الله المزني (٢) .

(١) طبقات الفقهاء : ص ٨٧ .

(٢) تهذيب التهذيب : ح ٢ ص ٢٦٤ .

مكانته العلمية :

شهد له العلماء بغزارة العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واحكام الحلال والحرام .

سئل انس بن مالك عن مسألة ، فقال : سلوا مولانا الحسن فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا .

وقال ابو قتاده العدوي : الزموا هذا الشيخ يعني الحسن ، فما رأيت أحدا أشبه رأيا بعمر بن الخطاب منه .

وروى بلال بن ابي بردة قال : سمعت ابي يقول : والله لقد ادركت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما رأيت احدا أشبه باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الشيخ ، يعني الحسن . (١)

وقال علي بن زيد : ادركت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب ، وذكر آخرين ثم قال : فلم أر مثل الحسن ، ولو ان الحسن ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رجل لا يحتاجوا الى رأيه . (٢)

وقال مطر الوراق : كان جابر بن زيد رجل اهل البصرة ، فلما ظهر الحسن كان كأنما جاء من الاخرة فهو يخبر عما رأى وعانين .
وقال ابو عوانة عن قتادة : ماجالست فقيها قط الا رأيت فضل الحسن عليه .

(١) طبقات الفقهاء : ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وقال بكر المزني : من سره ان ينظر الى اعلم عالم ادر كناه في زمانه فلينظر الى الحسن فما ادر كنا الذي هو اعلم منه .

وقال ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس : اختلفت الى الحسن عشر سنين او ماشاء الله فليس من يوم الا سمع منه ما لم يسمع قبل ذلك . وكان اذا ذكر عند ابي جعفر يعني الباقر قال : ذاك الذي يشبه كلامه كلام الانبياء .

وقال محمد بن سعد : كان الحسن جامعا عالما رفيقا ثقة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً .

وقال العجلي : تابعي ثقة رجل صالح صاحب سنة . (١)

نماذج من تفسيره :

أقواله في التفسير المنقول :

=====

قال تعالى في سورة البقرة :

* وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ

فَعَمْرٍ إِخْرَاجٍ * (٢)

روى ابن جرير الطبري عن عكرمة والحسن البصري قالا :

* وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى

الْحَوْلِ فَعَمْرٍ إِخْرَاجٍ *

(١) تهذيب التهذيب : ح ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) الآية " ٢٤٠ " . ونلاحظ ان هذه الآية منسوخة وقد تأخرت في ترتيب الآيات عن الآية الناسخة * وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا * سورة البقرة الآية " ٢٣٤ " ، فالمنسوخ يتقدم على الناسخ نزولاً اما في ترتيب المصحف فقد يأتي الناسخ قبل المنسوخ

نسخ ذلك بآية الميراث وما فرض لهن فيها من الربع والثلث ،
ونسخ اجل الحول أن جعل أجلها اربعة اشهر وعشرا * (١)
وفي قوله تعالى :

* وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا * (٢)

قال الحسن : هو الرجل يطلق ويقول : كنت لاعيا او يعتق
أو يترك ويقول كنت لاعيا فأنزل الله : * وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا *
فالزم الله بذلك . (٣)

ثانيا - تفسيره الاجتهادى :

١ - قال تعالى : * لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ
تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لِهِنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ
مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ * (٤)

كان الحسن يقول : لكل مطلقة متاع دخل بها اولم يدخل بها
وان كان قد فرض لها .

وسئل عن رجل طلق امرأته قبل ان يدخل بها ، وقد فرض لها
هل لها متاع ؟ قال : نعم والله ! فقليل للسائل أو ما تقرأ هـذ
الآية :

(١) تفسير الطبرى : ج ٥ ص ٢٥٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٢٣١ " .

(٣) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٢٨١ .

(٤) سورة البقرة : الآية " ٢٣٦ " .

* وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً
فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ * (١)

قال : نعم والله ! (٢) .

٢ - وفي قوله تعالى : * وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي
الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا
سُلَيْمَانَ * (٣)

روى ابن ابي حاتم عن اياس بن معاوية لما استفتى اياه الحسن
فبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : يا ابا سعيد بلغني أن القضاة
رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ، ورجل مال به الهوى فهو في
النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة ، فقال الحسن البصرى :
ان فيما قص الله من نبي داود وسليمان عليهما السلام والانبياء حكما يرد
قول هؤلاء الناس عن قولهم ، قال الله تعالى :

* وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَثَتْ فِيهِ غَنَمُ
الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ *

فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود . (٤)

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٣٧ " .

(٢) تفسير الطبرى : ج ٥ ص ١٢٥ .

(٣) سورة الانبياء : الآيتان " ٧٨ ، ٧٩ " .

(٤) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ١٨٦ .

٣ - وفي قوله تعالى في سورة البقرة :

* رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً * (١)

قال الحسن في قوله تعالى : * آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً * ،

أى : الرزق الطيب والعمل النافع في الدنيا ، * وفي الآخِرَةِ

حَسَنَةً * ، أى : الجنة . (٢)

٤ - وفي قوله تعالى : * وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ * (٣) .

قال : (الْقَانِعَ) : هو المتعفف الذى لا يسأل .

(وَالْمُعْتَرَّ) : الذى يتعرض لك . (٤)

وفاته :

مات بالبصرة سنة عشر ومائة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة . (٥)

(١) الآية : " ٢٠١ "

(٢) تفسير سفیان الثورى : ص ٦٥ .

(٣) سورة الحج : الآية " ٣٦ " .

(٤) تفسير سفیان الثورى : ص ٢١٤ .

(٥) طبقات الفقهاء : ص ٨٧ .

قتادة بن دعامة السدوسي

ترجمته :

هو : قتادة بن دعامة بن قتادة بن سدوس ، اهو الخطاب
السدوس البصرى ، ولد سنة احدى وستين من الهجرة .

روى عن أنس بن مالك ، وعبد الله بن سرجس وابي الطفيل ،
وسعيد بن المسيب ، وعكرمة ، وجابر بن زيد والحسن البصرى ومحمد
ابن سيرين وغيرهم .

وعنه : ايوب السختياني ، وحماد بن سلمة ، والاوزاعي ،
والليث بن سعد ، وابوعوانة وآخرون (١)

مكانته العلمية :

كان - رحمه الله - قوى الحافظة شهد له معاصروه بذلك ،
قال عمر بن عبد الله : " لما قدم قتادة على سعيد بن المسيب " جعل
يسأله أيما وأكثر فقال له سعيدا كل ما سألتني عنه تحفظه ؟ قال : نعم ،
سألتك عن كذا فقلت فيه كذا ، وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا ، وقال فيه
الحسن كذا ، حتى رد عليه حديثا كثيرا ، قال : فقال سعيد : ما كنت
اظن ان الله خلق مثك " .

(١) تهذيب التهذيب : ج ٨ ص ٣٥١ .

وشهد له ابن سيرين بقوة الحافظة ايضا فقال : " قتادة احفظ

الناس " (١)

وقال معمر : " قال قتادة لسعيد بن ابي عروبة : يا أبا النضر

خذ المصحف ، قال : فعرض عليه سورة البقرة فلم يخطي * فيها حرفا

واحدا ، وقال : فقال : يا أبا النضر احكمت ؟ قال : نعم ، قال

لأننا لصحيفة جابر بن عبد الله احفظ مني لسورة البقرة ، قال : وكانت

قرئت عليه " . (٢)

وبجانب قوته الحافظة فقد كان على مبلغ عظيم من العلم ، حتى

قال فيه سعيد بن المسيب : " ما أتاني عراقي أحسن من قتادة " . (٣)

قال معمر : " قيل للزهري : اقتادة اعلم عندك ام مكحول " (٤) ؟

قال : لا بل قتادة ، ما كان عند مكحول الا شي * يسير .

(١) تهذيب التهذيب : ج ٨ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٧ ص ٢٢٩ .

(٣) تهذيب التهذيب : ج ٨ ص ٣٥٣ .

(٤) هو : مكحول بن عبد الله ، ابو عبد الله ، من سبي كابل ،

وكان معلم الامام الأوزاعي .

قال الزهري : العلماء أربعة ، سعيد بن المسيب بالمدينة ،

وعامر الشعبي بالكوفة ، والحسن بن ابي الحسن بالبصرة ،

ومكحول بالشام ، مات سنة ثمان عشرة ومائة وقيل : ثلاث عشرة ،

طبقات الفقهاء ، للشيرازي : ص ٧٥ .

وقال معمر ايضاً : " كنا نجالس قتادة ونحن احداث ، فنسأل
عن السند فيقول مشيخه حوله : مه ان ابا الخطاب سند ، فيكسرونسا
عن ذلك " . (١)

وقال ابو حاتم :

" سمعت احمد بن حنبل وذكر قتاده فأطنب في ذكره ، فجعل
ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقاه
وقال : قلما تجد من يتقدمه اما المثل فلعلم " . (٢)

توثيق العلماء له :

وثقه كثير من العلماء وشهدوا له بالعلم والفضل .

قال ابن سعد : " كان ثقة مأمونا حجة في الحديث ، كان يقول
بشيء من القدر " . ولعل هذا الامر جعل بعض الرواة يتخرجون من
الرواية عنه .

وقال ابن حبان في الثقات : " كان من علماء الناس بالقرآن والفقاه
ومن حفاظ اهل زمانه " .

وقال يحيى بن معين : " ثقة " .

وقال ابو زرعة : " قتادة من اعلم اصحاب الحسن " .

وقال ابو حاتم : " اثبت اصحاب انس الزهري ثم قتادة " (٣)

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : ج ٧ ص ٢٣٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : ج ٨ ص ٣٥٤ .

(٣) نفس المصدر والجزء : ص ٣٥٥ .

منهجه في التفسير :

كان قتادة - رحمه الله - متمسكا أشد التمسك بالسلفية والبعد عن
الرأى في تفسير القرآن الكريم ، وفي ذلك يقول :

" ما أفئيت بشي من رأى منذ عشرين سنة " (١)

وفي رواية أخرى يقول ابو هلال : " سألت قتادة عن مسألة ،
فقال : لا أدري ، فقلت : قل برأيك ، قال : ما قلت برأى منذ اربعين
سنة " (٢)

ويبدوان قتادة " كان له تفسير كبير الحجم ؛ ذلك لأن الطبرى
ذكر الرواية عن قتادة اكثر من ثلاثة آلاف مرة (٣٠٠٠) بهذه الرواية :
حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن
قتادة " (٣) .

نماذج من تفسيره :

أولا - اقواله في التفسير المنقول :

١ - قال تعالى : * وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ
وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ * (٤)

قال قتادة رضي الله عنه : قيل لعائشة - رضي الله عنها - :
هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشي من الشعر ؟

(١) طبقات المفسرين ، للداودى : ح ٢ ص ٤٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد : ح ٧ ص ٢٢٩ .

(٣) تاريخ التراث العربى : ح ١ ص ٥٢ .

(٤) سورة يس : الآية " ٦٩ " .

قالت رضي الله عنها : كان ابغض الحديث اليه غير أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل به بيت اخي بني قيس فيجعل اوله آخره ، وآخره أوله ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : ليس هذا هكذا يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي " (١)

٢ - وفي قوله تعالى :

* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ * (٢)

نجده يفسر هذه الآية بقول ابن عباس فيقول : " كان ابن عباس رضي الله عنهما - يقول : الآيات التسع : يد موسى ، وعصاه ، والظوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدهر ، والسنين في بواديهن ومواشيهم ، ونقص من الثمرات في امصارهم " (٣)

فقد أتى بكلام ابن عباس ليفسره معنى الآيات التسع .

٣ - وفي قوله تعالى :

* وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ * (٤)

عن معمر عن قتادة قال : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب

الكفار الله ، فأنزل الله :

* وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. * الآية (٥)

(١) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٥٧٩ ، انظر تحفة الاحوذى ، كتاب

الاستئذان والآداب ، باب ما جاء في انشاد الشعر : ح ٨ ص ١٤٠

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الاسراء : الآية " ١٠١ "

(٣) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٦٦ .

(٤) سورة الأنعام : الآية " ١٠٨ "

(٥) لباب النقول في اسباب النزول ، وتفسير ابن كثير : ح ٢ ص ١٦٤

ثانيا - تفسيره الفقهي :

نجد لقتاده - رحمه الله - كثيرا من التفسيرات الفقهية المبنية على نظر واع وإيمان قوى ؛ فهو تلميذ نجيب لمدرسة الفقه السني أرسى أساسها عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - واليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

١ - في قوله تعالى :

* مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْلَادٌ مِنْ غَيْرِ مَضَارٍ * (١)

يروى ابن جرير الطبري عن قتادة في قوله : * غَيْرِ مَضَارٍ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ * (٢) ان الله تبارك وتعالى كره الضرار في الحياة وعند الموت ، ونهى عنه ، وقدم فيه ، " فلا تصلح مضارة في حياة ولا موت " (٣)

٢ - وفي قوله تعالى من سورة النساء :

* فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

تَوَاقِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ * (٤)

قال قتادة : " ردوا ذلك الحكم الى كتاب الله أو الى رسوله صلى الله عليه وسلم بالسؤال في حياته ، او بالنظر في سنته بعد وفاته " (٥)

(١) سورة النساء : الآية " ١٢ " .

(٢) سورة النساء : الآية " ١٢ " .

(٣) تفسير الطبري : ج ٨ ص ٦٥ .

(٤) الآية : " ٥٩ " .

(٥) تفسير القرطبي : ج ٥ ص ٢٦١ .

٣ - وفي قوله تعالى من سورة البقرة :

* فَإِنْ أُحْضِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ * (١)

يروى ابن جرير الطبري عن قتادة في هذه الآية قال : هذا رجل اصابه خوف أو مرض أو حابس حبسه عن البيت ، يبعث بهديه ، فإذا بلغ محله صار حلالا ، فان أمن أو برأ أو وصل الى البيت فهي له عمرة ، وأحلّ ، وعليه عام قابل وان هو لم يصل الى البيت حتى يرجع الى اهله ، فعليه عمرة وحجة وهدى . ثم قال : وهي المتعة التي لا يتعاجم (٢) الناس فيها أن اصلها كان هكذا (٣)

وفاته :

مات - رحمه الله - سنة ثمان عشرة ومائة وهو ابن ست او سبع

وخمسين سنة (٤) وقيل غير ذلك في تاريخ وفاته وعمره .

(١) الآية : " ١٩٦ "

(٢) قوله : " لا يتعاجم الناس . . " اي : لا يشك الناس ولا يتنازعون ولا يختلفون في بيانها ، واصل هذا الحرف من قولهم : " استعجم عليه الامر " ، اي : استبهم والتبس ، لسان العرب :

ح ٢ ص ٦٩٨ .

(٣) تفسير الطبري : ح ٤ ص ٢٢ و ص ٩٠ .

(٤) تذكرة الحفاظ : ح ١ ص ١٢٣ .

المبحث الثالث

تراجم الأهم أتباع أبي بن كعب

- أبو العالیه رفیع بن مهران الوریاحی .

- محمد بن کعب الفرزخی .

- زید بن أسلم .

ابو العالية الرياحي

ترجمته :

هو : رفيع بن مهران ابو العالية الرياحي ، مولاهم البصري ،
أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، ودخل على
ابي بكر الصديق وصلى خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
روى عن علي بن ابي طالب وابن مسعود وابي موسى الاشعري ، وابي ايوب
وابي بن كعب وجماعة . (١)

مكانته العلمية :

من التابعين الذين وثق في علمهم بالقرآن وتفسيره ،
قال عنه " ابن معين وابوزرة ، وابوحاتم : ثقة ، وقال ابن ابي داود :
ليس احد بعد الصحابة اعلم بالقراءة من ابي العالية " (٢)
" أخذ القرآن عن زيد بن ثابت ، وابن عباس ، وعرضه على عمر ، وعين
الربيع بن انس انه قرأ على ابي العاليه " (٣) قال : " قرأ ابو العالية على
أبي بن كعب .
ومن قرأوا عليه شعيب بن الحباب ، والحسن بن الربيع بن أنس ،
والاعمش ، وغيرهم . " (٤)

(١) تهذيب التهذيب : ج ٣ ص ٢٨٤ .

(٢) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : ج ١ ص ٢٥١ .

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء : ج ١ ص ٢٨٤ .

(٤) حلية الاولياء : ج ١ ص ٢٥١ .

منهجه في التفسير :

ذكر السيوطي في الاتقان ان ثمة نسخة كبيرة في التفسير رواها
" ابو جعفر الرازي عن الربيع بن انس عن ابي العالبيه عن ابي بن كعب ، وقد
أخرج منها ابن جرير الطبري في تفسيره ، وابن ابي حاتم كثيرا ، كما أخرج منها
الحاكم في المستدرک ، والامام احمد في مسنده . (١)

وهند تتبع ما جاء في بعض هذه الكتب نلاحظ ان ابا العالبيه في تفسيره
آيات القرآن الكريم كان يتبع المنهج النقلي واليك :

نماذج من تفسيره :

أولا : تفسيره بالمنقول من الأقوال :

(١) أخرج ابن جرير عن ابي العالبيه - رحمه الله - في قوله تعالى :
* قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا
المَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (٢)

قال : قالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان هودا ،
فأنزل الله * قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ .. * الآية (٣)

(٢) وفي سبب نزول قوله تعالى :
* وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا * (٤)

(١) الاتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٤٢ .

(٢) سورة البقرة: الآية " ٩٤ " .

(٣) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٢١ .

(٤) سورة الانعام : الآية " ١٤١ " .

اخرج ابن جرير عنه قال : كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة ثم تسارفوا ،
فنزلت هذه الآية . (١)

(٣) وفي قوله تعالى :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَآيْبَهُتُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ، بَلَى وَعَدَّآ عَلَيْهِ
حَقًّا ﴾ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَآ يَعْلَمُونَ ﴿ (٢)

اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عنه قال : " كان لرجل من المسلمين على
رجل من المشركين دين ، فأتاه بتقاضاه ، فكان فيما تكلم به : والذي ارجوه بعد
الموت انه كذا وكذا ، فقال له المشرك : انك تزعم انك تبعث من بعد الموت ،
فأقسم بالله جهد يمينه : لا يبعث الله من يموت ، فنزلت الآية " (٣)

ثانيا - تفسيره الاجتهادي :

وردت عن ابي العالية قطع كبيرة في التفسير (٤) من ذلك ما جاء فسي

قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)

روى ابن جرير عن الربيع بن انس عن ابي العالية في قوله : ﴿ تَبْتُ

إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ قال : " كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : انا اول

من آمن بأنه لا يبرك احد من خلقك الى يوم القيامة " . (٦)

(١) لباب النقول : ص " ١٠٤ " .

(٢) سورة النحل : الآية " ٣٨ " .

(٣) لباب النقول في اسباب النزول : ص ١٣٣

(٤) حلية الاولياء : ج ٢ ص ٢٢٠

(٥) سورة الاعراف : الآية " ١٤٣ " .

(٦) تفسير الطبرى : ج ١٣ ص ١٠٣ .

(٢) وفي قوله تعالى :

* وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * (١)

روى ابن جرير عن الربيع عن ابي العالبيه : * وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي

ثَمَنًا قَلِيلًا * ، يقول : لا تأخذوا عليه أجرا . قال : وهو مكتسوب

عندهم في الكتاب الاول : يا ابن آدم ، علم مجاننا كما علمت مجاننا " . (٢)

(٣) وفي قوله تعالى . من سورة التوبة :

* وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ . . . * (٣)

روى ابن جرير عن الربيع بن أنس عن ابي العالبيه قال : كل

ما ذكره الله في القرآن من " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " ،

ف " الأمر بالمعروف " ، دعاء من الشرك الى الاسلام ، و " النهي عن

المنكر " ، النهي عن عبادة الاوثان والشياطين " . (٤)

وفاته :

مات ابو العالبيه سنة تسعين ، وقيل : سنة ثلاث وتسعين من الهجرة ،

والاصح الاول . (٥)

-
- (١) سورة البقرة : الآية " ٤١ " .
- (٢) تفسير الطبري : ج ١ ص ٥٦٥ ، والمجان : عطية الشي بلا منة ولا ثمن
- ترتيب القاموس المحيط : ج ٤ ص ٢٠٧ مادة (م / ج / ن) .
- (٣) الآية " ٧١ " .
- (٤) تفسير الطبري : ج ١ ص ٣٤٨ والذي أراه تبعا للمفسرين أن النصوص
- عامّة في كل معروف وكل منكر .
- (٥) تهذيب التهذيب : ج ٣ ص ٢٨٤ .

محمد بن كعب القرظي

ترجمته :

هو محمد بن كعب بن سليم بن اسد القرظي ، ابو حمزة ، وقيل : ابو عبد الله المدني من خلفاء الأوس ، وكان ابوه من سبى قريظة ، سكن الكوفة ثم المدينة . قال الترمذى : " سمعت قتبية يقول : " بلغني ان محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم " وقال ابو داود : " انه سمع قتبية ايضا يقول انه رآه " . ولكن يبدو ان هذه الأقوال غير صحيحة ، لان ابن حجر يقول : " ان ماتقدم نقله عن قتبية من انه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لا حقيقة له ، وانما الذى ولد في عهده هو ابوه ، فقد ذكروا انه كان من سبى قريظة ممن لم يحتلم ولم ينبت ، فخلوا سبيله " . روى عن العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعمرو بن العاص ، وابي زر ، وابي الدرداء ، وآخرين ، ويقال ان الجميع مرسل ، كما روى عن ابي بن كعب بالواسطة . وروى عنه ، اخوه عثمان ، ويزيد بن السهاد ، والوليد بن كثير ، ومحمد بن المنكدر وآخرون . (١)

مكانته العلمية :

شهد له العلماء بالعلم والورع وكثرة الحديث والعدالة . قال ابن سعد : " كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا " وقال العجلي : " مدني تابعي ثقة ، رجل صالح عالم بالقرآن " (٢)

(١) تهذيب التهذيب : ح ٩ ص ٤٢١ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

” وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، وقال عون بن عبد الله :
مارأيت احدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وامتدح المعجلي فيه
علمه به . ” (١)

وقال ابن حبان : ” كان من افاضل اهل المدينة علما وفقها ” (٢)

نماذج من تفسيره :

ما جاء عنه في التفسير في قوله تعالى :

١ - * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا * (٣)

روى ابن جرير الطبري عن أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي

” أنه كان يقول في هذه الآية : * اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا * ،

يقول : اصبروا على دينكم ، وصابروا الوعد الذي وعدتكم ، ورابطوا

عدوى وعدوكم حتى يترك دينه لدينكم ” (٤)

٢ - وفي قوله تعالى من سورة النساء :

* يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا

مُوسَى أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ . . . * الى قوله : * وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَيَّ

مَزِيمٌ مَبْهَتَانَا عَظِيمًا * (٥)

روى ابن جرير عنه انه قال : جاء اناس من اليهود الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان موسى جاء بالألواح من عند الله ،

فأتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك ! فأنزل الله :

(١) غاية النهاية في طبقات القراء : ح ٢ ص ٢٢٣ .

(٢) تهذيب التهذيب : ح ٩ ص ٤٢١ .

(٣) سورة آل عمران : الآية ” ٢٠٠ ” .

(٤) تفسير الطبري : ح ٧ ص ٥٠٢ .

(٥) الآيات : ” ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ” .

* يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ . . * الى
قوله : * وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * (١)

٣ - وفي قوله تعالى من سورة الأنفال : الآية " ٤٧ " :

* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَّرِثَاءَ النَّاسِ * .

روى ابن جرير الطبري عنه انه قال : لما خرجت قريش من مكة الى
بدر ، خرجوا بالقيان (٢) والدفوف ، فأنزل الله : * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَّرِثَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ
مُحِيطٌ * (٣)

٤ - وما اخرجه الطبري ايضا عن محمد بن كعب القرظي ما جاء في قوله تعالى :

* أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ * (٤) .

عن ابي صخر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر
طلحة بن شيبه من بني عبد الدار ، والعباس بن عبد المطلب ، وعلي بن
ابي طالب ، فقال طلحة : انا صاحب البيت ، معي مفتاحه ، لو اشاءت فيه !
وقال العباس : انا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو اشاءت في المسجد !
وقال علي : ما ادرى ماتقولان ، لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس ، وانا
صاحب الجهاد ! فأنزل الله :

(١) تفسير الطبري : ح ٩ ص ٣٥٦ . سورة النساء : الآيات من ١٥٣ الى ١٥٦

(٢) القيان : واحدها قبينة ، وتعني الأمة المغنمية ، ترتيب القاموس المحيط

ح ٣ ص ٧٢٦ .

(٣) تفسير الطبري : ح ١٣ ص ٥٨١ .

(٤) سورة التوبة : الآية " ١٩ " .

* أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . . * (١) الآية

ما تقدم من الامثلة يتضح ان محمد بن كعب القرظي رحمه الله كان من المصادر التي اعتمد عليها ابن جرير الطبري في تفسيره ، فقد أخرج عنه - غير هذا - قدرا كبيرا .

وانا كانت معرفة أسباب النزول ضرورة للمفسر ، فان ما اخرج الطبري عنه في هذا المجال قد ساعده دون شك على فهم كثير من الآيات القرآنية . كذلك اذا كانت معرفة احوال من نزل فيهم القرآن من الاهمية بمكان لمن يتصدى لبيان القرآن وتفسيره فاننا نقول ان الطبري قد افاد من ذلك الشيء الكثير بما اخرج عنه .

ولم يكن الطبري وحده هو الذي صنع ذلك ، وانما توجد نقول كثيرة (٢) تدل على ان الثوري وابن اسحاق والبيهقي قد نقلوا عنه اخبارا في اسباب النزول واحوال من نزل فيهم القرآن .

وفاته :

كان رحمه الله يقص في المسجد ، فسقط عليه وعلى اصحابه سقوف فمات هو وجماعة معه تحت الهدم سنة ثمانى عشرة ومائة وهو ابن ثمان وسبعين سنة (٣) وقيل في تاريخ وفاته وعمره غير ذلك .

(١) سورة التوبة : الآية " ١٩ " ، تفسير الطبري : ج ١٤ ص ١٧١ .

(٢) راجع لباب النقول في اسباب النزول ، للسيوطي ص : ٢٨ ، ٦٦ ،

١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ٢٢٦ .

(٣) تهذيب التهذيب : ج ٩ ص ٤٢٢ .

زيد بن اسلم

ترجمته :

هو زيد بن اسلم العدوي أبو اسامة ويقال : ابو عبد الله المدني الفقيه ، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
روى عن ابيه ، وابن عمر ، وابي هريرة ، والسيدة عائشة ، وجابر ابن عبد الله ، وانس بن مالك ، وغيرهم .

وعنه : أولاده الثلاثة اسامة وعبد الله وعبد الرحمن ، كما روى عنه الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة ، وابن عجلان ، وابن جريح ، وايوب السخستاني ، ومعر وهشام والسفيانان وجماعة . (١)

مكانته العلمية :

من سادات التابعين الذين شهد لهم العلماء بغزارة العلم والثقة فيما يروونه ،

قال الامام احمد وابوزرعة وابوحاتم ومحمد بن سعد والنسائي وابن فراس : " ثقة " .

وقال يعقوب بن شيبة عنه : " ثقة من اهل الفقه والعلم وكان عالما بتفسير القرآن " (٢)

وماشهد به هؤلاء العلماء لزيد رحمه الله كان معروفا به بين معاصريه حتى اتنا نجد علي بن الحسين يجلس اليه متخطيا مجالس قومه ،

(١) تهذيب التهذيب : ج ٣ ص ٣٩٥ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

فقال له نافع بن جبير : " تتخطى مجالس قومك الى عبد عمر بن الخطاب ، فقال علي بن الحسين : انما يجلس الرجل الى من ينفعه في دينه . "

وكانت لزيد بن اسلم حلقة علم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو حازم الاعرج : " لقد رأيتنا في مجلس زيد بن اسلم اربعين فقيها ادنى خصلة فينا التواصي (١) بما في ايدينا ، ومارأيت فيه متاربيها ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا " (٢) .
وقد وردت عنه " الرواية في حروف القرآن ، وأخذ عنه القراءة شييه ابن نواح ، واخذ عنه مالك التفسير " (٣) .

منهجه في تفسير القرآن :

كان زيد بن اسلم رحمه الله يكثر من تفسير القرآن برأيه ولا يتحرج من ذلك ولكنه كان ثقة عدلا .

قال حماد بن زيد عن عبيد الله بن عمر : " لا أعلم به بأسا الا انه يفسر برأيه القرآن ويكثر منه " (٤) .

شهد عبيد الله بن عمر لزيد بن اسلم بالثقة والعدالة الا انه اخذ عليه اكثره من القول بالرأى ، فلعل عبيد الله بن عمر كان كغيره من الصحابة والتابعين الذين كانوا يتحرجون من القول في القرآن برأيهم ، على ان زيدا

- (١) والمقصود كل واحد منا يواصي اخاه بما عنده .
- (٢) طبقات المفسرين ، للداودي : ح ١ ص ١٧٦ .
- (٣) غاية النهاية في طبقات القراء : ح ١ ص ٢٩٦ .
- (٤) تهذيب التهذيب : ح ٣ ص ٣٩٦ .

كان فيما يبدو يجيز القول بالرأى الذى يعتمد على الشواهد ويقوم على الاستنباط ولا حرج في ذلك فقد توفرت لديه الشروط اللازمة للمفسر ، فأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم متوفرة عنده ، وهو واسع العلم ، كما انه احاط بأسباب النزول ، وعرف احوال من نزل فيهم القرآن ، واكبر الظن ان اتجاه زيد بن اسلم الى اعمال الرأى في النص القرآني والاستناد الى الدلائل في تفسيره لم يمنعه من ان يقول بالمأثور في الآيات التي وردت فيها اقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج ابن ابي حاتم عنه قال :

١ - لما نزلت : * قُلْ هُوَ الْقَابِضُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا ، وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ * (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " (٢) بالسيوف ، قالوا : ونحن نشهد ان لا اله الا الله ، وانتك رسول الله ، فقال بعض الناس : لا يكون هذا ابدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون ، فنزلت : * أَنْظِرْ كَيْفَ نَصَرُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * (٣)

(١) سورة الانعام : الآية " ٦٥ " .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب الانصات للعلماء : ج ١ ص ٤١ .

(٣) سورة الانعام : الآيات " ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ " ، لباب النقول في

اسباب النزول ، للسيوطي : ص ١٠٢ .

٢ - ايضاً أخرج ابن ابي حاتم عن زيد بن اسلم في قوله تعالى :

* وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ اَنْ صَدُّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اَنْ تَعْتَدُوْا * (١)

قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد بيبة واصحابه حين صد هـم المشركون عن البيت ، وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم اناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة ، فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : نصد هؤلاء كما صدوا اصحابنا ، فأنزل الله : * وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ * الآية (٢) .

٣ - وأخرج ابن اسحاق وابو الشيخ عن زيد بن اسلم في قوله تعالى :

* يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِنْ تَطِيْعُوْا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِيْنَ اٰتَوُا الْكِتٰبَ يَرُدُّوْكُمْ بَعْدَ اِيْمَانِكُمْ كٰفِرِيْنَ * (٣) .

قال : مر شاس بن قيس ، وكان يهودياً على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاظه مارأى من تألفهم بعد العداوة ، فأمر شاباً معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعثت ففعل ، فتنازعوا وتفاخروا حتى وشب رجلان : أوس بن قبيظي من الأوس ، وجبار بن صخر من الخزرج ، فتقاولا وغبض الفريقان وتواثبوا للقتال ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حتى وعظهم واصلح بينهم ، فسمعوا واطاعوا ، فأنزل الله في أوس وجبار ومن كان معهما :

* يَا اَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا اِنْ تَطِيْعُوْا فَرِيْقًا مِّنَ الَّذِيْنَ اٰتَوُا الْكِتٰبَ * الآية ،

وفي شاس بن قيس قوله تعالى في سورة آل عمران : الآية " ٩٩ " .

* قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتٰبِ لِمَ تَصَدُّوْنَ عَن سَبِيْلِ اللّٰهِ * (٤)

وفي هذه الأمثلة يتبين أن زيدا - رحمه الله - تناول التفسير بالمأثور في الآيات التي وردت فيها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعرض لاسباب النزول ، واحوال من نزل فيهم القرآن .

- (١) سورة المائدة : الآية " ٢ " .
- (٢) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٨٦ .
- (٣) سورة آل عمران : الآية " ١٠٠ " .
- (٤) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٥٥ .

واليك نماذج من تفسيره بالاجتهاد :

١ - روى ابن جرير الطبري عن يعقوب بن عبد الرحمن قال : " قلت لزيد

ابن اسلم : من * الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ * (١)

قال : هم الذين يشهدون الصبح * (٢)

٢ - وفي قوله تعالى : * لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ

فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * (٣)

يقول زيد رحمه الله : " ان المخاطب بذلك النبي صلى الله عليه

وسلم .

والمعنى على قوله يكون : " لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل

(١) سورة آل عمران : الآية "١٢".

(٢) تفسير الطبري : ج ٦ ص ٢٦٢ ، وحكى ابن جرير الطبري ثلاثة

اقوال في المراد من قوله تعالى : * وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ * ،

احدهما : انهم المصلون بالاسحار وهذا قول قتادة رضي الله عنه ،

والثاني : انهم المستغفرون ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في

دعائه : رب امرتني فأطعتك ، وهذا سحر ، فاغفر لي ، وكان

ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليل صلاة ، ثم يقول : يا نافع ،

اسحرنا ؟ فيقول : لا فيعاود ابن عمر الصلاة ، فاذا قال نافع :

نعم ، قعد ابن عمر يستغفر ويدعو حتى يصبح .

وكان أنس بن مالك يقول : امرنا ان نستغفر بالاسحار سبعين استغفارة ،

والثالث : قول زيد بن اسلم المتقدم : هم الذين يشهدون الصبح ،

ثم رجح القول الثاني ، ج ٦ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٢ .

(٣) سورة ق : الآية "٢٢" .

ان يوحى اليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله اليك فبصرك اليوم
حديث " (١)

وفاتمه :

مات سنة ست وثلاثين ومائة من الهجرة .
وكان ابو حازم يقول : " لا اراني الله يوم زيد ، انه لم يبق احد
ارضى لديني ونفسي منه ، فأتاه نعي زيد فعقر فما شهدته " (٢)

(١) تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٢٢٥ ، وفي المراد بالخطاب في قوله :

(لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ...) ثلاثة اقوال :

احدها : المتقدم من كلام زيد بن اسلم .

والثاني : ان المراد بذلك الكافر وهذا القول مروى عن ابن عباس .

والثالث : ان المراد بذلك كل احد من بر وفاجر ، لان الاخرة

بالنسبة الى الدنيا كاليقظة ، والدنيا كالنمام . وهذا مروى عن

ابن عباس ايضا ، والظاهر من السياق ان الخطاب مع الانسان من

حيث هو . والله اعلم .

(٢) تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ١٣٢ ، وفي التهذيب أن أبا حازم

الأعرج الذى أشار اليه الذهبي في تذكرة الحفاظ اسمه سلمة بن

دينار الثمار المدني : ١٤٣/٤ .

حجة التفسير المأثور عن التابعين :

اختلف العلماء في الأخذ بأقوال التابعين في التفسير عند عدم وجود تفسير مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن صحابته رضي الله عنهم .

فقد عدها بعضهم من قبيل الرواية بالمأثور ، لأن غالب تفاسيرهم تلقوها عن الصحابة ، واعتبرها آخرون من قبيل الاجتهاد بالرأى الشخصي لكثرة اختلافهم اكثر من اختلاف الصحابة .

واختلف العلماء ايضا في قبولها والعمل بها .

قال الزركشي : وفي قول التابعين روايتان عن احمد ، واختار ابن عقيل المنع . (١)

وقال شعبة بن الحجاج وغيره : اقوال التابعين في الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم من خالفهم . (٢)

وهذا صحيح ، لكن عمل المفسرين على خلافه ، فقد حكوا في كتبهم اقوالهم لان غالبها تلقوها عن الصحابة .

قال ابن كثير :

اذالم تجد التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، ولا في اقوال الصحابة فقد رجح كثير من الأئمة في ذلك الى اقوال التابعين . (٣)

(١) البرهان في علوم القرآن : ح ٢ ص ١٥٩ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية : ح ١٣ ص ٣٦٨ .

(٣) تفسير ابن كثير : ح ١ ص ٤ .

اما اذا اجمعوا على الشيء ، فلا يرتاب في كونه حجة ، لأنهم
أخذوه عن الصحابة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض
ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك الى لغة القرآن ، أو السنة ،
أو عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك . (١)

اما اختلاف الرواية عن احد - في النسخ والجواز - فلعله يقصد
فيما كان من اقوالهم وآرائهم . (٢)

(١) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٥٠ .

(٢) البرهان في علوم القرآن : ج ٢ ص ١٥٨ .

الباب الثاني

قضايا النفس

الفصل الأول : موقف الصحابة والتابعين من قضايا
القرآن في آيات العصية .

الفصل الثاني : موقف الصحابة والتابعين من قضايا
القرآن في آيات الأحكام .

الفصل الثالث : موقف الصحابة والتابعين من قضايا
القرآن في آيات الأخلاق .

الفصل الأول

موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات
العقيدة

- المبحث الأول : رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا
- المبحث الثاني : مرتكب الكبيرة
- المبحث الثالث : الجن
- المبحث الرابع : اليوم الآخر

المبحث الأول

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا

روية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا

اختلف السلف في روية النبي صلى الله عليه وسلم لربه بعيني رأسه فسي دار الدنيا على قولين ، قول يثبت الروية ، وقول ينفيها مع جواز حدوئها في الدنيا ، فقد سأل موسى عليه السلام ربه الروية ، وهو عليه السلام لا يجهل ما يجوز او يمتنع على ربه .

وقبل الخوض في عرض الأقوال اذكر المعنى اللغوي لكلمة الروية .

جاء في معجم مقاييس اللغة قوله :

" الرأء والهزمة والياء اصل يدل على نظر وابصار بعين أو بصيره ..

والرأى : مارأت العين من حال حسنة ، والعرب تقول : ريته في معنى

رأيته . وتراوى القوم اذا رأى بعضهم بعضاً " (١)

ومن هذا نستطيع ان نقول ان الروية في اللغة تتناول امرين :

روية بصر ، وروية بصيرة ، والتي يعبر عنها بعبارات مختلفة منها القلب والعقل .

بم تكون الروية ؟

الروية تكون بأحد شيئين ، اما بالبصر او بالبصيرة . قال ابن سيده :

الروية : " النظر بالعين والقلب ، وتقول : نظرت الى كذا وكذا من نظر

العين ونظر القلب ، ويقال : رأى روية نظر بالعين ، ورأى رأيا اعتقد

بالعقل ، وروية العين تتعدى الى مفعول واحد نحو رأى زيد القمر ،

(١) معجم مقاييس اللغة : ج ٢ ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

وهي ما تحصل بالمشاهدة والمعاناة ، اما روية القلب فتتعدى الى مفعولين
فيقال : رأيت زيدا عالما ، وهي الروية العلمية التي تحصل بالعلم
والمعرفة ، فهي بمعنى العلم ، والعلم يتعدى الى مفعولين . (١)

واليك أقوال العلماء في الروية :

القول الأول :

اثبات روية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في دار الدنيا : وهذا مذهب
ابن عباس وكعب رضي الله عنهم ، وكان الحسن يحلف على ذلك ، وحكى مثله عن
ابن مسعود وابي هريرة ، ونسبه الامام الواحدى الى انس وعكرمة والحسن والربيع ،
واصحاب هذا القول يعتمدون على الاحاديث الآتي ذكرها ، ونلاحظ انه لم يورد
فيها تقييد للروية بالعين بل جاءت مطلقة .

ومن هذه الاحاديث ما يأتي :

- ١ - حديث ابن عباس الذى رواه الامام احمد في مسنده قال : حدثنا اسود
ابن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : * رأيت ربي تبارك وتعالى * (٢)
- ٢ - وروى الترمذى في صحيحه قال : حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى
اخبرنا أبى اخبرنا محمد بن عمر عن ابى سلمة عن ابن عباس فـ
قول الله : * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَهُ أُخْرَى ، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * (٣) .

-
- (١) لسان العرب : ح ١ ص ١٠٩٢ مادة (رأى) .
 - (٢) مسند الامام احمد : ح ١ ص ٢٩٠ ، وهذا الحديث رجاله رجال الصحيح
كما نص على ذلك الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : ح ١ ص ٧٨
 - (٣) سورة النجم : الآيتان " ١٣ ، ١٤ " .

قال ابن عباس : قد رآه النبي صلى الله عليه وسلم . (١)

ومن الأدلة ما جاء في الصحيحين عن شريك بن عبد الله واللفظ للبخاري - ٣ انه قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم : ايهم هو ؟ فقال اوسطهم : هو خيرهم ، وقال آخرهم : خذوا خيرهم . فكانت تلك الليلة فلم يره حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتلموه ، فوضعه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق جبريل ما بين نحره الى لبتة (٢) حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب .. الى ان قال : حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو ادنى فاوحى الله فيما اوحى اليه خمسين صلاة على امك كل يوم وليلة (٣)

فعلى هذا تكون الضمائر في (دنا) ، و (تدلى) ، و (كان) و (أوحى) لله عز وجل ، وتكون قد حصلت الرواية للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج .

(١) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : ح ٩ ص ١٦٩ ، وقال ابو عيسى :

هذا حديث حسن .

(٢) اللبّة : موضع القلادة من الصدر ، معجم مقاييس اللغة : ح ٥ ص ٢٠٠

مادة (لب) .

(٣) صحيح البخاري : ح ٩ ص ١٨٢ ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى :

* وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا *

٤ - واستدلوا ايضا بما رواه الترمذى ، قال : " حدثنا عمر بن نيهان بسن صفوان الثقفي ، اخبرنا يحيى بن كثير العنبري أخبرنا سلم بن جعفر عن الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال : " رأى محمد ربه ، قلت : اليس الله يقول :

* لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ * (١)

قال : ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، وقد رأى محمد ربه مرتين ، (٢) .

ويؤيده ما رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد قال :

روى الوليد قال : حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنا

خالد بن الجلاح قال : حدثني عبد الرحمن بن عائش الحضرمي قال : " سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " رأيت ربي في احسن صورته فقال : فيم يختصم الملا الاعلى . . . " (٣)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول : ان محمدا صلى الله عليه

وسلم رأى ربه مرتين مرة يبصره ومرة بفؤاده . (٤)

(١) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ " .

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : ح ٩ ص ١٦٨ ، وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٣) كتاب التوحيد ، لابن خزيمة : ص ٢١٥ .

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : ح ١ ص ٧٩ ، وقال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط ورجال رجال الصحيح ، خلا جمهور بن منصور الكوفي ، وجمهور ابن منصور ذكره ابن حبان في الثقات .

وعنه قال : نظر محمد صلى الله عليه وسلم الى ربه ، قال عكرمة : فقلت لابن عباس : نظر محمد الى ربه ؟ قال : نعم ، جعل الكلام لموسى ، والخلة لابراهيم والنظر لمحمد (١) .

وفي تفسير القرطبي : " اجتمع ابن عباس وكعب الاحبار ، فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين ، ثم قال ابن عباس : اتمجبون ان الخلة تكون لابراهيم ، والكلام لموسى ، والروية لمحمد صلى الله عليه وسلم . فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، ثم قال : ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام ، فلكم موسى ، وآه محمد " . (٢)

وروى الترمذى عند تفسير قوله تعالى :

* وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * (٣)

عن طلحة بن خراش ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، يقول : " لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا جابر مالي أراك منكسرا ؟ قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا ، قال : قال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قال : بلى يا رسول الله ، قال : ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجابة ، وأحيا أباك فكلمه كفاحا (٤) ، فقال : تمنّ علي اعطيك ، قال : يارب تحببني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب تبارك وتعالى : انه قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال : وانزلت هذه الآية :

- (١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ١ ص ٧٩ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الاوسط ، وفيه حفص بن عمر العدني ، روى ابن ابي حاتم توثيقه عن ابي عبد الله الطبراني ، وقد ضعفه النسائي وغيره .
- (٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : ج ٩ ص ١٦٦ ، تفسير القرطبي ٥٦/٧
- (٣) سورة آل عمران : الآية " ١٦٩ " .
- (٤) كفاحا : اي مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول ، النهاية في غريب الحديث والاثار : ج ٤ ص ١٨٥ .

* وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا * الآية (١)

فهذا الحديث يفيد تكليم الله لأبي جابر مواجهة ، ويعني ذلك أنه
رآه قبل الناس في الآخرة ، وهذا يؤيد رواية النبي صلى الله عليه وسلم لربه
ليلة الاسراء ان لا يتقدمه الى روئيته احد من امته . (٢)

موقف الامام احمد بن حنبل :

اعتمادا على الاحاديث المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما التي مر
ذكرها بنى الامام احمد رأيه وقال : " نعم رآه حقا ، فان رؤيا الأنبياء حق
ولا يد " . (٣)

يقول النووي نقلا عن صاحب التحرير :

" والحجج وان كانت كثيرة ولكننا لانتمسك الا بالأقوى منها وهو حديث
ابن عباس رضي الله عنهما اتعجبون ان تكون الخلطة لابراهيم والكلام لموسى
والرواية لمحمد صلى الله عليه وسلم " . (٤)

-
- (١) سورة آل عمران : الآية " ١٦٩ " تحفة الأحوذى : ج ٨ ص ٣٦٠ ، وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن
فريب من هذا الوجه ولا نعرفه الا من حديث موسى بن ابراهيم .
وقال ابن القيم : حديث جابر بن عبد الله في كلام الرب لا يبيد اسناده ،
صحيح ورواه الحاكم في صحيحه حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ٢٥٣ .
(٢) صحيح الترمذى بشرح الامام ابن العربي المالكي : ج ١١ ص ١٣٨ .
(٣) زاد المعاد : ج ٣ ص ٣٧ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ٥ ، كتاب الايمان ، باب :
اثبات رواية الله سبحانه وتعالى .

هذا سياق ادلة اصحاب القول باثبات روية النبي صلى الله عليه وسلم
لربه ليلة الاسراء وبيان وجه دلالتها والحق ان بعض هذه الأدلة محتمل
الدلالة ، وبعضها لم يصح رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان ذلك :

١ - الحديث الذى رواه احمد في مسنده من طريق عكرمة عن ابن عباس قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت ربي تبارك وتعالى . "

والحديث الذى رواه الترمذى عن طريق ابي سلمة عن ابن عباس فسي

قوله تعالى :

* وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * (١)

قال ابن عباس : " قد رآه النبي صلى الله عليه وسلم " (٢)

فالروية فيهما مطلقة لم تقيد بعين أو قلب ، ثم قد وردت عن ابن عباس

احاديث صحيحة ذكرت فيها الروية مقيدة بالقلب كما جاء من طريق عطاء عن

ابن عباس قال في قوله تعالى :

* مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * (٣)

قال : رآه بقلبه . (٤)

ومن طريق ابي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى :

* مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُحَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * (٥)

(١) سورة النجم : الآيات ١٣ ، ١٤ .

(٢) تحفة الاحوذى : ح ٩ ص ١٦٩ كتاب التفسير .

(٣) سورة النجم : الآية ١١ .

(٤) تحفة الاحوذى : ح ٩ ص ١٦٩ كتاب التفسير .

(٥) سورة النجم : الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ .

قال : " رآه بفؤاده مرتين " (١)

فهجب حمل المطلق على المقيد في هذه الروايات التي وردت عن ابن عباس حتى يزول التعارض ويتضح المقام .

أما حديث شريك بن عبد الله الذي جاء في الصحيحين وقال فيه :

سمعت انس بن مالك يقول ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاء ثلاثة نفر

فلم يترك العلماء مجالاً للكلام عنه متناً وسنداً حتى يبينوا علله بياناً

كافياً .

قال ابن حجر في قوله : " ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه

قاب قوسين أو أدنى " .

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب يعني صحيح البخارى ، حديث

اشنع ظاهراً ولا اشنع مذاقاً من هذا الفصل ، فانه يقتضي تحديد المسافة بين

احد المذكورين وبين الآخر ، وتمييز مكان كل واحد منهما ، هذا الى ما في

التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذى تعلق من فوق الى اسفل ، قال :

فمن لم يبلغه من هذا الحديث الا هذا القدر مقطوعاً من غيره ولم يعتبره بأول

القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه اما رد الحديث من اصله

واما الوقوع في التشبيه (٢)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ٧ ، كتاب الايمان ، باب

اثبات رؤية الله سبحانه وتعالى .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ج ١٣ ص ٤٨٣ ، كتاب التوحيد ،

باب (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) .

وقد نبه مسلم في صحيحه على ما في رواية شريك من المخالفة ، فقال
بعد سياقه لسند الحديث وبعض متنه :

" وقدّم فيه شيئاً وأخر وزاد ونقص " (١)

وقال النووي في شرحه لصحيح مسلم ، قال الحافظ عبد الحق رحمه الله
في كتابه الجمع بين الصحيحين :

" هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن انس وقد

زاد فيه زيادة مجهولة ، واتي فيه بالفاظ غير معروفة ، وقد روى حديث الاسراء
جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين ، كابن شهاب وثابت البناني وقتادة
- يعني عن انس - فلم يأت احد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ
عند اهل الحديث . " (٢)

بالاضافة الى ان راوى الحديث وهو : شريك قد خالف غيره من
المشهورين في هذا الحديث بأكثر من عشرة اشياء ذكرها صاحب فتح الباري
منها قوله :

" قبل ان يوحى اليه ، وأنه حينئذ فرض عليه الصلاة ، وهذا لا خلاف

بين أحد من أهل العلم انما كان قبل الهجرة بمئة وبعد ان اوحى اليه بنحو اثنتي
عشرة سنة ، ثم قوله : ان الجبار دنا فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى
وهائشة رضي الله عنها تقول : " ان الذي دنى فتدلى جبريل " . (٣)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب الاسراء برسول الله :

٢ ص ٢١٧ ، المصدر السابق نفس الجزء ص ٢١٠ ، وانظر فتح الباري : ح ١٣ ص ٤٨٤

(٢) كتاب التوحيد ، باب ماجاء في قوله عز وجل : * وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا *
فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ح ١٣ ص ٤٨٤ ، كتاب التوحيد

باب قوله : * وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا *

والمشهور في الحديث انه جبريل عليه السلام . فقد روى مسلم فقال :

" حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ، حدثنا علي بن مسهر عن عبد الملك عن عطاء
عن ابي هريرة * وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى * (١) قال : رأى جبريل * (٢)

وروى البخارى في صحيحه : " حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة

عن الشيباني قال : سألت زرا عن قوله تعالى :

* فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * (٣)

قال : أخبرنا عبد الله أن محمدا رأى جبريل له ستمائة جناح * (٤)

وأحاديث اخرى بينت هذا كحديث مسروق الذي في الصحيحين . (٥)

واما مارواه الترمذى عن ابن عباس من طريق عكرمة قال : رأى محمد ربه ،

قلت اليس الله يقول :

* لَا تَدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ * (٦)

(١) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ٤ ، كتاب الايمان ، باب

معنى قوله : * وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى * .

(٣) سورة النجم : الآيتان " ٩ ، ١٠ " .

(٤) صحيح البخارى : ج ٦ ص ١٧٦ كتاب التفسير ، تفسير سورة

" النجم " .

(٥) صحيح مسلم : ج ٣ ص ٨ ، كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية الله

سبحانه وتعالى ، صحيح البخارى : ج ٦ ص ١٧٦ ، كتاب التفسير ،

تفسير سورة " النجم " .

(٦) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ " .

قال : ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذي هو نوره ، وقال أريه مرتين
فظاهره انه لا يقصد الروية بالعين لانها لا تكون من غير تجل ، ان لا يتصور
تجلي الرب بنور ليس نوره حتى تمكن رؤيته ، فيدل الحديث على الروية
التي لا تجلى فيها ، ولا تكون بالبصر اطلاقا وهي روية القلب ، ان البصر
لا يدرك الا المتجلي الظاهر .

ثم لفظ ابن عباس أريه مرتين ما يوهد حمل كلامه على الروية بالنام
أو بالقلب ، وقد حمل شيخ الاسلام ابن تيمية قول ابن عباس على الروية بالنام
فقال :

" ان ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه
بمعنى رأسه بقطة ، ومن حكى ذلك فقد وهم ، وقال : ما ثبت عن الامام احمد
من اثبات روية النبي صلى الله عليه وسلم لربه انما يعني روية المنام فانه سئل
عن ذلك فقال : نعم رآه ، فان روية الانبياء حق ، ولم يقل انه رآه بمعني
رأسه " . (١)

والاحتجاج بحديث اختصام الملأ الاعلى الذي ورد فيه " رأيت ربي
في أحسن صورة " لا يتم لعدم صحته متنا وسندا حيث ان الرواية الصحيحة تخالف
مادل عليه .

وقد قال ابن خزيمة قبل سياقه للحديث : " وقد روى الوليد بن
مسلم خبرا يتوهم كثير من طلاب العلم ممن لا يفهم علم الاخبار انه صحيح من جهة
النقل ، وليس كذلك هو عند علماء اهل الحديث " (٢)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : ج ٦ ص ٥٠٩ ، ٥١٠ ، وتفسير المنار :

ج ٩ ص ١٤٥ .

(٢) كتاب التوحيد ، لابن خزيمة : ص ٢١٤ .

وقال ابن تيمية : " هذا الحديث يروى من طريق ابن عباس ، ومن طريق
ام الطفيل وغيرهما ، وفيه : انه وضع يده بين كتفي ، حتى وجدت بـرد
انامله على صدرى - وهذا لم يكن ليلة المعراج ، فان هذا الحديث كان
بالمدينة .

وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة الصبح ثم
خرج اليهم ، وقال : رأيت كذا وكذا ، وهو من رواية من لم يصل خلفه الا بالمدينة
كأم الطفيل وغيرها ، والمعراج انما كان من مكة باتفاق اهل العلم وينص القرآن
والسنة المتواترة ، كما قال الله تعالى : * سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا
مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى * (١)

فعلم ان هذا الحديث كان رويها نمام بالمدينة ، كما جاء مفسرا في كثير
من طرقه : انه كان رويها نمام " مع ان رويها الانبياء وحي ، لم يكن رويها
بقظة ليلة المعراج " . (٢)

يويد هذا أن الصحيح من روايات الحديث هو ما رواه الترمذى في سننه
واحمد في مسنده (٣) ، ولفظ الترمذى : عن معاذ بن جبل قال :
" احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح حتى
كدنا نترامى عين الشمس فخرج سريعا فتوب بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتجاوز في صلاته ، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا : على مصافكم كما انتم ،

(١) سورة الاسراء : الآية " ١ " .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية : ج ٣ ص ٣٨٢ .

(٣) مسند احمد : ج ٥ ص ٢٤٣ .

ثم انفتل البنا فقال : أما اني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة اني قمت من الليل فتوضأت فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي فاستثقلت فاذا أنا برهسي تبارك وتعالى في احسن صورة ، فقال : يا محمد ، قلت رب لبيك ، قال فيم يختصم الملائكة ؟ (١)

فيجاب على هذا حمل الرواية المطلقة التي جاءت في حديث الوليد بن مسلم ان صحت على المقيدة في هذا الحديث ، والتي ثبتت صحتها حسماً للنزاع وتمشياً مع النصوص الظاهرة .

وأما الرواية التي جاء فيها عن ابن عباس ان محمداً رأى ربه مرتين ، مرة ببصره ومرة بفؤاده ، فقد عارضها ما روى مسلم في صحيحه (٢) عنه في الحديث السابق (٣) وهو انه رأى بفؤاده مرتين .

فهو مخالف لهذا التقسيم في هذا الحديث ، والنصوص الثابتة الصحيحة تعارضه ايضاً وتتفي الرواية البصرية كما في صحيح مسلم عن ابي ذر قال :
" سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال : نور اني أراه . " (٤)

(١) تحفة الأحوزي ، كتاب التفسير ، سورة ص : ح ٦ ص ١٠٦ .

وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ح ٣ ص ٧ ، كتاب الايمان ، باب اثبات روية الله سبحانه وتعالى .

(٣) ص (١٨٧) من هذا الموضوع .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ح ٣ ص ١٢ ، كتاب الايمان ، باب ما جاء في روية الله عز وجل .

والأحاديث التي تعارضه كلها في الصحيح فيجب الأخذ بها ، وقالها مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد في اثباتها له صلى الله عليه وسلم حديث مرفوع .

والرواية التي من طريق عكرمة والتي قال فيها : قلت لابن عباس : نظر محمد الى ربه ؟ قال : نعم . جعل الكلام لموسى والخلة لابراهيم ، والرواية لمحمد .

وما روى الترمذى عن طريق الشعبي قال : لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شي فكبر . . . الحديث .

ظاهرها الاستنباط ان ليس فيهما رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعارضهما الروايات الصحيحة عنه انه رآه بقلبه ، وانه رآه بفؤاده مرتين ، ثم رواية عكرمة عنه لا يبعد ان تكون ما سمعه من كعب الاحبار ثم حديث عائشة رضي الله عنها المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قولها لمسروق حين احتسج بقوله تعالى :

* وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * (١) * وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى * (٢)

انا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
انما هو جبريل . (٣) .

وهذا الحديث بهذا النص لا يدع لصاحب رأى مقالا .

-
- (١) سورة التكوير : الآية " ٢٣ " .
(٢) سورة النجم : الآية " ١٣ " .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ح ٣ ص ٨ ، كتاب الايمان ، باب اثبات
روية الله سبحانه وتعالى .

وحدیث جابر الذی فیہ تکلم اللہ لابیہ کفاحا ، رواه ابن ماجه والترمذی من طریق واحد ، وقال عنه الترمذی : هذا حدیث حسن فریب من هذا الوجه ، وقال : لانعرفه الا من حدیث موسى بن ابراهیم .
ورواه غیر واحد من كبار اهل الحدیث عن موسى بن ابراهیم (١) .
وقال المبارکفوری فی التحفة :

” قوله أخبرنا موسى بن ابراهیم بن كثير الانصارى الحرامى بفتح المهلة والراء ، صدوق بخطي ” ، وقال عن طلحة بن خراش بكسر المعجمة بعدها راء ابن عبد الرحمن الانصارى المدني صدوق ” . (٢)
ثم ليس هناك طريق اخرى للحدیث تعضده فلا يصح الاعتماد عليه ، وخاصة فی مثل هذه المسائل .

وهو ايضا معارض بقوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بَأْذَنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ (٣)

والاحاديث التي تنفي الروية بالعين صحيحة وقد مر بعضها .
فان قيل : الآية والاحاديث التي جاءت بنفي الروية خاصة في الدنيا ،
وحدیث جابر رضي الله عنه السابق في عالم البرزخ فلا معارضة .

- (١) تحفة الاحوذی بشرح الترمذی : ح ٨ ص ٣٦١ ، كتاب التفسير ،
وسنن ابن ماجه : ح ٢ ص ٩٣٦ ، كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة
في سبيل الله .
(٢) تحفة الاحوذی بشرح الترمذی : ح ٨ ص ٣٦٠ ، كتاب التفسير .
(٣) سورة الشورى : الآية ” ٥١ ” .

وان سلمنا بصحة الحديث وعدم المعارضة ، وان الله عز وجل كلمه من غير حجاب ، لكن احتمال الروئية وعدمها قائم ، فلا تجب الروئية مع حصول الكلام مباشرة ، فلا يجوز الاعتماد على هذا في اثباتها ، لان الاحتمال قائم ، حيث انه يحصل الكلام كفاحا من غير روئية كما في مخاطبة الضير.

أما قول صاحب التحرير الذي نقله النووي عند ترجيح القول بالاثبات :
والحجج وان كانت كثيرة ولكننا لانتمسك الا بالاقوى منها ، وهو حديث ابن عباس
" اتعجبون أن تكون الخلعة لابراهيم . . . الحديث .

فقد مرّ الكلام عنه قريبا ، وابن عباس لم يخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما الظاهر من سياق الحديث أنه يخاطب من نفى روئية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه ، وأظهر ما يقال عنه أنه رأى لابن عباس استنبطه ولم يسمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم .

واما باقي الاحاديث التي تمسك بها فهي مطلقة لم تقيد فيها الروئية ، وقد نقل عن ابن عباس احاديث صحيحة قيدت فيها الروئية بالفواد وقد مرّ ذكرها قريبا . (١)

(١) انظر هذه الاقوال من ص ١٨١ الى ص ١٩٥ في بحث :
" روئية الله وتحقيق الكلام فيها " للدكتور احمد الناصر المحمد .

القول الثاني :

نفي رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا بعيني رأسه .
وطى رأس القائلين بهذا القول السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهذا
هو المشهور عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ونقل عن ابي هريرة قولان
في ذلك ولكن المشهور عنه النقي ، وهو المشهور عن ابي ذر ايضا وهو قول
جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين * (١)

واستدل هؤلاء بعدة أدلة منها :

أولا : ماورد في الصحيحين عن مسروق واللفظ لمسلم قال : كنت متكئا
عند عائشة فقالت : يا ابا عائشة ثلاث من تكلم بها واحدة منهن فقد أعظم على الله
الغربة (٢) ؟ قلت : ما هن ؟ قالت : من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم
رأى ربه ، فقد أعظم على الله الغربة قال : وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم
المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (٤)

فقلت : انا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
" انما هو جهريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رايته منهبطا
من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الارض فقالت : أولم تسمع
ان الله يقول : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٥)

(١) انظر شرح الطحاوية: ص ١٣٧ وشرح صحيح الترمذى لابن العربي المالكي

ح ١٢ ص ١٦٩ .

(٢) الغيبة : الكذب ، النهاية في غريب الحديث والاشتر : ح ٣ ص ٤٤٣

مادة (فرا) .

(٣) سورة التكويم : الآية " ٢٣ " .

(٤) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٥) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ " .

أو ألم تسمع ان الله يقول :

* وَمَا كَانَ لِنَبِّئِكَ أَن يَكْتُمَ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ
رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيُّ حَكِيمٌ * (١)

وفي هذا النص نفي رومية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بصريح قوله
صلى الله عليه وسلم حين سألته السيدة عائشة عن ذلك ، أنه جبريل ، فالرومية
المذكورة في الآيتين رومية جبريل عليه السلام ، ثم استشهاد السيدة عائشة لما
ذهبت اليه بالآيتين تأولا لتؤكد هذا المذهب وتبين لمسروق خطأ فهمه للآيتين
اللتين احتج بهما عليهما ، وقد روى عن ابي ذر لفظ صريح بنفي روميته صلى الله
عليه وسلم لربه ببصره ، فروى عنه في قوله تعالى :

* وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى * (٢)

قال : " رآه بقلبه ولم يره بعينه " . (٣)

وروى عن ابراهيم التيمي في قوله تعالى :

* وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى * (٤)

قال : " رآه بقلبه ولم يره ببصره " . (٥)

والصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الآية على غير ما تأولها

ابو ذر و ابراهيم التيمي وأن المرء إنما هو جبريل عليه السلام على صورته . (٦)

(١) سورة الشورى : الآية " ٥١ " ، صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ٨ ،

كتاب الايمان ، باب اثبات رومية الله .

(٢) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة : ص ٢٠٨ .

(٤) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة : ص ٢٠٨ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ٣ ، كتاب الايمان ، باب في ذكر

واستدلوا ثانيا :

بالحديث الذى رواه عبد الله بن شقيق عن ابي ذر رضى الله عنه قال :
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : " نور أنسي
أراه " (١) .

ويروى عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر لورأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم لسألت ، قال : عن اى شيء كنت تسأله ؟ قال : كنت
اسأله هل رأيت ربك ؟ قال ابو ذر : قد سألت ، فقال : رأيت نورا . (٢)
وقد عقب ابن كثير على هذا الحديث فقال : " ... وقد حكى الخلال
في علله ان الامام احمد سئل عن هذا الحديث فقال : ما زلت منكرا له وما ادرى
ما وجهه .. " .

وحاول ابن خزيمة ان يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين ابي ذر ،
واما ابن الجوزى فتأوله على ان أبا ذر لعله سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
قبل الاسراء فأجابه بما أجابه به ، ولو سأله بعد الاسراء لاجابه بالاثبات ،
وهذا ضعيف جدا ، فان عائشة رضى الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الاسراء
ولم يثبت لها الرواية . ومن قال انه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتها
فيما ذهبت اليه كما بن خزيمة في كتاب التوحيد فانه هو المخطي " ... (٣)

(١) صحيح مسرح بشرح النووى : ح ٣ ص ١١ ، كتاب الايمان ، باب ما جاء
في رؤية الله .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ٢٥٢ ، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة :

وإذا كان الامر على هذا النحو الذى بينت فما وجه الدلالة في قوله صلى الله عليه وسلم : " نور أنى أراه " ، والجواب يراد بذلك أن هناك نورا معني رؤيته ، وبدل على هذا قوله في اللفظ الآخر في الحديث " رأيت نورا " فهذا النور المرئي هو الذى حال بينه وبين رؤية الله عز وجل .

فهذه الأدلة يظهر منها امتناع رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بعيني رأسه في دار الدنيا ، وكلها جاءت في الصحيح ، وفيها النص الصريح ، وهي احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وصرحة في النفي ، وقد جاءت احاديث اخرى كثيرة رويت بروايات مختلفة وكلها تنص على امتناع الرؤية في الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الجمع بين القولين :

بعد ذكر القولين وأدلتها نجد أن منشأ الخلاف هو تأويل الآيات من سورة النجم في قوله تعالى :

* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * (١)

وقوله في نفس السورة :

* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * (٢) وقوله : * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْـَـقِ الْمُبِينِ * (٣) .

(١) سورة النجم : الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

(٢) سورة النجم : الآية ١٣ .

(٣) سورة التكويم : الآية ٢٣ .

فالمثبت لروايته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل قال : ان الضمائر ،
دنا وتدل على وكان واوحى ، وكذا الضمير المنصوب في رآه في الآيتين لله عز
وجل (١) .

ولكننا حين نبحث عن معنى هذه الآيات في السياق القرآني والسورة
الكريمة نجد انها لاتدل على رواية محمد صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل ،
وانما السياق يدل على أن المرئي هو جبريل عليه السلام ، والأحاديث صريحة
في هذا منها : ما رواه عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى :

* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * (٢)

قال : " رأى جبريل " . (٣)

وما ورد عن الشيباني قال : سألت زرين حبيش عن قول الله عز وجل
* فكان قاب قوسين أو أدنى * (٤)

قال : أخبرني ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى
جبريل له ستائة جناح " . (٥)

(١) انظر : روح المعاني ، للالوسي : مجلد ٩ - ٢٧ ص ٥٢ ،

تفسير سورة " النجم " .

(٢) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣ ص ٤ ، كتاب الايمان ، باب

معنى قوله تعالى : * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى *

(٤) سورة النجم : الآية " ٩ " .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي : ٣ ص ٣ ، كتاب الايمان ، باب

في ذكر سدره المنتهى .

وروى عن زر عن عبد الله قال :

* مَاكَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * (١)

قال : " رأى جبريل عليه السلام له ستائة جناح " (٢)

وروى البخارى بسنده عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله

رضي الله عنه في قوله تعالى :

* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى * (٣)

قال : " رأى رفرفا أخضر قد سد الأفق " (٤)

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن الشيباني انه سمع زر بن حبيش عن

عبد الله قال :

* لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى * (٥)

قال : " رأى جبريل في صورته له ستائة جناح " . (٦)

وعن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت : يا ابا عائشة ثلاث

من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الغربة . قلت : ما هن ؟ قالت :

من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد اعظم على الله الغربة ، قال :

وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله

عز وجل :

(١) سورة النجم : الآية "١١" .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ح ٣ ص ٣ ، كتاب الايمان ، باب في ذكر

سدرۃ المنتهى .

(٣) سورة النجم : الآية " ١٨ " .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النجم ، ح ٦ ص ١٢٦ .

(٥) سورة النجم : الآية " ١٨ " .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووي : ح ٣ ص ٣ ، كتاب الايمان ، باب في ذكر

سدرۃ المنتهى .

﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ (١) * وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَهُ أُخْرَى * (٢)

فقلت : أنا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انما هو جبريل لم أراه على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيت منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء الى الارض . (٣)

وعن ابن اشوع عن عامر عن مسروق قال : قلت لعائشة فأين قوله :
﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ
مَا أَوْحَى ﴾ (٤)

قلت : انما ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صورة الرجال ،
وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسَدَ أفق السماء . (٥)

اما الاحاديث التي وردت فيها الرومية فكلها مطلقة لم يصرح فيها
بمعين أو فؤاد . والاحاديث التي وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما كلها
مطلقة او مقيدة بالفؤاد ، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه ،
وكذلك الامام احمد تارة يطلق الرومية وتارة يقيدها بالفؤاد . ولكن بعض من سمع
كلام ابن عباس رضي الله عنهما والامام احمد في الرومية فهم منه روية العين ،
وليس في الأدلة ما يقتضي ذلك .

-
- (١) سورة التكويم : الآية "٢٣" .
(٢) سورة النجم : الآية "١٣" .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ٨ ، كتاب الايمان ، باب اثبات
روية الله .
(٤) سورة النجم : الآيات " ٨ ، ٩ ، ١٠ " .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ١١ ، كتاب الايمان ، باب ماجاء
في روية الله عز وجل .

ولذلك حاول بعض العلماء الجمع بين القولين ، فرأى ان النافسي للروية انما ينفي روية النبي صلى الله عليه وسلم لربه بعيني رأسه ، وان المثبت للروية حمل قوله على روية الفؤاد ، جمعا بين الأدلة ، ان انه ليس في الأدلة ما يقتضي انه صلى الله عليه وسلم رآه بعينه ، كما انه لم يثبت ذلك من احد الصحابة ، ولم يرد في ذلك نص صريح من الكتاب والسنة.

يزاد على هذا ان الله تعالى قال :

* سُبحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا * (١)

ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى . وكذلك قوله تعالى :

* أَفْتَارُونَ عَلَى مَا بَرَى * (٢) ، * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى * (٣) .

ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى ، فالحق ان المرثي في

الآيات هو جبريل عليه السلام ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعيني رأسه ، وانما رآه بقلبه . (٤)

روية الله عز وجل بالقلب في الدنيا :

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى ربه تبارك وتعالى بقلبه ،

وهذه الروية الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه روية صحيحة حيث

(١) سورة الاسراء : الآية " ١ " .

(٢) سورة النجم : الآية " ١٢ " .

(٣) سورة النجم : الآية " ١٨ " .

(٤) راجع بحث "روية الله وتحقيق الكلام فيها" ، للدكتور احمد الناصر .

رفعت جميع الحجب عن قلبه صلى الله عليه وسلم حتى كافحت روحه الشريفـة
ذات الله تبارك وتعالى فرآه لذلك روية صحيحة. (١)

قال النووي : قال الامام ابو الحسن الواحدي : " وطلّى هذا رأى
بقلبه روية صحيحة ، وهو ان الله تعالى جعل بصره في فؤاده ، او خلـق
لفؤاده بصرا حتى رأى ربه روية صحيحة كما يرى بالعين " . (٢)
ولم يـنازع في هذا احد من الائمة المشهورين .

روية الله عز وجل في المنام :

اتفق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والتابعون من بعدهم على جوازها
ووقوعها ، فقد روى اهل العلم حديثا من طرق كثيرة انه صلى الله عليه وسلم رأى
ربه في المنام .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" رأيت ربي في احسن صوره . . "

وروى بلفظ آخر عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتاني الليلة ربي

في احسن صورة " . (٣)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : ج ٥ ص ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٤٩٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ٦ ، كتاب الايمان ، باب
اثبات روية الله .

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة : ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وحديث معاذ بن جبل الذي رواه الترمذى واحمد في مسنده (١)

فيه دليل على رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل مناما وقد مرت الاشارة الى هذا الحديث سابقا لمن استدل به على ان الرؤية كانت فسي حالة اليقظة ولا دلالة فيه على ذلك بل هي مناما كما جاءت مفسرة في كثير من طرق الحديث ، والذي نقل عن الامام احمد في اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه انما يعني رؤية المنام فانه سئل عن ذلك فقال : نعم رآه ، فان رؤيا الأنبياء حق ، وكان لفظ الامام احمد كلفظ ابن عباس رضي الله عنهما . (٢)

رؤية الله تعالى في الآخرة :

رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة أمر مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين ائمة الاسلام فروية المؤمنين له عز وجل في الآخرة ومناجاته والفوز برضاه هي اهل الجنة ، والا حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الدالة على الرؤية متواترة رواها عنه ابو بكر الصديق وابو هريرة وابو سعيد الخدرى ، وجبر بن عبد الله البجلي ، وصهيب بن سنان الرومي ، وعبد الله بن مسعود الهذلي ، وعلي بن ابي طالب ، وابو موسى الأشعري ، وعدي بن حاتم الطائي ، وانس بن مالك الانصاري ، وبريدة بن الحصيب الاسلمي ، وابورزين العقيلي ، وجابر بن عبد الله ، وابوامامة الباهلي ، وزيد بن ثابت ، وعمار بن ياسر ، وعائشة ام المؤمنين ، وعبد الله بن عمر ، وعمار بن ربيعة ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ،

(١) راجع ص (١٩١) من هذا الموضوع

(٢) تفسير المنار : ج ٩ ص ١٤٥ . انظر رسالة الدكتور احمد الناصر المحمد

” رؤية الله وتحقيق الكلام فيها “

وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وحدثه موقوف ،
وأبي بن كعب ، وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد ، وحدثه موقوف ، ورجل من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى . . . " (١)

والادلة على روية المؤمنين ربهم في الاخرة كثيرة منها قوله تعالى في
سورة القيامة: * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * الى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * (٢)
واعظم به من دليل ، فهذه الوجوه الناضرة سبب نضارتها انها السى
رهبها ناظرة فهي وجوه مشرقة بهية مسرورة حسنة برويته عز وجل .

وروى البخارى بسنده عن جرير بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه
وسلم : * انكم سترون ربكم عيانا * (٣)

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن ابي بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ،
وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم
الارءالكبرياء على وجهه في جنة عدن . " (٤)

- (١) حادى الارواح الى بلاد الافراح : ص ٢٠٥ .
(٢) الآيتان : " ٢٢ ، ٢٣ " .
(٣) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قوله * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ *
نَاضِرَةٌ * هـ ٩ ص ١٥٦ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب اثبات روية المؤمنين
لربهم : هـ ١٧ ص ٣ .

وفي مسلم عن عطاء بن يزيد الليثي ان ابا هريرة اخبره ان ناسا قالوا

لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون (١) في رؤية القمر ليلة

البدرا ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فانكم ترونه كذلك . . . (٢)

هذه بعض الادلة في اثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ، وهي

ادلة واضحة وصرحة غير قابلة للنقد ، توجب اعتقاد رؤية الله عز وجل في الآخرة

بلا كيف ولا تحديد ولا جهة ولا انحصار .

لكن :

يبد وفي آية سورة الانعام عند قوله تعالى :

* لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * (٣)

ما يشبه معارضة هذه الآية لآية سورة القيامة :

* وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ نَاضِرَةً * ، الَّتِي رَبِّهَا نَاطِرَةٌ * (٤) لكن الجمع

بين الآيتين ممكن .

(١) تضارون : يروى بالتشديد والتخفيف ، فالتشديد بمعنى لا تتخالفون

ولا تتجادلون في صحة النظر اليه ، لوضوحه وظهوره ، واما التخفيف فهو

من الضير ، لفظة في الضر ، والمعنى فيه كالأول . النهاية في غريب

الحدیث والأثر : ح ٣ ص ٨٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية المؤمنين

في الآخرة لربهم : ح ٣ ص ١٧ .

(٣) الآية " ١٠٣ "

(٤) الآيتان : " ٢٢ ، ٢٣ "

يقول ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى :

* لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ * (١)

• لا تدركه الابصار في الدنيا ويراه المؤمنون في الآخرة لاخبار الله عز وجل

في قوله تعالى :

* وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ * (٢)

وفي رواية أخرى عنه قال : * لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ * (٣) أي لا تحيط

به وهو يحيط بها • ، وبذلك فسره قتادة وابن المسيب (٤) .

• لان الله سبحانه وتعالى بهن انه منزه عن سمات الحدوث ومنها الادراك

بمعنى الاحاطة والتحديد كما تدرك سائر المخلوقات • (٥) .

وقال الزجاج :

• المعنى أي لا يبلغ كنه حقيقته كما تقول ادركت كذا وكذا ؛ لانه قد

صح عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث في الرواية يوم القيامة • (٦)

- (١) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ "
- (٢) سورة القيامة : الآيتان " ٢٢ ، ٢٣ " ، تفسير القرطبي :
ح ٧ ص ٥٤ .
- (٣) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ " .
- (٤) تفسير البحر المحيط : ح ٤ ص ١٩٥ .
- (٥) تفسير القرطبي : ح ٧ ص ٥٤ .
- (٦) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

وقال ابو حيان المفسر : في قوله تعالى :

* وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ * (١)

دلالة على ان الادراك لا يراد به هنا مجرد الروئية ، ان لو كان مجرد
الروئية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدح لانا نحن نرى الابصار ، فدل
على ان معنى الادراك : الاحاطة بحقيقة الشيء ، فهو تعالى لا يحيط
بحقيقته الابصار ، وهو محيط بحقيقتها . (٢)

والحق ان المنفي في هذه الآية الكريمة :

* لَا تُدْرِكُهُ الْاَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْاَبْصَارَ * (٣)

هو الادراك المشعر بالاحاطة بالكنه ، اما مطلق الروئية فلا تسدل
الآية على نفيه بل هو امر ثابت بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة المصروفة
برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة التي هي افضل اللذات . (٤)

وهد

ما تقدم يتضح ان السيدة عائشة رضي الله عنها انكرت رؤية النبي
صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء والمعراج ، ومثله عن ابي هريرة ، وهو
المشهور عن ابن مسعود وابي ذر رضي الله عنهم . واستدلوا بأدلة جاءت في
الصحيح وفيها النص الصريح بنفي رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بعيني
رأسه في دار الدنيا .

(١) سورة الأنعام : الآية " ١٠٣ " .

(٢) تفسير البحر المحيط : ج ٤ ص ١٩٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية " ١٠٣ " .

(٤) هذا المبحث بكامله ملخص لما جاء في رسالة الدكتور/ احمد الناصر المحمد

وهي بعنوان : " رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها " وقد تقدم بهذه

الرسالة في عام ١٣٩٦ هـ .

وخالف في ذلك واثبت الرواية ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الاحبار
وكان الحسن البصرى يحلف على ذلك ، وحكى مثله عن ابن مسعود وابي هريرة ،
" وروى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال : رأى محمد صلى الله
عليه وسلم ربه " (١) ، ونسبه الواحدى الى انس وعكرمه والحسن والربيع.

ولم يثبت الرواية أدلتهم ، التي قلت عندها انه يجب ان يحمل المطلق
منها على المقيد حتى يزول التعارض ويستقيم المعنى ، ويكون الرسول صلى الله
عليه وسلم قد رأى ربه ولكن ليس بعيني رأسه بل بقلبه .

اما رواية المؤمنين لربهم يوم القيامة فقد اجمع الصحابة والتابعون على ذلك
ولا مخالف لهم الا أن مجاهد ا رضي الله عنه نقل عنه عند تفسير قوله تعالى :

* وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ نَاضِرَةٌ لِيَّ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ * (٢)

قوله : " تنتظر الثواب من ربها " (٣)

ولعله قول رآه ، وهو غير مسلم ، مع اجماع الصحابة والتابعين على اثبات

رواية المؤمنين لربهم يوم القيامة. (٤)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٣ ص ٥ ، كتاب الايمان ، باب
اثبات رؤية الله .

(٢) سورة القيامة : الآيتان " ٢٢ ، ٢٣ " .

(٣) تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٤٥٠ .

(٤) راجع رساله المايتير ، رؤيه الله وتحييت اللام فيك «

للكندر : احمد الناظر المحمد . ص ١٢١ الى ص ١٢٤

المبحث الثاني
مُرْتَكِبُ الكَبِيرَةِ

مرتكب الكبيرة

ان ارتكب المؤمن بعض الكبائر ولم تكفر بحد أو توبة نصوح ، أو مرض أو مصيبة أو شيء من المكفرات ، فهو محاسب على عمله ، ولكن هل يخلد في النار ؟ ان ذلك يبدو في مواضع من القرآن منها قوله تعالى :

* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ * (١)

وقوله في سورة النساء :

* وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَدِّيًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * (٢)

وقوله في سورة الجن :

* وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا * (٣)

وفي مواضع من القرآن يبدو ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ، منها قوله تعالى في سورة السجدة :

* أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * (٤)

وقوله : * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَارِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ * (٥)

وفي مواضع من القرآن يبدو ان مرتكب الكبيرة مؤمن ، اظهرها ما جاء في سورة الحجرات :

* وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا * (٦)

(١) سورة النساء : الآية " ١٤ " .

(٢) الآية : " ٩٣ " .

(٣) الآية : " ٢٣ " .

(٤) الآية : " ١٨ " .

(٥) سورة الانعام : الآية " ١٢١ " .

(٦) الآية : " ٩ " .

وهذه الآيات خالية من التعارض ، وانما هي تدعو الى نظرة كلية ، بهـ
يستقيم الفهم ، وقبل الخوض في موضوع مرتكب الكبيرة التي لم يتب منها مرتكبها
وهرض الأقوال في هذا اهدأ بالقول في انقسام المعاصي الى كبائر وصغائر .

فأقول : تنقسم المعاصي الى كبائر وصغائر ، قال تعالى :

* إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ * (١)

وقال تعالى في سورة النجم :

* الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْأَسْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ * (٢)

والمعنى في الآية الاولى :

ان تتركوا أمها المؤمنون الذنوب الكبائر التي نهاكم الله تعالى عنها يمسح
عنكم صغائر الذنوب .

ومعنى الآية الثانية :

ان الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب وعن الفواحش ، الا اللمم - وهو ما قل
وصغر من الذنوب - يغفر لهم عز وجل ذنوبهم .

يقول القرطبي :

نهى تعالى في هذه السورة - اي سورة النساء - عن آثام هي كبائر
وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر ، ودل هذا على ان من الذنوب

(١) سورة النساء : الآية " ٣١ " .

(٢) الآية : " ٣٢ " .

كبائر وصفائرها (١)

فالأيتان الكريمتان اوضحتا انقسام الذنوب الى كبائر وصفائرها .

(١) تفسير القرطبي : ٥ ص ١٥٨ .

ونقل الامام النووي قول ابي حامد الغزالي : " انكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقه وقد فهما من مدارك الشرع " ثم قال : " ولا شك في كون المخالفة قبيحة جدا بالنسبة الى جلال الله تعالى ، ولكن بعضها اعظم من بعض ، وتنقسم باعتبار ذلك الى ما تكفره الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو الحج أو العمرة أو الوضوء أو صوم يوم عرفة أو صوم عاشوراء أو فعل الحسنة أو غير ذلك مما جاءت به الاحاديث الصحيحة ، والى ما لا يكفره ذلك كما ثبت في الصحيح ما لم يفشئ كبيرة ، فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صفائرها وما لا تكفره كبائر ، ولا شك في حسن هذا ، ولا يخرجها هذا عن كونها قبيحة بالنسبة الى جلال الله تعالى فانها صغيرة بالنسبة الى ما فوقها لكونها اقل قبحا ، ولكونها ميسرة التكفير " صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب تعريف الكبيرة والصغيرة : ٢ ص ٨٥ .

تعريف الكبيرة :

وردت اقوال متعددة للعلماء في تعريف الكبيرة ، منها :

(١) ان الكبيرة ما يترتب عليها حد او توعدها بالنار او اللعنة او الغضب وقريب من هذا التعريف قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري في تعريف الكبيرة وهو :

كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أو غضب او لعنة او عذاب .
وهذا التعريف مقبول .

(٢) كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ، لان كل مخالفة بالنسبة الى جلال الله تعالى كبيرة ، وهذا التعريف مروى عن ابن عباس (١) .

(٣) قال ابن مسعود : الكبائر ، ما نهى الله عنه في سورة النساء من الآية الاولى الى ثلاث وثلاثين آية منها . (٢)

(٤) وقيل ما اتفقت الشرائع على تحريمه .

لكن هذا التعريف يقتضي ان شرب الخمر والفرار من الزحف والتزوج ببعض المحارم ونحو ذلك ليس من الكبائر ، وان الكذبة الواحدة الخفيفة من الكبائر . (٣)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب تعريف الكبيرة ح ٢ ص ٨٤ .

(٢) تفسير القرطبي : ح ٥ ص ١٥٩ .

(٣) راجع في تعريف الكبيرة ، شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤١٧ .

(٥) قال امام الحرمين (١) : " كل جريمة تؤذن بقلة اكرثات مرتكبها بالدين ورقة الديانة من الكبائر " .

وقال الامام ابو محمد بن عبد السلام : " لم اقف لاحد من العلماء على ضابط للكبيرة لا يسلم من الاعتراض ، والاولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه اشعارا دون الكبائر المنصوص عليها " (٢)

وهذا التعريف ارضى ، لان من تعرض بالسب او الشتم لله عز وجل او لرسوله ، أو كذب واستهان بالرسول ، او القى المصحف في الاماكن القدرة استهانة به او نحو ذلك ، فهي من الكبائر وان لم يصرح عز وجل في القرآن الكريم او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بأنها من الكبائر .

تعريف الصغيرة :

تعددت ايضا آراء العلماء في تعريف الصغيرة ، ومن ذلك :

(١) ان الصغيرة مادون الحدين ، حد الدنيا وحد الآخرة .

(٢) هي كل ذنب لم يختم بلعنة او غضب أو نار .

(٣) الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة .

وهذا التعريف مقبول لما يأتي :

أ - لانه مأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينه واحمد بن حنبل

(١) هو الامام عبد الطك بن الشيخ ابي محمد الجويني عاش في الفترة ما بين

٤١٩ - ٤٧٨ هـ ، طبقات الشافعية للأسنوى ، ح ١ ص ٤٠٩ ط / دار

العلوم ، ١٩٨١ م .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري : ح ١٠ ص ٤١٠ ، كتاب الادب ، باب

عقوق الوالدين من الكبائر .

ب- قال تعالى : * اِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا * (١)

فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أُوعد بغضب الله ولعنته وناره .

ج- هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر (٢)

د- ان هذا الضابط مرجعه الى ما ذكره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

في الذنوب فهو حد يتلقى من خطاب الشارع (٣) .

اكبر الكبائر :

يرى العلماء انه لا انحصار للكبائر في عدد معين وقد سئل ابن عباس

رضي الله عنهما عن الكبائر اسبع هي ، فقال : هي الى السبعين ، ويروى السي

السبعائة اقرب .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الكبائر أربعة : اليأس من روح الله ،

والقنوط من رحمة الله ، والامن من مكر الله ، والشرك بالله (٤)

وقد وردت عدة أحاديث صحيحة في اكبر الكبائر عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم يروونها عنه صحابته رضوان الله عليهم ، منها مارواه :

(١) عبد الرحمن بن ابي بكر عن ابيه قال : " كنا عند رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، فقال : الا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ثلاثا : الاشرار بالله ، وعقوق

الوالدين ، وشهادة الزور أو قول الزور " (٥)

(١) سورة النساء : الآية " ٣١ " .

(٢) راجع في تعريف الصغيرة شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤١٨ .

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية : ج ١١ ص ٦٥٥ .

(٤) تفسير القرطبي : ج ٥ ص ١٦٠ .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب اكبر الكبائر : ج ٢ ص ٨١ .

- (٢) وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر ، قال :
الشرك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وقول الزور . (١)
- (٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
" اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله
والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم ، واكسل
الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (٢) .
- (٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال : " من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يارسول الله : وهل يشتم
الرجل والديه ؟ قال : نعم ، يمسب ابا الرجل فيمسب اياه ، ويمسب امه
فيمسب امه . " (٣)

فهذه اربعة احاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكبر الكبائر ،
الحديث الاول ذكر ثلاثا من الكبائر ، والحديث الثاني اضاف كبيرة رابعة وهي قتل
النفس ، وفي الحديث الثالث ذكر سبعا من الموبقات - وهي المهلكات - ، والحديث
الرابع جاء فيه ان من الكبائر شتم الرجل والديه ، فهذه مجتمعة باسقاط المكرر في
بعض الاحاديث عشرة كبائر ، فمعنى هذا ان الكبائر لا تنحصر في عدد معين .

يقول الامام النووي : " . . . اما قوله صلى الله عليه وسلم الكبائر سبع ، فالمراد
به من الكبائر سبع ، فان هذه الصيغة وان كانت للعموم فهي مخصوصة بلا شك
وانما وقع الاقتصار على هذه السبع ، وفي الرواية الاخرى ثلاث ، وفي الاخرى اربع
لكونها افحش الكبائر مع كثرة وقوعها لاسيما فيما كانت عليه الجاهلية " . (٤)

- (١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب اكبر الكبائر : ح ٢ ص ٨٢ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء ص ٨٣ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ح ٢ ص ٨٤ .

حكم مرتكب الكبيرة :

المشهور عند أهل السنة ان الذنوب جميعها تغفر بالتوبة (١) بلا استثناء
بين ذنب كبير أو صغير وانها تغفر لمن شاء الله ولو مات على غير توبة الا ذنوب
واحد الا وهو الشرك بالله ، فان المشرك ان مات ولم يتب فان الله عز وجل لا يغفر له
بدليل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢)

(١) طريق التوبة هو السبيل الوحيد لرجوع الانسان الى طريق الاستقامة ومواقع
التقوى ، لذلك دعا الله تعالى عباده ليتوبوا اليه ، واعلم انه غفار لمن تاب
وآمن وعمل صالحا . ولولا ان باب التوبة مفتوح لكل العصاة - مالم يحضر الموت -
لتحول العاصي الذي ييأس من التوبة والغفران الى مجرم طاغ وشيطان
خبث .

وقد ذكر العلماء شروط قبول التوبة الخصها فيما يلي :

اذا كانت التوبة من معصية لا تتعلق بحق انسان فلقبولها هذه الشروط :

أ - ان يقطع المذنب عن المعصية .

ب - ان يندم على فعلها .

ج - ان يعزم على ان لا يعود اليها ابدا .

واذا كانت التوبة من معصية تتعلق بحق انسان فلقبولها شرط رابع

يضاف الى الشروط الثلاثة السابقة وهو : ان يؤدى لصاحب الحق حقه ،

او نظير حقه ، او يحصل على مسامحته وعفوه من غير اكراه . فان تعذر عليه

ان يسترضي اصحاب الحقوق ، يسأل الله ان يتولى عنه ارضاءهم .

من كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للنووي : ص ١١ . بتصرف .

(٢) سورة النساء : الآية " ١١٦ " .

وقال تعالى :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١)

هذه الآية دعوة للمذنبين الذين افرطوا في الجناية على انفسهم بالمعاصي ان لا يياسوا من مغفرة الله ورحمته لان الله تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن يشاء، وان كانت مثل زبد البحر فهو عز وجل عظيم المغفرة واسع الرحمة.

ويتمين من هاتين الآيتين ان غفران الذنوب بالتوبة أمر لا خلاف فيه ، جاء في شرح العقيدة الطحاوية :

" غفران الكبائر والصفائر بعد التوبة مقطوع به ، غير متعلق بالمشيئة " (٢)
لكن ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح ان قاتل المؤمن عمدا لا توبة له ، ومن ذهب الى انه لا توبة له من السلف :

" زيد بن ثابت ، وابو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وابو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير ، والحسن ، وقتادة والضحاك بن مزاحم " (٣)

وعن ابي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" كل ذنب عسى الله ان يغفره الا من مات مشركا ، او من قتل مؤمنا متعمدا " (٤)

(١) سورة الزمر : الآية " ٥٣ " .

(٢) ص ٤٢٠ .

(٣) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٥٣٦ .

(٤) الحديث في سنن ابي داود عن خالد بن دهقان قال : حدثني ابن ابي زكريا

عن ام الدرداء عن ابي الدرداء ، وله سند آخر حدث به هاني بن كلثوم بن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عون المعبود كتاب الفتن ، باب في تعظيم قتل المؤمن : ج ١ ص ٣٥١

قال الذهبي في " الكاشف " : خالد بن دهقان بن عبد الله بن

ابي زكريا ثقة : ج ١ ص ٢٠٢ .

وقال : عبد الله بن ابي زكريا الخزاعي عن ام الدرداء . قال الاوزاعي :

لم يكن بالشام رجل يفضل عليه . الكاشف : ج ٢ ص ٧٨ . وبذلك البيان يكون الحديث صحيحا . وقال الهيثمي بعد ان اورد حديث عبادة بن الصامت :

" رواه البزار ورجاله ثقات " مجمع الزوائد : ج ٧ ص ٢٩٦ .

وروى ابن مردويه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال :

" من قتل مؤمنا متعمدا فقد كفر بالله عز وجل " (١)

وروى الامام احمد بسنده عن حميد قال : اتاني ابو العالية انا وصاحب لسي فقال لنا : هلما فأنتما اشب سنا مني ، واعي للحديث مني فانطلق بنا الى بشر ابن عاصم ، فقال له ابو العالية : حدث هؤلاء حديثك فقال : حدثنا عقبة بن مالك الليثي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأغارت على قوم فشد مع القوم رجل فاتبعه رجل من السرية شاهرا سيفه . فقال الشاد من القوم : اني مسلم ، فلم ينظر فيما قال ، قال : فضربه فقتله فمضى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا شديدا ، فبلغ القاتل ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب ان قال القاتل : والله ما قال ما قال الا تعوزا من القتل ، قال : فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعن قبله من الناس وأخذ في خطبته ، ثم قال ايضا : يا رسول الله ما قال الذي قال الا تعوزا من القتل ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف النساء في وجهه فقال : ان الله ابي على من قتل مؤمنا ثلاثا " (٢)

(١) قال ابن كثير : هذا حديث منكر فاسناده تكلم فيه جدا .

تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٥٣٦ .

(٢) قال الحافظ الهيثمي : " رواه ابو يعلى واحمد باختصار الا انه قال :

عقبة بن مالك بدل عقبة بن خالد ، والطبراني بطوله ورجاله رجال الصحيح غير

بشر بن عاصم الليثي وهو ثقه مجمع الزوائد : ج ٧ ص ٢٩٦ راجع مسند

احمد : ج ٤ ص ١١٠ .

واليك الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في صحيح البخارى وتفسير ابن جرير الطبرى :

(١) روى الطبرى بسنده عن سالم بن ابي الجعد قال : " كنا عند ابن عباس بعدما كف بصره ، فأتاه رجل فناداه : يا عبد الله بن عباس ، ماترى في رجل قتل مؤمناً متعمداً ؟ فقال : * جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * (١) قال : أفرايت ان تاب وعمل صالحا ثم اهتدى ؟ قال ابن عباس: شكته امه ! واني له التوبة والهدى فوالذى نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : " شكته امه ! رجل قتل رجلا متعمدا جاء يوم القيامة أخذاً بيمينه أو بشماله ، تشخب أوداجه (٢) دما ، من قبل عرش الرحمن ، يلزم قاتله بيده الاخرى ، يقول : سل هذا فيم قتلني ؟ " والذى نفس عبد الله بيده لقد انزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وما نزل بعدها من برهان " (٣)

وفي رواية أخرى عنه ان الآية :

* وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا مَّتَعِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * (٤)

- (١) سورة النساء : الآية " ٩٣ " .
(٢) الشخب : السيلان ، النهاية في غريب الحديث والاشتر : ح ٢ ص ٤٥٠ .
والودج : ما احاط بالعنق من العروق ، النهاية في غريب الحديث والاشتر : ح ٥ ص ١٦٥ .
(٣) تفسير الطبرى : ح ٩ ص ٦٣ . انظر تحفة الاحوذى ، كتاب التفسير ، سورة النساء ، وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن : ح ٨ ص ٣٨٤ .
(٤) سورة النساء : الآية " ٩٣ " .

نزلت بعد قوله تعالى في سورة الفرقان :

* وَالَّذِينَ لَا يُدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ
مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ * (١)

وعن زيد بن ثابت نحوه ، وان آية النساء نزلت بعد آية الفرقان بستة اشهر

وفي رواية بثمانية أشهر . (٢)

وفي صحيح البخارى عن سعيد بن جبير قال : امرني عبد الرحمن بن ابيزى

ان أسأل ابن عباس عن هاتين :

* وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا . . . * (٣)

فسألته فقال : لم ينسخها شيء ، وعن :

* وَالَّذِينَ لَا يُدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ . . . * (٤)

قال : نزلت في أهل الشرك (٥)

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآيتين :

* وَالَّذِينَ لَا يُدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ . . . * (٦) * وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

مُتَعَمِّدًا . . . * (٧)

(١) الآيات : " ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ " ، تفسير الطبرى : ح ٩ ص ٦٧ .

(٢) تفسير الطبرى : ح ٩ ص ٦٨ .

(٣) سورة النساء : الآية " ٩٣ " .

(٤) سورة الفرقان : الآية " ٦٨ " .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب التفسير باب قوله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ) ح ٦ ص ١٣٩

(٦) سورة الفرقان : الآية " ٦٨ " .

(٧) سورة النساء : الآية " ٩٣ " .

قال : " وهذه آية مكية - اى آية سورة الفرقان - نسختها آية مدنية التي
في سورة النساء " (١)

محاولة للتوفيق بين روايات ابن عباس المتقدمة والتي بيد و ظاهرها التعارض
فهو - رضي الله عنهما - يقول مرة : ان آية الفرقان منسوخة ، وأخرى يقول : ان
آية الفرقان نزلت في أهل الشرك .

يقول ابن حجر :

" . . . ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة
المؤمن القتل متعمدا ، وكثيرا من السلف يطلقون النسخ على التخصيص ، وهذا
أولى من حمل كلامه على التناقض وأولى من دعوى انه قال بالنسخ ثم رجع عنه " (٢)

وبعد أن عرضت أقوال بعض الصحابة والتابعين في قوله تعالى :

* وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا مَّتَعِدًا . . . * (٣)

وكان قول بعضهم ان قاتل المؤمن عمدا مخلد في النار ، اذن كيف يستقيم
خلود المؤمن مرتكب الكبيرة التي لم يتب منها في النار ؟ والله تعالى يقول :

* إِنَّ اللَّهَ لَا يُغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ * (٤)

ومعلوم أن قتل المؤمن عمدا وان كان كبيرة الا انه دون الشرك بالله ؟

للرد على هذا الأمر عدة اجابات ، منها :

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ . . .) :

ص ٦ ص ١٣٨ .

(٢) فتح الهارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب (إِلَّا مَنْ تَكَبَّ

وَأَمَّنَ . . .) : ص ٨ ص ٤٩٦ .

(٣) سورة النساء : الآية " ٩٣ " .

(٤) سورة النساء : الآية " ٤٨ " .

(١) مارواه الطبري عن ابي مجلز وابي صالح وارتضاء ان معنى الآية :

* وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا مَّتَعِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ * (١)

ان جزاءه وان شاء تجاوز عنه (٢)

(٢) الاجماع على ان الآية نزلت في مقيس بن ضبابة ، فقد اخرج ابن جرير من

طريق ابن جريج عن عكرمة ، ان رجلا من الأنصار قتل اخا مقيس بن ضبابة

فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الدية فقبلها ، ثم وثب على قاتل اخيه

فقتله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا أومنه في حل ولا حرم) ،

فقتل يوم الفتح ، قال ابن جريج ، وفيه نزلت هذه الآية : * وَمَنْ يُقْتَلْ

مُؤْمِنًا مَّتَعِدًا .. * (٣)

وفي القرطبي :

ويعد ان نقل اجماع العلماء على ان الآية نزلت في مقيس بن ضبابة ، قال :

ان مقيس بن ضبابة كان قد اسلم هو وأخوه هشام بن ضبابة ، فوجد هشام قتيلاً في

بني النجار فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فكتب له اليهم ان يدفعوا اليه قاتل

اخيه وارسل معه رجلا من بني فهر ، فقال بنو النجار : والله مانعلم له قاتلا ولكننا

نؤدى الدية ، فأعطوه مائة من الابل ، ثم انصرفا راجعين الى المدينة ، فعدا مقيس

على الفهري فقتله بأخيه وأخذ الابل ، وانصرف الى مكة كافرا ، فقال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : (لا أومنه في حل ولا حرم) وأمر بقتله يوم فتح مكة وهو متعلق بالكعبة . (٤)

وفي رواية القرطبي هذه زيادة مفيدة وهو ان مقيسا هذا ارتد عن الاسلام ،

ومعنى هذا ان الحكم هنا خاص بالمشركين ولا يحمل على المسلمين . وفي هذا يقول

القرطبي : " وانا ثبت هذا بنقل اهل التفسير وعلماء الدين فلا ينبغي ان يحمل على

المسلمين ثم ليس الاخذ بظاهر الآية بأولى من الاخذ بظاهر قوله :

* إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ * (٥)

(١) سورة النساء : الآية " ٩٣ " . (٢) تفسير الطبري : ج ٩ ص ٦١

(٣) تفسير الطبري : ج ٩ ص ٦١ ، واسباب النزول : الواحدى ص ٩٨ ،

وفتح الباري بشرح صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب : (وَمَنْ يُقْتَلْ مُؤْمِنًا

مَّتَعِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) : ج ٨ ص ٢٥٨ .

(٤) تفسير القرطبي : ج ٥ ص ٣٣٣ .

(٥) سورة هود : الآية " ١١٤ " .

وقوله : * وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ * (١)

وقوله : * وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ * (٢)

والأخذ بالظاهرين تناقض فلا بد من التخصيص (٣)

(٣) روى القرطبي عن سعد بن عبيدة قال : " جاء رجل الى ابن عباس فقال :
المن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ قال : لا ، الا النار . قال : فلما ذهب قال له
جلساؤه : اهكذا كنت تفتينا ؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة ، قال : انسي
لأحسبه رجلا مفضها يريد ان يقتل مؤمنا . قال : فبعثوا في اثره فوجده كذلك (٤)

معنى هذا أن ابن عباس رضي الله عنهما افتى بعدم قبول توبة قاتل المؤمن
متعمدا في موقف خاص وهو ان السائل كان رجلا مفضها ويريد أن يقتل مؤمنا ،
وعندما بعثوا بعض الناس في اثر السائل وجدوه كما قال .
فدرءا لوقوع مفسدة القتل وما يترتب عليه كانت فتوى ابن عباس هذه .

(٤) قال النحاس : القول فيه عند العلماء أهل النظر انه محكم وانه يجازيه اذا لم
يتب ، فان تاب فقد بين أمره بقوله :

* وَأَنْتَ لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ * (٥)

فهذا لا يخرج عنه ، والخلود لا يقتضي الدوام ، قال الله تعالى :

* وَمَا جَعَلْنَا لِإِنْسَانٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ * (٦)

(١) سورة الشورى : الآية " ٢٥ "

(٢) سورة النساء : الآية " ٤٨ "

(٣) تفسير القرطبي : ج ٥ ص ٣٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٥) سورة طه : الآية " ٨٢ "

(٦) سورة الانبياء : الآية " ٣٤ "

وقال تعالى : * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدُهُ * (١)

وقال زهير : ولا خالدا الا الجبال الرواسيا

وهذا كله يدل على ان الخلد يطلق على غير معنى التأبيد ، فان هذا يزول بزوال الدنيا . وكذلك العرب تقول : لأخلدن فلانا في السجن ، والسجن ينقطع ويفنى ، وكذلك المسجون . ومثله قولهم في الدعاء : خلد الله ملكه وأبد آياه . (٢)

أقول :

ان جميع الذنوب التي يرتكبها الانسان سوى الشرك بالله ، عسى ان يفرها الله عز وجل لمن يشاء من عباده ، فكل كبيرة لم يتب منها مرتكبها فهو في مشيئة الله ان شاء عفا عنه بفضل ورحمة وان شاء عاقبه بمقتضى عدله وحكمته مالم تكن كبيرته شركا بالله .

فمن ارتكب كبيرة محاسب على عمله ، والله تعالى يوازن بين اعماله الصالحة

وبين جميع معاصيه ان لم يتب منها ، فان رجحت حسناته فهو الى الجنة باذن الله

وكذلك اذا تساوت حسناته وسيئاته ، قال تعالى في كتابه العزيز :

* وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا * كَوَإِنْ كَانَ

مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ * (٣)

فالله تعالى يقيم الموازين العادلة التي توزن بها الاعمال يوم القيامة ، فلا

ينقص محسن من احسانه ، ولا يزداد مسيء على اسائه ، وان كان العمل الذي عمله

الانسان زنة حبة من خردل يجاء بها .

(١) سورة الهمة : الآية " ٣ " .

(٢) تفسير القرطبي : ح ٥ ص ٣٣٥ .

(٣) سورة الانبياء : الآية " ٤٧ " .

وان رجحت سيئاته فانه يدخل النار ، فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من اثم ،
ثم يخرج منها بعد ان يتطهر ، وبعد ان يوفيه الله عز وجل جزاءه بمقتضى عدله
وحكمته .

روى الامام مسلم بسنده عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال : " يدخل اهل الجنة الجنة ، واهل النار النار ، ثم يقول تعالى :
أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل (١) من ايمان ، فيخرجون قد اسودوا ،
فيلقون في نهر الحياة ، فينبثون كما تنبت الحبة في جانب السيل ، ألم تر أنها
تخرج صفراء ملتوية . (٢)

وعن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج من النار
من قال لا اله الا الله ، وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال :
لا اله الا الله وفي قلبه وزن بره من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي
قلبه وزن ذرة من خير " . (٣)

ثم يشفع الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد ان يأذن الله له ، وبعد انتهائه
مدة العذاب في خروج العصاة من النار ، فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان النبي
صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الكبائر بعد دخولهم النار ، فيقبل الله شفاعته فيهم ،
ويخرجهم منها .

فمن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل نبي
دعوة يدعوها فأريد ان اختبى دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة " (٤)

- (١) الخردل هو: حب شجر مسخن ، ملطف ، وذكر له صاحب القاموس بعض
الصفات الطبية الأخرى : ح ٢ ص ٣٤ .
- (٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، اخراج عصاة المؤمنين من النار :
ح ٣ ص ٣٥ .
- (٣) صحيح البخارى ، كتاب الايمان ، باب زيادة الايمان ونقصانه : ح ١ ص ١٣ .
- (٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب الشفاعة : ح ٣ ص ٧٣ .

وثبت في الاحاديث الصحيحة (١) خبر الاسرائيلي الذي قتل مائة نفس ،
ثم سأل عالما هل لي من توبة ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم ارشده
الى بلد يعبد الله فيه ، فهاجر اليه فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة .
واذا قيل عز وجل التوبة من رجل من بني اسرائيل قتل مائة نفس . فلأن
تكون التوبة مقبولة من المسلمين من باب أولى .

(١) روى الامام مسلم بسنده عن ابي سعيد الخدرى ، ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل عن
اعلم اهل الارض فدل على راهب ، فأتاه ، فقال : انه قتل تسعة وتسعين
نفسا فهل له من توبة ، فقال : لا ، فقتله فكل به مائة ، ثم سأل عن
اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم ، فقال : انه قتل مائة نفس فهل له
من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة . انطلق الى ارض كذا
وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعيد معهم ولا ترجع الى ارضك فانها
ارض سوء ، فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختمت فيه
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه
الى الله ، وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك
في صورة آدمي فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا ما بين الارضين فالى ايتها
كان ادنى فهو له ، فقاوسه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته
ملائكة الرحمة . "

صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل

وان كثر قتله : ح ١٧ ص ٨٢ .

وعمد ،

فما رآه عبد الله بن عباس ، وزيد بن ثابت ، وابو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وابو سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد بن عمير ، والحسن ، وقتادة ، والضحاك ابن مزاحم من ان قاتل المؤمن عمدا لا توبة له غير مسلم ، بدليل ان عبد الله بن عباس وابن عمر ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم " أفوتوا بأن له توبة " (١) ولعل ابن عباس افتي بعدم قبول توبة القاتل عمدا ، في موقف خاص وقد سبقت الاشارة اليه (٢) ، وخلاصته ان السائل كان رجلا مفضبا يريد ان يقتل ، فأفتاه بذلك زجرا وتهديدا له من ارتكاب معصية القتل .

وقد ورد اثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في رجوعه عن قوله ان القاتل لا توبة له وهو اثر مشهور ، اى انه كان يقول اولا بخلود قاتل العمد في النار أخذا من ظاهر الآية ، ثم رجع عن هذا الرأي . والآية مؤولة على من استحل القتل فيكفر بذلك او على طول العذاب وهو معنى الخلود . (٣)

اما فتوى ابن عمر وزيد بن ثابت القائلة بعدم قبول توبة القاتل فلعلها :
" تحمل ايضا على من استحل القتل او على الزجر والتفجير ، وذلك لان جمهور السلف وجميع اهل السنة حملوا ماورد من ذلك على التخليط وصححو توبة القاتل كغيره " (٤)
لان الاحاديث الصحيحة مصرحة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر من امته فيخرجون من النار قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل وعسى ان يعرض الله تعالى المقتول بما شاء من فضله من نعيم الجنة او يرفع درجته .

-
- (١) تفسير القرطبي : ح ٥ ص ٣٣٣ .
(٢) في ص (٢٢٦) من هذا الموضوع .
(٣) حسن الأثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر للشيخ محمد السيد درويش ص ٥٤١ .
(٤) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، كتاب الفتن ، باب في تعظيم قتل المؤمن : ح ١١ ص ٣٥٢ .

المبحث الثالث

الجن

الجن

تعرض القرآن الكريم للحديث عن الجن في اكثر من ثلاثين آية ، وقد خصص عز وجل سورة كاملة ذكر فيها قصة نفر منهم استمعوا للقرآن الكريم من تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم فأمنوا ثم تولوا الى قومهم منذرين . ولا نعرف من حقيقتهم الا ما جاءنا عن طريق الخبر الصادق من الرسول صلى الله عليه وسلم .
وأبدأ أولاً بالتعريف بالجن :

الجن في اللفظة :

الجن بالكسر خلاف الانس والواحد جنى ، يقال : سميت بذلك لانها تستتر ولا ترى .

قال الراغب الاصبهاني : " اصل الجن الستر عن الحاسة ،

يقال : جنه الليل واجنه وجن عليه فجنه ستره " . (١)

وكانوا في الجاهلية يسمون الملائكة جناً لاستتارهم عن العيون . (٢)

الشيطان في اللفظة :

الشيطان معروف ، يقال : من شطن اذا بعد فيمن جعل النون اصلا

وقولهم الشياطين دليل على ذلك ، وقيل : هو من شاط يشيط اذا احترق

فضبا .

(١) المفردات في غريب القرآن : ص ٩٨ .

(٢) تاج العروس : ج ٩ ص ١٦٥ .

وقال ابو عبید : الشيطان كل عات متمرّد من انس او جن او دابة

قال جرير :

ايام يهدونني الشيطان من غزل

وهن يهونني ان كنت شيطانا (١)

ابليس في اللغة :

يقال : ابلس الرجل : قطع به ، وابلس سكت ، وأبلس من

رحمة الله ، اى : يئس وندم ومنه سمي ابليس وكان اسمه عزازيل ،
وابليس مشتق منه لانه ابلس من رحمة الله اى أويس ، وقيل لم يصرف لانه
اعجب معرفه .

وقيل : ان ابليس سمي بهذا الاسم لانه لما أويس من رحمة الله أبلس

يأسا . (٢)

الجن على مراتب :

قال ابن عبد البر : الجن على مراتب ، فالاصل جن فان خالط الانس

قيل عامر ، ومن تعرض منهم للصبيان قيل ارواح ، ومن زاد في الخبيث ، قيل

شيطان ، فان زاد على ذلك قيل مارد ، فان زاد على ذلك قيل عفريت .
وقال الراغب : العفريت من الجن هو العارم الخبيث ، واذا بولغ فيه قيل عفريت نفريت
وقال ابن قتيبة : العفريت الموثق الخلق ، واصله من العفر وهو التراب ، ورجل
عفر بكسر اوله وثانيه وتثقيلا ثالثه اذا بولغ فيه ايضا (٣) .

(١) تاج العروس : ح ٩ ص ٢٥٣ .

(٢) لسان العرب : مادة (بلس) ح ١ ص ٢٥٦ .

(٣) فتح الباري ، كتاب احاديث الانبياء باب قوله تعالى : * ووهبنا

لداود سليمان * ح ٦ ص ٤٦٠ .

الخلاصة :

ابليس ابو الشياطين واصلهم الاول ، والشيطان : هو المتمرد من عالم الجن .

قال في الفتح : * الجن والشياطين مسمى واحد وانما صاروا صنفين باعتبار الكفر والايمان فلا يقال لمن آمن منهم انه شيطان * (١)

طوائفهم :

ينقسم الجن الى فريقين : مؤمنين وكافرين وهذا تابع لما منحه الله تعالى اياهم من الارادة ، قال تعالى في سورة الجن :

* وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا *
وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * (٢)

وقال تعالى :

* وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَرًا * (٣)

والمعنى :

ان منهم قوما صالحين ابرارا ، عاملين بما يرضى الله تعالى ، ومنهم قوم ليسوا صلحاء فهم طرائق مختلفة .

قال ابن عباس ومجاهد في قوله (كُنَّا طَرَائِقَ قَدَرًا) ، * اى منا المؤمن ومن الكافر * (٤)

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة :

(قل اوحى الي) : ح ٨ ص ٦٢٥ .

(٢) الآيتان : " ١٤ ، ١٥ " .

(٣) سورة الجن : الآية * ١١ " .

(٤) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ٤٣٠ .

م خلقوا ؟ :

الجن مخلوقات سفلية ، مخلوقون من مارح من نار ، يقول تعالى :

في كتابه الكريم مبينا المادة التي خلق منها الجن :

* **وَوَخَّلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ** * (١)

هذه الآية تبين ان الله عز وجل خلق الجن من لهب خالص

لا دخان فيه .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : * **وَوَخَّلَقَ الْجَانَّ مِنْ**

مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ * قال : " من خالص النار " . (٢)

وفي رواية اخرى عنه قال : " خلقت الجن من مارح ، وهو لسان النار

الذى يكون في طرفها اذا التهببت " . (٣)

وعن مجاهد قال : " المارح اللهب الاصفر والاخضر الذى يعلو

النار اذا اوقدت " . (٤)

وقال تعالى في سورة الحجر :

* **وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ** * (٥)

-
- (١) سورة الرحمن : الآية " ١٥ " .
(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب صفوة النار وانها مخلوقة : ح ٦ ص ٣٣٣
(٣) فتح البارى كتاب بدء الخلق : باب صفوة النار وانها مخلوقة : ح ٦ ص ٣٣٣ .
(٤) المرجع السابق ، كتاب التفسير ، سورة الرحمن : ح ٨ ص ٦٢٢ .
(٥) الآية : " ٢٧ " .

عن ابن عباس قال : " السموم الحارة التي تقتل " . (١)
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " السموم التي خلق منها
الجان جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم قرأ : * وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ
قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * (٢) .

فالسموم التي خلق منها الجان هي النار الشديدة الحرارة التي تنفذ
في الجسم فتؤدي الى القتل ، ومعنى الآيتين متقارب .

اثبات وجودهم :

الايان بوجود الجن جزء من الايمان بالغيب الذي امرنا به والمتدبير
لايات القرآن الكريم يجدها تصور ابليس بصورة الذي يتكلم ويجادل ويعص الله
ويستكبر عن السجود لآدم ، ويعطي الوعود والاماني الى غير ذلك من الامور
التي مابعد الحق فيها الا الضلال . والصفحات التالية من هذا المبحث
تؤكد هذا الأمر .

(١) الدر المنثور : ج ٤ ص ٩٨ .

(٢) سورة الحجر : الآية " ٢٧ " ، الدر المنثور : ج ٤ ص ٩٨ .

امكان رؤيتهم :

كان الجن يظهرون لسيدنا سليمان عليه السلام ، ويسخرهم في اعمال جسيمة ، كما كان عليه السلام مسلطا على تعذيب المسيئين منهم فيقيدهم في الاغلال وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى :

* وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * (١)

ومن شأن الجن ان يرونا من حيث لانراهم ، قال تعالى :

* إِنَّهُ يُرَاكُمُ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرُونَهُمْ * (٢)

قال قتادة : - رحمه الله - في الآية : " والله ان عدوا يراك من

حيث لاتراه لشديد المؤنة الا من عصم الله " (٣)

وقال مجاهد : " سأل - اى الشيطان - ان يرى ولا يرى ...

فأجيب " (٤)

وقال الامام الشافعي : " من زعم انه يرى الجن ابطلنا شهادته ، الا

ان يكون نبيا " (٥) ، قال ابن حجر تعقيبا على قول الامام الشافعي :

" وهذا محمول على من يدعي رؤيتهم على صورهم التي خلقوا عليها واما من

ادعى انه يرى شيئا منهم بعد ان يتطور على صور شي من الحيوان فلا

يقدر فيه " (٦)

(١) سورة ص : الآيتان : " ٣٧ ، ٣٨ " .

(٢) سورة الاعراف : الآية " ٢٧ " .

(٣) الدر المنثور : ج ٣ ص ٧٦ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق باب ذكر الجن

وثوابهم وعقابهم " ج ٦ ص ٣٤٤ .

(٦) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

ومعنى هذا ان من شأنهم القدرة على التشكل بالاشكال الجسمية التي يمكن ان نراها بحسب استعداداتنا البشرية فقد جاء في طائفة من الاخبار ظهور بعض الشياطين للانسان باشكال جسمانية مرئية منها ما حدث في غزوة بدر .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء ابليس يوم بدر في جنود من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقه بن مالك ابن جعشم فقال الشيطان للمشركين * لَأَغَالِبَ كُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ * (١) ، فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين ، واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس ، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبراً وشيعته فقال الرجل : يا سراقه اتزعم انك لنا جار فقال :
* إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * (٢)

الجن لا يعلمون الغيب :

العلم بما غاب عن الابصار مما استأثر الله تعالى به فلا يطلع على غيبه احدا من خلقه الا من اختاره الله وارتضاه لرسالته ، فيظهره الله على ما يشاء من الغيب ويرسل من امام الرسول ومن خلفه ملائكة وحرسا يحفظونه من الجن ويحرسونه في ضبط ما يلقيه تعالى اليه من علم الغيب .

(١) سورة الانفال : الآية " ٤٨ " .

(٢) سورة الانفال : الآية " ٤٨ " والرواية من تفسير ابن كثير :

قال تعالى في سورة الجن :

* عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ
فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * (١)

وان كان الامر كذلك فان الجن لا يعلمون الغيب بدليل قوله تعالى :

* فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ
مِنْسَاتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ
الْمُهِينِ * (٢)

يذكر عز وجل في هذه الآية الكريمة كيفية موت سيدنا سليمان عليه السلام وكيف ان موته عي على الجن وما دلهم على موته عليه السلام الا تلك الدابة تأكل عناه التي كان متوكئا عليها ، فلما سقط عليه السلام عن عصاه اتضح للجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما زعموا ما مكثوا في الاعمال الشاقة تلك المدة .

عن ابن عباس قال : " لبث سليمان عليه السلام على عصاه حولا بعد مامات ثم خر على رأس الحول فأخذت الانس عصا مثل عصاه ودابة مثل دابته فأرسلوها عليها فأكلتها في سنة " وكان ابن عباس يقرأ : " فلما خر تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين سنة " (٣)

وعن قتادة قال : " كانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء وانهم يعلمون ما في غد فابتلوا بموت سليمان عليه الصلاة والسلام فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته وهم مسخرون تلك السنة ويعلمون داعبين فلما خر تبينت الجن وفي بعض القراءة فلما خر تبينت الانس ان لو كان يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وقد لبثوا يدأبون ويعلمون له حولا بعد موته " (٤)

- (١) الآيتان : " ٢٦ ، ٢٧ " .
(٢) سورة سبأ : الآية " ١٤ " .
(٣) الدر المنثور : ج ٥ ص ٢٣٠ .
(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

هل كان ابليس من الملائكة ؟

يرى بعض الصحابة والتابعين ان ابليس لم يكن من الملائكة ويرى البعض الاخر انه كان منهم ولعل اختلاف الاقوال عندهم جاء من اجتهادهم فسي قوله تعالى :

* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * (١)

في هذه الآية يخاطب عز وجل الملائكة ويأمرهم بالسجود لآدم عليه السلام وهذا الخطاب يتناول ابليس لانه كان من الملائكة وعندما أبى السجود واستكبر طرد وابتعد من رحمة الله .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " كان ابليس قبل ان يركب المعصية من الملائكة اسمه " عزازيل " وكان من سكان الارض وكان من اشد الملائكة اجتهادا واكثرهم علما ، فذلك الذي دعاه الى الكبر ، وكان من حي يسمون جنا " .
وقال ابن مسعود رضي الله عنه : " جعل ابليس على ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم " الجن " وانما سمو الجن لانهم خزان الجنة ، وكان ابليس مع ملكه خازنا " .

وقال قتادة - رحمه الله - في قوله تعالى :

* إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ * (٢)

قال : " كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن " .

(١) سورة البقرة : الآية " ٣٤ " .

(٢) سورة الكهف : الآية " ٥٠ " .

وعن سعيد بن المسيب قال :

" كان ابليس رئيس ملائكة سما الدنيا " (١)

وقال سعيد بن جبير :

" ان الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وابليس منهم وخلق

سائر الملائكة من نور " . (٢)

اما الحسن البصرى - رحمه الله - فقد قال في ابليس :

" هو ابو الجن كما ان آدم عليه السلام ابو البشر ، ولم يكن قسطنط

ملكا " . (٣)

والذى تطمئن اليه النفس من هذه الاقوال ان ابليس لم يكن من الملائكة

وانما كان من الجن وآية سورة الكهف صريحة في هذا .

قال تعالى :

* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ

فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ * (٤)

(١) راجع هذه الآثار في تفسير الطبرى : ج ١ ص ٥٠٢ وما بعدها .

(٢) تفسير القرطبي : ج ١ ص ٢٩٤ .

(٣) المحرر الوجيز : ج ١ ص ١٧٨ .

(٤) الآية " ٥٠ " .

هل هم مكفون :

الجن مخلوقات قابلة للعلم والمعرفة ، ذات ارادة واختيار فهم مكفون بالايمان والعبادة منهيون عن الكفر والعصيان ، والدليل على ذلك ما جاء في القرآن الكريم من ذم الشياطين والتوقي من شرهم وما اعد لهم من العذاب الاليم ، وهذه الامور لا تكون الا لمن ارتكب المنهى عنه وخالف امر الله عز وجل ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ، وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وقد اخرج ابو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " الخلق

اربعة : فخلق في الجنة كلهم وخلق في النار كلهم وخلقان في الجنة والنار ،

فأما الذين في الجنة كلهم فالملائكة واما الذين في النار كلهم فالشياطين ، واما

الذين في الجنة والنار فالجن والانس لهم ثواب وعليهم عقاب " (٢)

واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن الحسن قال : " الجن ولد ابليس

والانس ولد آدم ومن هوءلا مؤمنون ومن هوءلا مؤمنون وهم شركاءهم في الثواب

والعقاب ، ومن كان من هوءلا وهوءلا مؤمنا فهو ولي الله ومن كان من هوءلا

وهوءلا كافرا فهو شيطان " (٣)

(١) سورة الانعام : الآيات : ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ .

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : ح ٣ ص ٤٦ .

(٣) الدر المنثور : ح ٣ ص ٤٦ .

وقال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١)

والمعنى : " وما خلقت الثقلين الانس والجن الا لعبادتي وتوحيدي

لا للاشتغال بطلب الدنيا ، بل عليهم العمل لما خلقوا له من العبادة .

وقد اخرج ابن جرير وابن ابى حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال

في الآية : ليقرأوا له بالعبودية طوعا او كرها .

واخرج ابن المنذر عنه انه قال في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ

وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ على ما خلقتهم عليه من طاعتي ومعصيتي .

واخرج ابن جرير وابن المنذر عن زيد بن اسلم - رحمه الله - في الآية

قال : ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة . (٢)

هل كان فيهم نبي ؟ :

قال تعالى : ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ

عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ (٣)

في هذه الآية يخاطب عز وجل كافرى الجن والانس بقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ

رُسُلٌ مِنْكُمْ... ﴾ اي : الم يأتكم الرسل يتلون عليكم آيات ربيكم ويخوفونكم

عذاب هذا اليوم الشديد . فقالوا : " بلى شهدنا على انفسنا بأن رسلك

اتتنا وانذرتنا لقاء يومنا هذا . لكن من الذى انذرهم هل هم رسل من الانس ام

رسل من الجن ؟

(١) سورة الذاريات : الآية " ٥٦ " .

(٢) الدر المنثور : ج ٦ ص ١١٦ .

(٣) سورة الانعام : الآية " ١٣٠ " .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الرسل من بني آدم ومن الجن نذر (١) واخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم عن مجاهد - رحمه الله - قال : ليس في الجن رسل انما الرسل في الانس والندارة في الجن وقرأ : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٢) واخرج ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم انه سئل عن الجن هل كان فيهم نبي قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الم تسمع النبي قول الله :

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يُأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ (٣)

يعني بذلك ان رسلا من الانس ورسلا من الجن قالوا : بلى (٤)

اقول :

كما قال الحافظ ابن كثير : ان هذه الآية محتملة ولكنها ليست

صريحة . (٥)

استماعهم القرآن :

استمع نفر من الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ولم يشعر بهم ولا باستماعهم ، ولم يعلم بحضورهم وانما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي .

(١) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ١٧٧ .

(٢) سورة الاحقاف : الآية " ٢٩ " .

(٣) سورة الانعام : الآية " ١٣٠ " .

(٤) الدر المنثور : ج ٣ ص ٤٦ .

(٥) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ١٧٧ .

قال تعالى :

* قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا
عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * (١)

هذه الآية تتحدث عن استماع الجن للقرآن الكريم فهو عز وجل يقول

لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لقومك : ان ربي اوحى الي ان جماعة من الجن

استمعوا لتلاوتي للقرآن ، فأمنوا به وصدقوه واسلموا ، ومصدق ذلك :

مارواه الامام البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " انطلق

رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ

وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليهم الشهب فرجعت

الشياطين ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وارسلت

علينا الشهب ، قال : ما حال بينكم وبين خبر السماء الا ما حدث فاضربوا

مشارك الارض ومغاريها فانظروا ما هذا الامر الذى حدث ، فانطلقوا فضربوا

مشارك الارض ومغاريها ينظرون ما هذا الامر الذى حال بينهم وبين خبر السماء ،

قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة

وهو عامد الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا

القرآن تسمعوا له ، فقالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك

رجعوا الى قومهم ، فقالوا : يا قومنا * إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَيْنَا

الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا * (٢) وأنزل الله عز وجل على نبيه

صلى الله عليه وسلم : * قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ * (٣) ،

وانما اوحى اليه قول الجن . (٤)

(١) سورة الجن : الآيتان : " ١ ، ٢ . "

(٢) سورة الجن : الآيتان : " ١ ، ٢ . "

(٣) سورة الجن : الآية " ١ . "

(٤) صحيح البخارى كتاب التفسير ، سورة الجن ، ح ٦ ص ١٩٩ .

قال الحافظ البيهقي : " وهذا الذى حكاه ابن عباس رضي الله عنهما
انما هو اول ما سمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك الوقت
لم يقرأ عليهم ولم يرههم ثم بعد ذلك اتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم
الى الله عز وجل كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه . (١)

ورواية ابن مسعود رضي الله عنه التي اشار اليها البيهقي رواها الامام
مسلم عن علقمة قال : " سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد احد منكم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : لا . ولكننا كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب (٢)
فقلنا استطير (٣) او اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا
اذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك
فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم
القرآن (٤)

ومصدق ذلك قوله تعالى :

* وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنَّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ * فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا
أَنْصِتُوا * فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ * (٥)

-
- (١) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ١٦٣ .
(٢) الشعاب : رؤوس الجبال ، وما انفرج بين جبلين ، ومسيل الماء في
بطن من الأرض لسان العرب : مادة (شعب) : ح ٢ ص ٣٢٠ .
(٣) استطير : اى ذهب به بسرعة كأن الطير حملته . النهاية في غريب
الحديث والاثر : ح ٣ ص ١٥١ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة ففي
الصبح والقراءة على الجن : ح ٤ ص ١٦٨ .
(٥) سورة الاحقاق : الآية " ٢٩ "

تسخير الجن لسليمان عليه السلام :

سخر الله عز وجل الجن لسليمان عليه السلام يعملون له بقدرته تعالى
وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنائيات وغير ذلك .
وهذا مما انعم الله به وتفضل على نبيه عليه السلام .

قال تعالى : في سورة سبأ : الآيتان " ١٢ ، ١٣ " :

* وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَمَلًا
أَمْرًا نُنزِقُهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ (١) وَتَمَاثِيلَ (٢)
وَجِفَانَ (٣) كَالْجَوَابِ (٤) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ (٥) *

- (١) المحارِب : ج محراب ، وهو الغرفة ، و صدر البيت ، واكرم مواضعه .
ترتيب القاموس المحيط : ح ١ ص ٦١١ .
وقال مجاهد : المحارِب بنيان دون القصور . تفسير ابن كثير :
ح ٣ ص ٥٢٨ .
- (٢) التمثال : بالكسر الصورة . ترتيب القاموس المحيط : ح ٤ ص ٢٠٣ .
وقال مجاهد : كانت من نحاس ، وقال قتادة : من رخام ، الدر المنثور :
ح ٥ ص ٢٢٨ .
- (٣) الجفان : القصاع . ترتيب القاموس المحيط : ح ١ ص ٥٠٨ ،
والجفنة خصت بوعاء الاطعمة . المفردات في غريب القرآن : ص ٩٤ .
- (٤) الجواب : جمع جابية وهي الحوض الذي يجبي فيه الماء . لسان العرب
مادة : (جوب) : ح ١ ص ٥٢٦ .
قال قتادة والحسن : كالحياض .
- (٥) وقدور راسيات : قال قتادة : ثابتات لا يزلن عن مكانهن كن يريسن
بارض اليمن . وقال الحسن : القدور العظام التي لا تحول من مكانها .
وقال سعيد بن جبير : قدور عظام تفرغ افرغا .
انظر الدر المنثور : ح ٥ ص ٢٢٨ .

وقال تعالى :

* فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ
كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * (١)

كل انسان معه شيطان :

كل انسان معه شيطان يوسوس له ويدعوه الى عمل المنكر ويزينه له

حتى الانبياء عليهم السلام ، قال تعالى :

* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ * (٢)

وعن عروة ان السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه

وسلم حدثته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا ، قالت :

فغرت عليه ، فجاء فرأى ما اصنع ، فقال مالك يا عائشة اغرت ؟ قلت :

ومالي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال : ولقد جاءك شيطانك قلت : يا رسول الله

او معي شيطان ؟ قال : نعم . قلت : ومع كل انسان شيطان ؟ قال : نعم .

قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربي اعانني عليه حتى

اسلم * (٣)

معنى هذا ان الآيات القرآنية والاحاديث النبوية تؤكد هذا الأمر

وهوان كل انسان معه شيطان يوسوس له ، ويزين له الباطل ، ويجرى فيه

(١) سورة ص: الآيات : ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٢) سورة الانعام : الآية " ١١٢ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب تحريش

الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وان مع كل انسان قرينا :

مجري الدم في العروق ، وكلما بعد الانسان عن منهج الله سبحانه وتعالى كلما تمكن الشيطان منه فاغراه بالشر قولا وفعلا حتى يستولي عليه فيفعل بنو آدم الشر والفساد بايعاز من الشيطان ، لكن هل يقف الشيطان بجانب وليه الذى اطاعه في فعل المنكر مدافعا عنه ينصره وينقذه ، ام يتخلى عنه ويتهرباً منه وقت البلاء ؟ هذا ما ستوضحه الفقرة التالية :

خذلان الشيطان للانسان :

تعددت في القرآن الكريم الآيات التي تحذر الانسان من عداوة ابليس له لان ابليس ومن معه من الشياطين هم اعداء الله الذين يمثلون الشر والفساد واعمالهم تتجه دائما وابدا الى التمرد على الله ، والى التفريق والتزيق والتخريب من عهد آدم ابي البشر عليه السلام حتى يومنا هذا والسبب ان يرث الله الارض ومن عليها .

قال تعالى :

* يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا * (١)

فالشيطان ظاهر العداوة للانسان وسيخلى عنه بعد ان يمد له

في الفساد مدا بدليل قوله تعالى :

* أَلْقِيَ فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ *
الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا
مَا أَطَعْتَهُ وَلَكِن كَان فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * (٢)

(١) سورة الاعراف : الآية " ٢٧ " .

(٢) سورة ق : الآيات " ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ " .

يقول تعالى للملكين - السائق والشهيد - اقدفا في جهنم كل
كافر معاند للحق ، مانع لكل حق واجب عليه مشرك بالله لا يوهـمـن
بوحدا نيته .

هنا يقول القرين وهو الشيطان (١) المقيض له ربنا ما اضللته لكنه
ضل واختار العمى على الهدى . (٢)

وقال تعالى في سورة الحشر:

* كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * (٣)

هذه الآية تبين ان الشيطان اغرى الانسان بالكفر فلما كفر تخلى عنه
وخذله وتبرأ منه ، وقال اني اخاف الله وانتقامه ان كفرت به ، وقوله هـذا
كذب لانه لوخاف الله ماعصاه .

(١) اخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : (قَالَ قَرِينُهُ)
قال الشيطان .

واخرج الفريابي عن مجاهد في قوله (قَالَ قَرِينُهُ) قال الشيطان
الذى قبيض له . الدر المنثور : ج ٦ ص ١٠٦ .

(٢) في الآية الكريمة محذوف دل عليه السياق كأن الكافر قال : يارب
ان الشيطان هو الذى اطفاني ، فيقول قرينه ، ربنا ما اطفيتـه
بل كان هو نفسه ضالا معاندا للحق .

(٣) الآية : " ١٦ " .

لا سلطان للشيطان على المؤمنين :

الشيطان ولي الذين يطيعونه ويتبعونه من كافرين وغيرهم وجزاء لهم يسلط عليهم عز وجل الشياطين تغريهم بالشر ، قال تعالى :

* أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَهُّوهُمْ أَرْأَى * (١)

والمعنى :

يسلط الله عز وجل الشياطين على الكافرين تغريهم بالشر حتى يركبوا المعاصي .

وقد اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال : " تفويهم اغواء " .

وعن مجاهد - رحمه الله - قال : " تشليهم اشلاء " .

وعن قتاده - رحمه الله - قال : " تزعجهم ازعاجا الى المعاصي " (٢)

فاذا كان هذا هو حال اتباع الشياطين فما حال اولياء الله ؟

يقول عز وجل في سورة النحل :

* فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * (٣)

فالشيطان ليس له تسلط وقدرة على المؤمنين بالاغواء والكفر لانهم

في رحمة الله وهم يعتمدون على الله في امورهم .

(١) سورة مريم : الآية " ٨٣ " .

(٢) الدر المنثور : ح ٤ ص ٢٨٤ .

(٣) الايتان : " ٩٨ ، ٩٩ " .

مقاومة الشيطان :

تحصن المسلم واحترازه من الشياطين ممكن وذلك بأن يتبع ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية في مقاومة الشيطان ودفع ضرره ، وقد وجه عز وجل المؤمنين الى محاربة نزغات الشيطان بالاستعاذة * (١) منه . قال تعالى في سورة الاعراف :

* **وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** * (٢)

عن قتادة في قوله : * **وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ** * ،

قال : " علم الله ان هذا العدو مبتغ ومريد " (٣)

وقال تعالى في سورة المؤمنون :

* **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ، وَقُلْ رَبِّ**

أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ * (٤)

وقال تعالى :

* **ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**

وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا نَذْرٌ عَظِيمٌ ، وَإِذَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * (٥)

(١) صيغة الاستعاذة هي قول : " اعوذ بالله من الشيطان الرجيم "

وقد ورد بها نص عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الامام البخارى في صحيحه في كتاب بدء الخلق ، باب صفة ابليس وجنوده :

ح ٤ ص ١٥١ .

(٢) الآية : " ٢٠٠ " .

(٣) الدر المنثور : ح ٣ ص ١٥٤ .

(٤) الآيات : " ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ " .

(٥) سورة فصلت ، الآيات " ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ " .

- وبالإضافة الى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم لدفع ضرره يمكن :
- (١) قراءة آية الكرسي ، لحديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه :
" وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت
فجعل يحثو^(١) من الطعام فأخذته ، فقلت " لأرفعنك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم . . . فقال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية
الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ،
فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقك وهو كذوب ذاك شيطان " (٢)
(٢) ذكر لا اله الا الله وحده لا شريك له له الطك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير في كل يوم مائة مرة لحديث ابي هريرة رضي الله عنه قال :
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الطك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة
مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة
سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي . . . " (٣)
الى غير ذلك من الاحاديث في الاستعاذة من الشيطان الرجيم .

ومعد :

فان الجن مخلوقات ذات ارادة ، منهم المؤمن ومنهم الكافر كما قال
ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ، مكلفون بالايمان ، منهيون عن الكفر ،
مصابون على ايمانهم معذبون على كفرهم ، مخلوقون من خالص النار ، لا يرون
على صورتهم الحقيقية ، ولا يعلمون الغيب ، الى غير ذلك من النقط

(١) يحثو: يخرف بيديه ، النهاية في غريب الحديث والأثر : ح ١ ص ٣٣٩ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة ابليس وجنوده :

ح ٤ ص ١٤٩ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،

باب التهليل والتسبيح والدعاء : ح ١٧ ص ١٧ .

التي تعرضت لها في ثنايا الموضوع ولم يختلف في هذه النقاط الصحابة والتابعون ، ولعل النقطة التي حدث فيها الخلاف بينهم هي : هل كان ابليس من الملائكة قبل ان يعص الله ؟ وفي ذلك يقول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير: ان ابليس كان من الملائكة .

وبخالفهم الحسن البصرى ويقول : ان ابليس هو ابوالجن ولم يكن ملكا وقد ارتضيت قول الحسن - رحمه الله - لصريح قوله تعالى :

* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ * (١)

فابليس لم يطع ما أمر به عز وجل لأن أصله قد خانته فانه خلق من مارج

من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت ذلك في حديث صحيح * (٢)

فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانته الطبع ، وذلك انه كان قد

توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى

بالمخالفة * (٣)

(١) سورة الكهف : الآية * ٥٠ .

(٢) راجع صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الزهد ، باب في احاديث متفرقة :

ح ١٨ ص ١٢٣ .

(٣) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٨٨ .

المبحث الرابع
اليوم الآخر

اليوم الآخر

عمر الانسان في هذه الحياة الدنيا له اجل محدود ينتهي عنده ،
لكن آماله وتطلعاته غير محدودة ، فهل من عالم آخر يحقق فيه آماله
وتطلعاته ؟ ينظر الانسان حوله فيرى الخير والشر في صراع ، ومعارك كثيرة
لا تنتهي ، الشر ينتصر على الخير ، الانسان لا يرى عواقب الخير والشر ،
فهل من عالم آخر يلقي فيه الشر جزاءه وينتصر فيه الخير ؟
اجل : وذلك مقتضى الحكمة الالهية ومن هنا وجب الايمان باليوم
الآخر ، ولكن ما المقصود باليوم الآخر ؟

مفهوم اليوم الآخر :

اليوم الآخر خاتمة المطاف بالانسان واليه تنتهي الغاية من خلقه
فالحياة الدنيا والحياة الآخرة حياة واحدة مستمرة ، اولها زرع وآخرها حصاد
وحسب الزرع وما انفق فيه من جهد يكون الحصاد .
يبدأ اليوم الاخر بفناء هذه الحياة الدنيا ، فيفنى كل ما هو حي ،
ثم ينشئ الله عز وجل النشأة الآخرة التي تبدأ بالبعث الذي تعود فيه
الحياة للمخلوقات ، فيحقق عز وجل في هذه الحياة الأخرى ما اعدده للمؤمنين
من نعيم دائم لا يزول ، وعذاب للكافرين .

والايمان باليوم الآخر ركن من اركان الايمان ، لذا يكثر القرآن الكريم
من ذكره ويصوره بعدة صور - حتى يقربه الى الانهان - فلا تكاد سورة تخلو
منه ، فتارة بالأمر بالايمان به ، واخرى بالنهي عن الكفر به ، وبالتصريح فسي

مقاسي الترغيب والترهيب ، وبالإشارة في مقام حث المؤمنين على العمل الصالح . . . بحيث يستطيع المرء ان يقرأ آيات القرآن الكريم المتصلة بهذه الموضوعات فيحيا في حياته الدنيا هذه تلك الحياة الآخرة .

ونلاحظ ارتباط الايمان بالله تعالى بالايمان باليوم الآخر في كثير من الآيات ، لان الايمان بالله عزوجل معرفة بخالق هذا الكون المستحق للعبادة وحده ، والايمان باليوم الآخر معرفة بما يصير اليه هذا الكون وايضا لان من مقتضى الايمان بالله تصديقه في جميع ما اخبر به وقد اخبر تعالى باليوم الآخر في وعده ووعيده .

اهتمام القرآن الكريم به :

اهتم القرآن الكريم اهتماما كثيرا بتقرير اليوم الآخر ، وتحدث عنه حديثا مستفيضا وذلك لان المشركين من العرب كانوا ينكرونه ويستبعدونه اشد الاستبعاد قال تعالى في سورة الواقعة :

* وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوْ
آبَاءُنَا الْأَوَّلُونَ * (١)

وقال تعالى :

* وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * (٢)

كان هذا هو السبب الرئيسي في حديث القرآن عن اليوم الآخر بهذه الاستفاضة في السور المكية ولكن ما سبب استمرار الحديث عنه فسي

(١) الآيتان : " ٤٧ ، ٤٨ " .

(٢) سورة الاسراء : الآية " ٤٩ " .

السور المدنية بعد ان آمن من آمن حتى جاهد الصحابة رضوان الله عليهم فسي
سبيل الله واستشهدوا رجاء في اليوم الآخر ؟
لعل اهتمام القرآن باليوم الآخر لم يكن السبب فيه انكار المشركين
للبعث فحسب وانما يذكر الذين آمنوا به لما علم عز وجل انه لا يد —
التذكير واعادته المرة تلو المرة .

الغاية من خلق الانسان :

خلق الله عز وجل الانسان للعبادة ، قال تعالى :

* وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيُعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مَزْجِينَ
رِزْقِي وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونِ * (١)

فعبادة الله تعالى وحده هي الغاية الاولى من خلق الانسان عن علي
ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (إِلَّا لِيُعْبُدُونِ) قال :
" الا ليقروا بعبادتي طوعا او كرها " (٢)

ومعنى الآية : انه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده
لاشريك له فمن اطاعه جازاه اتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه اشد العذاب واخبر
انه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه في جميع احوالهم فهو خالقهم
ورازقهم " . (٣)

(١) سورة الذاريات ، الآيتان " ٥٦ ، ٥٧ " .

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٢٣٨ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

بداية اليوم الآخر :

يبدأ اليوم الآخر بأحداث انقلاب كوني هائل ، قال تعالى :

* إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ
سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ
سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ
قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ
سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ * (١)

هذه الآيات تتحدث عن مشاهد الانقلاب الكوني الذي يصاحب قيام الساعة وتبين احوال ذلك اليوم ، وما يكون فيه من شدائد وكوارث وما يعترى الوجود من مظاهر التغير والتخريب.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله * إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * (٢)
قال : اظلمت ، وفي رواية قال : اغورت ، * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * (٣)
قال : تغيرت * وَإِذَا الْمَوُودَةُ سُئِلَتْ * (٤) قال : سألت .

وعن مجاهد في قوله : * إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * قال : اغورت ،
* وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * قال : تناثرت ، * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * (٥)
قال : ذهب ، * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * (٦) قال : عشار الابل

(١) سورة التكوير : الآيات " من ١ الى ١٤ " .

(٢) سورة التكوير : الآية " ١ " .

(٣) سورة التكوير : الآية " ٢ " .

(٤) سورة التكوير : الآية " ٨ " .

(٥) سورة التكوير : الآية " ٣ " .

(٦) سورة التكوير : الآية " ٤ " .

عطلت لا راعي لها ، * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * (١) قال : اوقدت ،
* وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * (٢) قال : الامثال للناس جمع بينهم .

وعن سعيد بن جبير في قوله (كُورَتْ) قال : غورت .

وعن ابي العالية قال : ست آيات من هذه السورة (٣) في الدنيا

والناس ينظرون ، وست في الآخرة : * إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ * (٤) الى :

* وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * هذه في الدنيا والناس ينظرون ، * وَإِذَا

النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * الى * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * (٥) هذه في الآخرة .

وعن ابي بن كعب رضي الله عنه قال : ست آيات قبل يوم القيامة بينما

الناس في أسواقهم ان ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك ان وقعت الجبال

على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففرغت الجن الى الانس والانس

الى الجن ، واختلطت الدواب والطيور والوحش فماج بعضهم في بعض . . . قال

الجن والانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هي نار تتأجج ،

فبينما هم كذلك ان انصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة والى

السماء السابعة فبينما هم كذلك ان جاءتهم ريح فأماتتهم .

وعن قتادة - رحمه الله - في قوله : * إِذَا الشَّمْسُ كُورَتْ * ،

قال : ذهب ضوءها فلا ضوء لها ، * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * (٦) قال :

(١) سورة التكوير : الآية " ٦ " .

(٢) سورة التكوير : الآية " ٧ " .

(٣) اى : سورة التكوير .

(٤) سورة التكوير : الآية " ١ " .

(٥) سورة التكوير : الآية " ١٣ " .

(٦) سورة التكوير : الآية " ٢ " .

تساقطت وتهافتت ، * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * (١) قال : سببها اهلوها
اناهم ما شغلهم عنها فلم تصر ولم تحلب ولم يكن في الدنيا مال اعجب اليهم
منها ، * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * (٢) قال : ان هذه الخلائق
موافية يوم القيامة فيقض الله فيها ما يشاء ، * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * (٣)
قال : ذهب ماؤها ولم يبق منها قطرة ، * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * (٤)
قال : ألحق كل انسان بشيعته اليهودى باليهودى والنصراني بالنصراني ،
* وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ * (٥) قال : هي في بعض القراءة سألت
بأى ذنب قتلت قال : لا بذنب . . * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * (٦) قال :
صحيفتك يا ابن آدم على ما فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فينظر
الرجل ما يملى في صحيفته ، * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * (٧) قال :
اوقدت ، * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * (٨) قال : قربت ، * عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَا أَحْضَرَتْ * (٩) من عمل .
وعن الحسن في قوله : * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * قال : غار
ماؤها فذهب .

-
- (١) سورة التكوير : الآية " ٤ "
 - (٢) سورة التكوير : الآية " ٥ "
 - (٣) سورة التكوير : الآية " ٦ "
 - (٤) سورة التكوير : الآية " ٧ "
 - (٥) سورة التكوير : الآية " ٨ "
 - (٦) سورة التكوير : الآية " ١٠ "
 - (٧) سورة التكوير : الآية " ١٢ "
 - (٨) سورة التكوير : الآية " ١٣ "
 - (٩) سورة التكوير : الآية " ١٤ "

وعن عكرمة في قوله * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * (١) قال: يقرن
الرجل في الجنة بقرينه الصالح في الدنيا ، ويقرن الرجل الذي كان يعمل
السوء في الدنيا بقرينه الذي كان يعينه في النار * (٢)

ما حكاه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون رحمهم الله هو بدايية
الانقلاب في الكون والذي يشمل الشمس ، والنجوم ، والجبال ، والبحار ،
والارض ، والسماء ، والانعام ، والوحوش ، كما يشمل البشر ، ويهتز الكون
هزا ينتشر فيه كل ما في الوجود ولا يبقى شيء الا وقد تبدل وتغير .
وسبحان الله العظيم ان يقول :

* كَيْوَمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَتَرَزُّوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ
الْقَهَّارِ * (٣)

موعده :

من الامور التي استأثر الله تعالى بعلمها ولم يطلع عليها احدا من
خلقه وقت قيام الساعة حتى الانبياء والمرسلون والملائكة المقربون لا يعلمون وقتها
وقد وردت الآيات التي توضح هذا الأمر ومن ذلك قوله تعالى :

* يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي
لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ
كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * (٤)

(١) سورة التكوير : الآية " ٧ "

(٢) راجع اقوال الصحابة والتابعين في الدر المنثور : ح ٦ ص ٣١٨ ،

٣١٩ ، ٣٢٠ . "

(٣) سورة ابراهيم : الآية " ٤٨ " . "

(٤) سورة الاعراف : الآية " ١٨٧ " . "

يسأل المشركون واهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة متى وقوعها وحدوثها ، قال ابن عباس : " قال جبل بن ابي قشير وشموال بن زيد من اليهود : يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فاننا نعلم متى هي فأنزل الله تعالى هذه الآية " (١)

وقال قتادة : " قالت قريش لمحمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى تكون الساعة ، فأنزل الله تعالى : * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ * (٢)
وعن قتادة ايضا في قوله : (لَا يُجْلِيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) قال :
هو يجليها لوقتها لا يعلم ذلك الا الله ، وفي قوله (ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)
قال : ثقل علمها على اهل السموات والارض انهم لا يعلمون . (٣)
وقال الحسن : اذا جاءت ثقلت على اهل السموات والارض ، يقول :
كبرت عليهم . (٤)

وقال تعالى في سورة " فصلت " :

* إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ * (٥)

اي : لا احد يعلم ذلك سواه عز وجل .

-
- (١) اسباب النزول : للواحدى ص ١٣٠ .
 - (٢) المصدر السابق نفس الصفحة .
 - (٣) الدر المنثور : ح ٣ ص ١٥٠ .
 - (٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .
 - (٥) الآية : " ٤٧ " .

وقد جاء في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً بارزاً للناس فأثاه رجل فقال : يا رسول الله . . . متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل . . . (١)

أمارات الساعة :

يعبر عنها بأشراط الساعة ويراد بها علامات قربها ودنوميعادها وهي تتضمن مجموعة من انباء الغيب التي ستحدث قبيل قيام الساعة تمكننا لايمان من آمن واقامة الحجة على المعاندين ومن هذه الأمارات :

(١) طلوع الشمس من مغربها ، لحديث عبد الله بن عمرو قال : حفظت

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً لم انسه بعد ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما ماكانت قبل صاحبيتها فالأخرى على اثرها قريباً . (٢)

والدابة المذكورة هنا هي الدابة المذكورة في قوله تعالى في سورة النمل :

* وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ * (٣)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب اشراط الساعة :

ح ١ ص ١٦٣ .

يقول الامام الالوسي : وانما اخفى سبحانه امر الساعة لاقتضاء

الحكمة التشريعية ذلك ، فانه ادعى الى الطاعة واجر عن المعصية ،

كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك ، ولو قيل ان الحكمة

التكوينية تقتضي ذلك لم يبعد ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع

المثاني : مجلد ٣ ، ح ٩ ص ١٣٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ح ١٨ ص ٧٧

(٣) الآية : " ٨٢ " .

قال ابن كثير :

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم
أوامر الله وتبدلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الأرض . . فتكلم
الناس على ذلك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن علي : تكلمهم كلاماً
أى : تخاطبهم مخاطبة .

وقال ابن عباس في رواية تجرحهم : وعنه في رواية أخرى : كلا تفعل يعني

هذا وهذا . (١)

(٢) خروج الدجال يدعى الربوبية ومعه الخوارق :

لحديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
" ان الدجال يخرج وان معه ماءً وناراً فأما الذى يراه الناس ماءً فنار
تحرق ، وأما الذى يراه الناس ناراً فماء بارد عذب ، فمن ادرك ذلك
منكم فليقع في الذى يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب . " (٢)

(٣) نزول عيسى عليه السلام ، وهلاك الدجال على يده ، وكسره
الصليب ، وقتله الخنزير .

قال تعالى : * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الْيَوْمِ مَنْ يَهْتَدِ ، وَيَتَّبِعِ
الْقِيَامَةَ يُكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * (٣)

فبعض أهل الكتاب من يهود ونصارى سيؤمنون بان عيسى عليه السلام

عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى السيدة مريم ، وهذا الايمان به سيكون قبل
موته ، عند نزوله من السماء قبيل الساعة .

(١) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٣٧٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال :

ح ١٨ ص ٦٢ .

(٣) سورة النساء : الآية " ١٥٩ " .

وقد ورد تفسير هذه الآية بنزول عيسى عليه السلام عن ابن عباس وعن

ام سلمة ، وعن قتادة ، والحسن البصرى ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير (١)

وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم " والذى نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما

عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى

لا يقبله احد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول

ابو هريرة : واقرءوا ان شئتم :

* وَأَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ

عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * (٢)

(٤) انبعث قبائل بأجوج ومأجوج (٣) ، وفتكهم العظيم وافسادهم في

الارض ، ثم يدعو عليهم سيدنا عيسى عليه السلام والمؤمنون معه

فيهلكهم الله .

قال تعالى :

* حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ،

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ

كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * (٤)

(١) زاد المسير في علم التفسير : ح ٢ ص ٢٤٧

(٢) سورة النساء : الآية " ١٥٩ " ، والحديث في صحيح مسلم بشرح

النووى ، كتاب الايمان ، باب بيان نزول عيسى ابن مريم عليه السلام

حاكما : ح ٢ ص ١٩١ .

(٣) يأجوج ومأجوج : قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وهذا

القول هو المعتمد عند كثير من المتأخرين ، وقيل ان يأجوج ومأجوج

من ولد آدم عليه السلام . تفسير البحر المحيط : ح ٦ ص ٣٨ .

(٤) سورة الانبياء : الآيتان " ٩٦ ، ٩٧ " .

روى الامام مسلم بسنده عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه

وسلم قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول :

لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج

مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي تليها قالت فقلت يا رسول الله

انهلك وفيما الصالحون ؟ قال : نعم اذا كثر الخبث " (١)

وقد رأى ابن عباس صبيانا ينزوا (٢) بعضهم على بعض يلعبون

فقال : هكذا يخرج مأجوج ومأجوج . (٣)

(٥) ثم يبعث الله ريحا من اليمن الين من الحرير فلا تدع احدا فـي

قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته . (٤)

واخيرا لا يبقى في الارض الا شرار الناس ، فعليهم تقوم الساعة

وذلك لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقول :

" من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء " (٥)

الى غير ذلك من الامارات.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفتن واشراط الساعة : ح ١٨ ص ٣ .

(٢) ينزوا : يقال : نزوت على الشيء انزوا نزوا اذا وثبت عليه .

النهاية في غريب الحديث والاثار : ح ٥ ص ٤٤ .

(٣) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ١٩٥ .

(٤) الحديث رواه الامام مسلم في صحيحه ، كتاب الايمان ، باب الريح التي

تكون قرب القيامة . ح ٢ ص ١٣٢ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب الفتن باب لا ياتي زمان الا الذى بعده شرمنه

ح ٩ ص ٦١ .

النفخ في الصور (١) :

قال تعالى : * وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ * (٢)

في ذلك اليوم يوم ينفخ في الصور لا يبقى احد من اهل السموات والارض الا خاف وفزع الا من شاء الله .

وقال تعالى : * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ * (٣)

قال ابو هريرة : ان الملك له في الصور ثلاث نفخات ، نفخة الفزع وليس بالفزع الاكبر ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام من القبور * (٤)

ومعنى هذا القول ان هناك ثلاث نفخات .

وجاء عن ابن مسعود حديثا ذكر فيه : " . . . ثم يقوم ملك الصور بيمين السماء والارض فينفخ فيه ، والصور قرن ، فلا يبقى لله خلق في السموات والارض الا مات الا ماشاء ربك ، ثم يكون بين النفختين ماشاء الله ان يكون . . . " (٥)

وعن ابن عباس في قوله تعالى :

* يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتَّبِعُهَا الرَّارِفَةُ * (٦)

-
- (١) الصور : القرن ، لسان العرب : ح ٢ ص ٤٩٢ مادة (صور) .
 - (٢) سورة النمل : الآية " ٨٧ " .
 - (٣) سورة الزمر : الآية " ٦٨ " .
 - (٤) تفسير البحر المحيط : ح ٧ ص ٩٩ .
 - (٥) التذكرة في احوال الموتى وامور الآخرة " لابي عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي : ح ١ ص ٢٢٠ ط / ١٩٨٢ م .
 - (٦) سورة النازعات : الآيتان " ٦ ، ٧ " .

قال : (الرَّاجِفَةُ) النفخة الاولى ، و (الرَّابِفَةُ) النفخة الثانية (١)
وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة .

وفي الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : " ما بين النفختين اربعون " (٢)

فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء عن ابن مسعود وابن عباس
والتابعين يدل على وجود نفختين اثنتين .

امكان البعث :

عندما ينفخ الطك في الصور نفخة البعث بأمر الله تعالى اذا الناس
قيام ينظرون .

فالبعث حقيقة لا ريب فيها ستتحقق اذا جاء اجلها المقدر لها فالبعث
امر واقع حتما ستعود فيه الحياة الى المخلوقات بعد ان فنيت وليس هذا الامر
ببعيد على قدرة الله عز وجل الذى خلق السموات والارض وخلقهن اكبر من
خلق الانسان .

كيفية الاعادة :

ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " كل ابن آدم
يأكله التراب الا عجب (٣) الذنب منه خلق وفيه يركب " (٤)

(١) التذكرة في احوال الموتى وامور الآخرة : ح ١ ص ٢١٩ ، وتفسير

ابن كثير : ح ٤ ص ٤٦٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفتن ، باب ما جاء بين النفختين :

ح ١٨ ص ٩١ .

(٣) العجب : بالسكون : العظم الذى في اسفل الصلب عند العجز .

النهاية في غريب الحديث والأثر : ح ٣ ص ١٨٤ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الفتن ، باب ما بين النفختين :

ح ١٨ ص ٩٢ .

فالأجسام تنقلب من حال الى حال ، فتستحيل ترابا ، ثم ينشئها الله
نشأة أخرى كما استحال الانسان في النشأة الاولى ، فانه كان نطفة ثم صار علقة ،
ثم صار مضغة ، ثم صار عظاما ولحما ، ثم انشأه خلقا سويا ، كذلك الاعادة
يعيده الله بعد ان يبلى كله الا عجب الذنب.

وعند امعان النظر في الآيات الكريمة نجدها قد سلكت في اثبات
الاعادة والحياة الثانية احسن الطرق التي تبصر العقول وتستنهضها من
غفلاتها ، وذلك على وجوه متعددة في غاية الوضوح والسهولة فتارة يستدل
عز وجل على ذلك بالنشأة الاولى ، وتارة بخلق السموات والارض فان خلقهما
اعظم من اعادة الانسان ، وتارة بخلق النبات وابدأ اولاً :

بطريقة البرهان :

١ - فالله عز وجل يستدل بقدرته التي خلق بها آدم من تراب وذريته من نطفة
على امكان البعث والاعادة ، قال تعالى :

* يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ
ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِى
الْآرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ، ثُمَّ لِنَبْلُغُنَّ أَشْدَّكُمْ ، وَمِنْكُمْ
مَّنْ يَمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُصْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً * (١)

في هذه الآية الكريمة يذكر عز وجل الدليل على قدرته تعالى على
المعاد بما يشاهد من بدئه الخلق فقال : * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ
مِّنَ الْبَعْثِ * وهو المعاد * فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ * بمعنى ان اصل

(١) سورة الحج : الآية " ه " .

بدئه لكم من تراب وهو الذى خلق منه آدم عليه السلام * ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ *
اي ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين * ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ *
وذلك انه اذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت اربعين يوما ثم تستحيل
فتصير قطعة من لحم لا شكل فيها وقد تسقطها المرأة قبل التشكيل وربما
تلقيها ، وقد صارت ذات شكل ، وتارة تستقر في الرحم لاتلقيها المرأة
ولا تسقطها كما ثبت في الصحيح .

عن عبد الله بن مسعود قال : " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم
يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك
فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقــي
او سعيد . . . " (١)

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : * مَخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ * (٢)
قال : " المخلوقة ما كان حيا وغير مخلوقة ما كان من سقط " .

وعن عكرمة - رحمه الله - قال : العلقة الدم ، والمضغة : اللحم ،
والمخلوقة : التي تم خلقها ، وغير مخلوقة : السقط .

وعن قتادة - رحمه الله - في قوله * مَخْلُوقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلُوقَةٍ * قال :
تامة وغير تامة .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي

في بطن امه : ح ١٦ ص ١٨٩ .

(٢) سورة الحج : الآية " ٥ " .

وعن مجاهد - رحمه الله - في قوله : * مَخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مَخْلَقَةٍ *
قال : السقط مخلوق وغير مخلوق ، وفي قوله : * وَنَقَرْنَا فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ
إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى * (١) قال التمام (٢) :

ثم بعد استقرار النطفة في الرحم الى الاجل الذى قدره لها
عز وجل يخرج طفلا ضعيفا في بدنه وحواسه ثم يعطيه الله عز وجل القوة
شيئا فشيئا حتى تتكامل قواه وتتزايد ويصل الى مرحلة الشباب ، * وَمِنْكُمْ
مَنْ يُتَوَفَّى * (٣) اى : في حال شبابه وقواه * وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ
الْعُرَىٰ * (٤) وهو الشيخوخة ، وضعف القوة والعقل وتناقض الاحوال ،
ولذا قال : * لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا * (٥)

فليتفكر الناس في انفسهم وفي نشأتهم الحاضرة التي هم فيها فانهم
يتحولون الى خلق جديد .

ب- ويستدل بقدرته تعالى على خلق العوالم على امكان البعث واعادة الحياة
الى جميع المخلوقات بعد فنائهم .

قال تعالى : * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَعْمَىٰ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ * بلى ، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٦)

-
- (١) سورة الحج : الآية " ٥ " .
 - (٢) راجع هذه الآثار في الدر المنثور : ح ٤ ص ٣٤٥ .
 - (٣) سورة الحج : الآية " ٥ " .
 - (٤) سورة الحج : الآية " ٥ " .
 - (٥) سورة الحج : الآية " ٥ " ، تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٢٠٧ .
 - (٦) سورة الاحقاف : الآية " ٣٣ " .

ج- ويستدل بقدرته تعالى على المعاد من طريق التسوية بين الاعادة والبدء ،
فقدرة الله عز وجل التي قدرت على الابتداء والابداع قادرة على الاعادة ،
فالامران متساويان ، بل الاعادة ايسر واهون من البدء لان الشيء اذا لم
يكن ثم كان واعدم كانت اعادته اهون على من بدأه .

قال تعالى :

* كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * (١)

وقال تعالى :

* وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ * (٢)

فالله تعالى انشأ الخلق من العدم ، والاعادة اهون عليه من البدء .

قال ابن عباس : رضي الله عنهما : " يعني ايسر عليه " .

وقال مجاهد : " الاعادة اهون عليه من البداءة والبداءة عليه هينة ،

وكذا قال عكرمة " . (٣)

ثانيا - طريقة العيان :

طريقة العيان وليس بعدها من دليل ، وقد ضرب القرآن الكريم

امثلة محسوسة تقرب الى الازهان صورة الحياة بعد الموت ، منها :

أ - الاستدلال بنبات الزرع :

ويستدل بالارض الميتة بسبب القحط والجذب ثم تسقط بها الامطار

فتعود ارضا خضراء ذات نماء وازدهار .

(١) سورة الانبياء : الآية " ١٠٤ " .

(٢) سورة الروم : الآية " ٢٧ " .

(٣) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ٣٤٠ .

قال تعالى :

* وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى ،
وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (١)

عن قتادة في قوله : * وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً * قال : غبراء

متهشمة .

* فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ * يقول : نفرق

الغيث في سبختها (٢) وربوها ، * وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ *

اي حسن . (٣)

وقال تعالى :

* وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ ، إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * (٤)

عن مجاهد - رحمه الله - في قوله (اهْتَزَّتْ) قال بالنبات (وَرَبَتْ)

قال : ارتعشت قبل ان تنبت . (٥)

- (١) سورة الحج : الآيتان " ٥ ، ٦ " .
- (٢) سبختها : السبخة : هي الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكسار
تنبت الا بعض الشجر . النهاية في غريب الحديث والاثر : ح ٢ ص ٣٣٣
- (٣) الدر المنثور : ح ٤ ص ٣٤٥ .
- (٤) سورة فصلت : الآية " ٣٩ " .
- (٥) الدر المنثور : ح ٥ ص ٣٦٦ .

ب - الاستدلال على المعاد بالاخبار عن اماتهم الله ثم احياهم :

قال تعالى :

* وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُنَّ
قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ
أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ * (١)

هذه الآية فيها الدليل الحسى على الاعادة بعد الفناء ، فقد طلب

سيدنا ابراهيم عليه السلام من ربه ان يريه كيف يحيى الموتى : * قَالَ فَخُذْ
أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ * اى : قطعهن كما قال ابن عباس
وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن البصرى .

وفي رواية اخرى لابن عباس قال : " اوثقهن " فلما اوثقهن
وذبحهن جعل على كل جبل منهن جزءا " .

قال ابن عباس : واخذ رؤوسهن بيده ثم امره الله عز وجل ان يدعوهن
فدعاهن كما امره الله عز وجل فجعل ينظر الى الريش يطير الى الريش والدم
الى الدم واللحم الى اللحم والاجزاء من كل طائر يتصل بعضها الى بعض حتى
قام كل طائر على حدته واتيئه يمشين سعيا ليكون ابلغ له في الروية التي سألها
وجعل كل طائر يجيء لياخذ رأسه الذى في يد ابراهيم عليه السلام فاذا قدم
له غير رأسه يأباه فاذا قدم اليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته " (٢)

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٦٠ "

(٢) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٣١٥ ==

وبعد :

فان عقيدة الايمان باليوم الآخر عقيدة ثابتة راسخة في نفوس الصحابة
- رضي الله عنهم والتابعين - رحمهم الله - لذا نجدهم يفسرون آيات سورة
التكوير - وغيرها من الآيات التي تمثل بداية ذلك اليوم - تفسيراً يجعل
ما سيحدث ماثلاً امام الاعين من زهاب ضوء الشمس الى تناثر النجوم التي
تسيير الجبال وتعطيل العشار الى غير ذلك ، وايضا في كيفية اعادة الحياة
الى المخلوقات يفسرون الآيات الدالة على الاعادة تفسيراً يجعل المستحيل
ممكناً .

فائدة :

== ذكر عز وجل احياء الموتى في مواضع من سورة البقرة في قوله تعالى :
* اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِيْنَ خَرَجُوْا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ اُلُوْفٌ حٰذِرَ الْمَوْتِ فَقَالَ
لَهُمْ اللّٰهُ مُوتُوْا ثُمَّ اَحْيَاهُمْ * - الآية ٢٤٣ - .
وفي قوله : * اَوْ كَالَّذِيْ مَرَّ عَلٰى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلٰى عُرُوشِهَا قَالَتْ
اِنَّا نَحْنُ حَيٰى هٰذِهِ اللّٰهُ بَعْدَ مُوتِهَا فَاَمَاتَهُ اللّٰهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ * ،
- الآية : ٢٥٩ - .
وقوله : * فَفَلَنَّا اِضْرِبُوْهُ بِبَعْضِهَا كَذٰلِكَ يُحْيِي اللّٰهُ الْمَوْتٰى *
- الآية : ٧٣ - .
وقوله : * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مُوتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُوْنَ * - الآية ٥٦ - .
وفي قصة سيدنا ابراهيم المتقدمة .

الفصل الثاني

موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن
في آيات الأحكام

المبحث الأول : قصر صلاة السفر
المبحث الثاني : مواضع سجود التلاوة
المبحث الثالث : حكم العمرة

المبحث الأول
قصة صلاة السفر

قصر صلاة السفر

من الامور التي يحتاج اليها المسلم معرفة كيفية أداء الصلاة في حال السفر ، وهل تكون كما هي في صلاة الحضر أربع ركعات في كل من صلاة الظهر والعصر والعشاء ام تقصر ، وازا قلنا بالقصر ، فما حكم القصر هل هو واجب ام رخصة ، وما المسافة التي تقصر فيها الصلاة ، وما السفر الذي يجب فيه القصر ، ومتى يبدأ المسافر بقصر صلاته ، وما مدة القصر ؟ الى غير ذلك من مباحث يحتاج اليها .

و أبدأ أولاً بمعنى القصر انطلاقاً من قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنَّكُمْ خُفْتُمْ أَنْ يُفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (١)

قال الرافعي : القصر خلاف الطول وهما من الاسماء المتضادة التي

تعتبر بغيرها ، وقصرت كذا جعلته قصيراً ، . . . وقصر الصلاة جعلها

قصيرة بترك بعض اركانها ترخيها * (٢)

وقال الفخر الرازي :

* اعلم ان لفظ القصر مشعر بالتخفيف ، لأنه ليس صريحاً في أن المراد

هو القصر في كمية الركعات وعدد ها أو في كيفية أدائها ، والجمهور على أن

المراد منه القصر في عدد الركعات * (٣)

(١) سورة النساء : الآية * ١٠١

(٢) المفردات في غريب القرآن : ص ٤٠٥ .

(٣) تفسير الفخر الرازي : ص ١١ ح ١٢ .

ويبدل عليه مارواه يعلى بن امية انه قال : قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف نقصر وقد أمنا ، وقد قال الله تعالى :

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ (١)

فقال : عجبت مما عجبت منه ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

" صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته " (٢)

وهذا يدل على أن القصر المذكور في الآية هو القصر في عدد الركعات ، وان ذلك كان مفهوما عند هم من معنى الآية .

بالإضافة الى ان لفظ من في قوله (من الصلاة) للتعميم ، وذلك يوجب

جواز الاقتصار على بعض الصلاة . (٣)

ثانيا - حكم القصر :

اختلف العلماء في حكم القصر هل هو واجب ام رخصة ، على قولين :

القول الأول : ان القصر واجب .

=====

وقال بوجوبه : عمر بن الخطاب ، وعلي بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وروى ذلك عن عمر بن عبد العزيز وقتادة والحسن .

(١) سورة النساء : الآية " ١٠١ " .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٥ ص ١٩٦ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي : ج ١١ ص ١٧ ، ١٨ .

والأدلة على ذلك :

(١) مارواه ابن عمر رضي الله عنه قال : " صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله عز وجل ، وصحبت ابا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله عز وجل ، وصحبت عثمان فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله عز وجل " . (١)

والتزام رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق وعمر وعثمان

رضي الله عنهم بقصر الصلاة في حال السفر مشعره بوجوب القصر .

(٢) ماروت السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . " وفي رواية اخرى عن السيدة عائشة رضي الله عنها : ان الصلاة اول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتت صلاة الحضر ، قال الزهري : فقلت لعروة ما بال عائشة تتم في السفر ؟ قال : انها تأولت كما تأول عثمان " . (٢)

يقول الامام الشوكاني :

" وهذا دليل ناهض على الوجوب لان صلاة السفر اذا كانت مفروضة

ركعتين لم تجز الزيادة عليها كما انها لا تجوز الزيادة على اربع فـي

الحضر " . (٣)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٥ ص ١٩٧ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٢) المرجع السابق : ج ٥ ص ١٩٤ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٣) نيل الاوطار : ج ٣ ص ٢٤٦ .

(٣) روى الامام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
ان الله فرض الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم على المسافرين
ركعتين وعلى المقيم اربعا وفي الخوف ركعة * . (١)
وهذا الحديث فيه دلالة صريحة من ابن عباس رضي الله عنهما
ان الله عز وجل فرض صلاة السفر ركعتين .

(٤) مارواه عمر رضي الله عنه حيث قال :
" صلاة الاضحى ركعتان وصلاة الفجر ركعتان وصلاة الغطر ركعتان
وصلاة المسافر ركعتان ، تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه
وسلم " . (٢)

حديث عمر رضي الله عنه هذا فيه ايضا دلالة واضحة على ان صلاة السفر
فرضت باديء الامر ركعتين وانها لم تكن اربع ركعات ثم قصرت .
ويؤيد كون القصر واجبا ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قصر
الصلاة في كل اسفاره وانه لم يصح عنه عليه الصلاة والسلام انه اتم الصلاة قط .

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٥ ص ١٩٧ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٢) سنن النسائي : ج ٣ ص ١١٨ ، كتاب تقصير الصلاة في السفر ،

مسند الامام احمد : ج ١ ص ٣٧ .

وهذا الحديث رجاله رجال الصحيح الا يزيد بن زياد بسنن
ابي الجعد وقد وثقه احمد وابن معين وروى من طريق اخرى بأسانيد
رجالها رجال الصحيح ، راجع نيل الاوطار : ج ٣ ص ٢٥٠ .

قال ابن القيم :

وكان صلى الله عليه وسلم يقصر الصلاة الرباعية فيصلبها ركعتين من حين يخرج مسافرا الى ان يرجع الى المدينة ، ولم يثبت عنه انه اتم الصلاة الرباعية (١)

القول الثاني : ان القصر رخصة :
=====

والأدلة على ذلك :

(١) مارواه يعلى بن امية قال : قلت لعمر بن الخطاب :

* فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ اِنْ خِفْتُمْ اَنْ يَفْتِكُمُ الَّذِيْنَ كَفَرُوا * (٢)

فقد أمن الناس ، فقال : عجبت مما عجبت منه فعألت رسول الله

صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته . (٣)

والذى يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم : " صدقة تصدق الله

بها عليكم ، ان القصر رخصة .

(٢) قوله تعالى : * فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ * (٤)

ونفي الجناح مشعر بعدم الوجوب ، وبدل على الاباحة ، ولو كان

القصر واجبا لجاء اللفظ مثلا بقوله : فأقصروا الصلاة او نحو ذلك .

(١) زاد المعاد : ج ١ ص ١٢٨ .

(٢) سورة النساء : الآية " ١٠١ " .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها : ج ٥ ص ١٩٦

(٤) سورة النساء : الآية " ١٠١ " .

وبعد عرض أقوال وادلة القائلين بوجوب قصر صلاة السفر ، والقائلين بأن القصر رخصة ، يتضح جواز القصر والاتمام ، والقصر افضل لملازمة صلى الله عليه وسلم للقصر في جميع أسفاره ، وعدم صدور التمام عنه ، ويبعد ان يلزم صلى الله عليه وسلم المفضل ويبدع الفاضل .

واما دعوى ان عثمان رضي الله عنه كان يتم وكذلك السيدة عائشة رضي الله عنها ، فالصحيح الذي عليه المحققون انهما رأيا القصر جائزا والاتمام جائزا فأخذا بأحد الجائزين وهو الاتمام . (١)

ثالثا - المسافة التي يجوز فيها القصر :

قال تعالى في كتابه الكريم :

* وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ * (٢)

ومعنى الضرب في الارض : السير فيها ، قال تعالى :

* وَأَخْرَجُوا بِضُرِبٍ فِي الْأَرْضِ * (٣)

(١) راجع صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها :

ج ٥ ص ١٩٤ ونيل الأوطار : ج ٣ ص ٢٤٨ .

(٢) سورة النساء : الآية " ١٠١ " .

(٣) سورة المزمل : الآية " ٢٠ " .

والمتهاد من الآية الكريمة : * وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ * أن اي
سفر طال أم قصر تقصر من اجله الصلاة ، ولم يرد في سنة النبي صلى الله عليه
وسلم ما يقيد هذا الاطلاق ، وقد اورد ابن حزم في المحلى اكثر من عشرين
قولا للصحابة والتابعين في مسافة القصر منها :

- (١) كان عبد الله بن مسعود يقول : " لا يفرنكم سوادكم (١) هذا من
صلاتكم فانه من مصركم " (٢)
- (٢) وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قصر الصلاة الى خيبر وقال :
هذه ثلاث قواصد يعني ليال . (٣)
- (٣) وعن سعيد بن جبير في قصر الصلاة : في مسيرة ثلاث .
- (٤) وقال الحسن البصرى : لا تقصر الصلاة في أقل من مسيرة ليلتين ،
وعن معمر بن قنادة عن الحسن مثله وبه يأخذ قتادة .
- (٥) وعن مجاهد عن ابن عباس قال : اذا سافرت يوما الى العشاء فأتهم ،
فان زدت فأقصر .

وفي رواية عن مجاهد عن ابن عباس قال : " لا يقصر المسافر فسي
مسيره يوم الى العتمة ، الا في اكثر من ذلك .
وهذا مما اختلف فيه عن ابن عباس

-
- (١) السواد : القرى ، والعدد الكثير ، وعامة الناس ، ترتيب القاموس
المحيط : ح ٢ ص ٦٤٢ .
 - (٢) المصر : هو الحد ، يقال : اشترى فلان الدار بمصورها اي : حدودها
معجم مقاييس اللغة : ح ٥ ص ٣٣٠ مادة (مصر) .
 - (٣) السنن الكبرى للبيهقي : ح ٣ ص ١٣٦ ط / دار صادر .

- ومن طريق عطاء بن ابي رباح قال : قلت لابن عباس : أقصر السى
عرفة ؟ قال : لا ولكن الى الطائف وسفان (١) ، فذلك ثمانية واربعون
ميلا (٢) .
- (٦) وعن نافع أن ابن عمر كان يقصر الصلاة في مسيرة أربعة برد . (٣)
- (٧) وعن حكيم : اذا خرجت في غير أهلك فأقصر ، فان اتيت أهلك
فأتم .
- (٨) ومن طريق ابي بكر بن ابي شيبة عن عبد الرحمن بن حرطه قال : سألت
سعيد بن المسيب : أقصر الصلاة وافطر في بريد من
الدينة ؟ قال : نعم . (٤)

- (١) سفان : بضم اوله ، وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون ، تقع بين الجحفة
ومكة وقيل بين المسجدين ، وهي من مكة على مرحلتين ، وقيل : سفان
قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهي حد تهامة .
انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموى : ح ٤ ص ١٢١ ،
ط / دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ ، ١٩٥٢ م .
- (٢) الميل : " مقياس للطول قدر قديما بأربعة آلاف ذراع ، وهو الميل
الهاشمي ، وهو برى وبحرى ، فالبرى يقدر الآن بما يساوى ١٦٠٩ من
الامتار ، والبحرى بما يساوى ١٨٥٢ من الامتار .
المعجم الوسيط : ح ٢ ص ٨٩٤ .
- (٣) البريد : اثنا عشر ميلا ترتيب القاموس المحيط : ح ١ ص ٢٤٤ .
- (٤) انظر المحلى ، لابن حزم : ح ٥ ص ٢ الى ٩ .

واصح حديث ورد في بيان مسافة القصر مارواه الامام مسلم عن شعبة عن يحيى بن يزيد الهنائي قال : " سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال او ثلاثة فراسخ - شعبة الشاك - صلى ركعتين " (١)

قال الحافظ ابن حجر :

" وهو اصح حديث ورد في بيان ذلك واصرحه " (٢)

والتردد بين الاميال والفراسخ يدفعه حديث ابي سعيد الخدري قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فرسخا يقصر الصلاة (٣) .

فيكون حديث ابي سعيد الخدري رافعا للشك الذي وقع في حديث

انس رضي الله عنه وموضحا ان أقل مسافة قصر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم

كانت ثلاثة اميال وذلك لان الفرسخ ثلاثة اميال واقل ماورد في مسافة القصر

ميل واحد وهذا مروى عن ابن عمر رضي الله عنهما (٤)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٥ ص ٢٠٠ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخارى : ج ٢ ص ٥٦٧ ، كتاب تقصير

الصلاة ، باب في كم يقصر الصلاة ؟

(٣) رواه سعيد بن منصور وذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير وأقره

بسكوته عنه ، راجع تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير :

ج ٢ ص ٤٧ .

(٤) انظر المحلى ، لابن حزم : ج ٥ ص ٢٠ ، وفتح الباري بشرح

صحيح البخارى : ج ٢ ص ٥٦٧ ، كتاب تقصير الصلاة ، باب في كم

يقصر الصلاة ؟

وهو أخذ ابن حزم ، وقال محتجا على ترك القصر فيما دون الميل :
" . . . وقد وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى البقيع لدفن الموتى ،
والناس معه فلم يقصروا ولا افطروا ، ولا أفطر ولا قصر ، فخرج هذا عن ان يسمى
سفرا ، وعن ان يكون له حكم السفر ، فلم يجز لنا أن نوقع اسم سفر وحكم سفر
الا على من ساء من هو حجة في اللغة سفرا فلم نجد ذلك في أقل من ميل ،
فقد روينا عن ابن عمر انه قال : لو خرجت ميلا لقصرت الصلاة ، فأوقعنا اسم
السفر وحكم السفر في الفطر والقصر على الميل فصاعدا . . . " (١)

رابعا - السفر الذي يجوز فيه القصر :

اختلف السلف رضي الله عنهم في نوع السفر الذي تقصر فيه الصلاة ،
والجمهور على انه يجوز القصر في كل سفر مباح كالتجارة ونحوها .
واجمع الناس على الجهاد والحج والعمرة وما شابهها من صلة رحم
وطلاج مريض .

وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : لا تقصر الصلاة الا في
حج أو جهاد . .

وقال عطاء : لا تقصر الا في سفر طاعة وسبيل من سبل الخير .

كما ورد عنه ايضا : تقصر في كل السفر المباح ، وهو قول الجمهور (٢) ،

والله عز وجل يقول في كتابه الكريم :

* وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ . . * (٣)

(١) المحلي ، لابن حزم : ج ٥ ص ٢٠ .

(٢) راجع تفسير القرطبي : ج ٥ ص ٣٥٥ .

(٣) سورة النساء : الآية " ١٠١ "

والمعنى : اذا سافرتم ايها المؤمنون وسرتم في الارض للجهاد او التجارة او السياحة او غير ذلك من انواع السفر المباح ، فليس عليكم حرج ولا اثم ان تقصروا من الصلاة المفروضة فتصلوا الرباعية ركعتين ، لان الاسلام دين اليسر والله تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ،

أما سفر المعصية :

فالجمهور من العلماء على انه لا قصر في سفر المعصية ، لان ذلك يكون عوناً له على معصية الله والله تعالى يقول :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١)

خامساً - متى يبدأ المسافر في قصر الصلاة ؟

مذهب جمهور العلماء ان قصر الصلاة يشرع بمفارقة الحضر والخروج من البلد ، وأن ذلك شرط ولا يتم حتى يدخل اول بيوتها . (٢)
وذلك لان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة لم يكن الا بعد خروجه من المدينة .

والحديث الذي يدل على هذا رواه الامام مسلم في صحيحه بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة اربعاً وصلى العصر بذي الحليفة (٣) ركعتين . (٤)

(١) سورة المائدة : الآية ٢٠ " راجع تفسير القرطبي : ج ٥ ص ٣٥٦ .

(٢) نيل الاوطار : ج ٣ ص ٢٥٤ .

(٣) ذى الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة اميال او سبعة ، ومنها ميقات

اهل المدينة ، معجم البلدان : ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي : ج ٥ ص ١٩٩ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

وقال ابن المنذر :

ولا اطم أن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في سفر من اسفاره الا بعد
خروجه من المدينة * (١)

ويرى بعض السلف ان من نوى السفر يقصر ولو في بيته .

وورد عن الحارث بن ابي ربيعة انه أراد سفرا فعلى باصحابه ركعتين
في منزله ، وفيهم الاسود بن يزيد وقد شاع هذا الحكم عن غير واحد من اصحاب
ابن مسعود وبه قال عطاء بن أبي رباح .

ومجاهد - رحمه الله - يقول : لا يقصر المسافر يومه الاول حتى

الليل . (٢)

حاجبا - مقدار الزمان الذي يجوز للمسافر فيه اذا اقام في موضع ان يقصر الصلاة :

اختلف السلف رضي الله عنهم في مقدار الزمان الذي يجوز للمسافر فيه
اذا اقام في موضع ان يقصر الصلاة .

روى الامام البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

* اقام النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره تسع عشرة يصلي ركعتين فنحن
اذا اقمنا تسع عشرة نعلي ركعتين وان زدنا على ذلك اتمنا * (٣)

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : ج ٢ ص ٥٦٩ ، كتاب تقصير

الصلاة ، باب يقصر اذا خرج من موضعه .

(٢) راجع تفسير القرطبي : ج ٥ ص ٣٥٦ .

(٣) صحيح البخارى : ج ٢ ص ٥٣ ، كتاب الجمعة ، باب ماجاء في

التقصير وكم يقيم حتى يقصر .

وعن يحيى بن ابي اسحاق قال : سمعت انسا يقول : خرجنا منع
النبي صلى الله عليه وسلم فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة
قلت : اقمتم بمكة شيئا ؟ قال : اقمنا بها عشرا * (١)

وفي حديث جابر بن عبد الله . . اقام النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك
عشرين يوما يقصر الصلاة * (٢)

أما أقوال الصحابة والتابعين وافعالهم في مدة القصر فهي كما يلي :

(١) مذهب عمر وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ان المسافر اذا نوى اقامة
خمسة عشر يوما اتم وان نوى دونه قصر .

(٢) وقال طي بن ابي طالب : ان اقام عشرا اتم .

(٣) وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : يقصر المسافر ما لم يضع الميزان
والميزان .

(٤) وعن الحسن البصرى : أن المسافر يقصر ابدا الا ان يقدم مصرا من
الامصار .

وعنه قال : اقمتم مع عبد الرحمن بن سمره بكابل^(٣) سنتين يقصر الصلاة
ولا يجمع .

(٥) وقال سعيد بن المسيب : اذا اقمتم اربعا فصل اربعا .

(١) صحيح البخارى : ح ٢ ص ٥٣ ، كتاب الجمعة ، باب ما جاء في التقصير ،
وكم يقم حتى يقصر .

(٢) مسند الامام احمد : ح ٣ ص ٢٩٥ ، ورواه ابن حبان والبيهقي من حديث
معمر ، وصححه ابن حزم والنووى ، واطه الدارقطني ، في العلل بالارسال
والانقطاع ، تلخيص الحبير : ح ٢ ص ٤٥ .

(٣) كابل : بضم الباء الموحدة ولام بين الهند ونواحي سجستان .

معجم البلدان : ح ٤ ص ٤٢٦

(٦) وقال نافع : اقام ابن عمر بأذربيجان (١) ستة اشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول .

وهن ثامة بن شراحيل قال : خرجت الى ابن عمر فقلت : ما صلاة المسافر ؟ فقال : ركعتين ركعتين الا صلاة المغرب ثلاثا ، قلت : رأيت ان كنا بذى المجاز (٢) ؟ قال : وما ذوالمجاز ؟ قلت : مكان نجتمع فيه ونبيع ونكث عشرين ليلة او خمس عشرة ليلة ، فقال : يا أيها الرجل كنت بأذربيجان لا ادري قال اربعة أشهر أو شهرين فرأيتهم يصلون ركعتين ركعتين * (٣)

(٧) وقال حفص بن عبد الله : اقام انس بن مالك بالشام سنتين يصلي صلاة المسافر .

(١) أذربيجان : بالفتح ، ثم السكون ، وفتح الراء ، وكسر الهمزة الموحدة ، وهاه ساكنة وجيم ، كانت تسمى عند الأقدمين اطروها طينة : اي ارض النار ، وهي الآن اقليم شمالي من سلطنة ايران ، راجع كتاب منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان : ج ٩ ص ١٨٤ ، ط / الاولى .

(٢) ذى المجاز : موضع سوق بعرفة ، كانت تقوم في الجاهلية ثمانية ايام ، راجع معجم البلدان : ج ٥ ص ٥٥ ، ط بيروت ١٩٥٧ م

(٣) الاثر رواه البيهقي بسند صحيح ، راجع تلخيص الحبير : ج ٢ ص ٤٧ ، ونيل الاوطار : ج ٣ ص ٢٥٦ .

وقال أنس : أقام اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برام هرمز (١)

سبعة اشهر يقصرون الصلاة .

وأقل ما قيل في قصر المسافر للصلاة يوم وليدة ، وهو قول ربيعة بسنن

أبي عبد الرحمن . (٢)

ما تقدم يتضح ان المسافر يقصر الصلاة مادام مسافرا ، فان أقام لحاجة ينتظر قضاها قصر الصلاة كذلك لانه يعتبر مسافرا وان اقام سنين وان نوى الإقامة مدة معينة سواء طال أم قصرت يقصر الصلاة مالم يستوطن المكان الذي اقام فيه ؛ لأن هذا هو فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم ، ففي فتح مكة أقام النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ قواعد الاسلام وهذا يحتاج لإقامة ايام كثيرة ، وكذلك اقامته صلى الله عليه وسلم بتبوك ، فانه أقام ينتظر الاعداء ، وكذلك اقامة ابن عمر باندريجان ستة اشهر يقصر الصلاة من اجل الثلج وهذا الأمر يحتاج الى مدة ليست بالقصيرة حتى يذوب ويتحلل الثلج ، وايضا اقامة انس بالشام سنتين يقصر الصلاة ، واقامة الصحابة برام هرمز سبعة اشهر يقصرون الصلاة .

(١) رام هرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان والعمامة يسمونها رامز ،

معجم البلدان : ج ٣ ص ١٧ .

(٢) راجع بداية المجتهد ونهاية المقتصد : ج ١ ص ١٦٩ ، ١٧٠ ،

وزاد المعاد في هدى خير العباد : ج ٣ ص ١٤ - ١٥ .

فاقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ويتبوك لم يبين فيها لصحابته
انه يعزم على اقامة مدة معينة ، وهو عليه الصلاة والسلام يحلم انهم يقتدون به في
صلاته ، ويتأسون به في قصرها في مدة اقامته ، وقد حكى ابن المنذر اجماع اهل
العلم على " ان للمسافر ان يقصر ما لم يجمع اقامة وان اتى عليه سنون " (١)

وبعد ،

ما سبق بيد وأن علي بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله
ابن عباس ، وقتادة ، والحسن - وهم من علماء التفسير في القرن الاول
الهجرى - يرون ان قصر الصلاة في السفر واجب وكانت لهم ادلتهم التي
استندوا اليها في قولهم هذا .

وان اختلف العلماء فيما بعد في القصر هل هو افضل ام الاتمام والصحيح
ان القصر افضل لئلازمة صلى الله عليه وسلم للقصر في اسفاره .

أما المسافة التي يجوز فيها القصر ، فقد اختلفت اقوال وافعال الصحابة
والتابعين رضي الله عنهم فيها ، فنجد ان ابن عمر رضي الله عنهما كان ادنى
ما يقصر الصلاة اليه مال له بخير وهي مسيرة ثلاث قواصد ، وله في مسافة
القصر رواية اخرى ، ويرى سعيد بن جبير ان القصر يكون في مسيرة ثلاث
- لعلها ليال - والحسن البصرى يقول : لا تقصر الصلاة في اقل من مسيرة
ليلتين ، في حين ان عكرمة يقول : اذا خرجت فبت في غير اهلك فأقصر ، فان
اتيت اهلك فأتم .

(١) راجع : زاد المعاد في هدى خير العباد : ج ٣ ص ١٤-١٥ .

وقد رجحت الحديث الصحيح الذي رواه انس بن مالك رضي الله عنه في بيان مسافة القصر .

أما ما يتعلق بنوع السفر الذي يجوز فيه القصر ، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : لا تقصر الصلاة الا في حج او جهاد ، وقال عطاء : لا تقصر الصلاة الا في سفر طاعة وسبيل من سبل الخير ، وفي رواية عنه قال : يقصر في كل السفر المباح ، وهذا هو قول الجمهور وهو الصحيح .

وفي الوقت الذي يبدأ فيه المسافر في قصر الصلاة ، فالصحيح ان المسافر لا يشرع في القصر الا بعد مفارقة الحضر والخروج من البلد ، وفي ذلك حديث رواه انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما في مقدار الزمان الذي يجوز للمسافر فيه اذا اقام في موضع ان يقصر الصلاة فقد اختلف الصحابة والتابعون كثيرا في مقدار هذه المدة فيرى ابن عباس وابن عمر ان المسافر يقصر اذا اقام بالبلدة خمسة عشر يوما ، ويقول سعيد بن المسيب : اذا اقامت اربعا فصل اربعا . اما انس بن مالك فقد اقام بالشام سنتين يصلي صلاة المسافر ، وما ارتضيه ان المسافر يقصر مادام مسافرا ما لم يجمع على الإقامة .

المبحث الثاني
مَوَاضِعُ سُجُودِ التَّلَاوَةِ

مواضع سجود التلاوة

من قرأ القرآن فمر بأية سجدة أو سمعها ، يستحب له عند جمهور العلماء ان يكبر ويسجد سجدة ثم يكبر للرفع من السجود ، وهذا يسمى سجود التلاوة ، وقد مدح عز وجل الملائكة في قوله تعالى :

* إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ * (١)

مدحهم بالدوام على العبادة التي امروا بها والقيام عليها والعمل بها ، وبالتسبيح والسجود .

وفي الصحيحين واللفظ للبخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع جبهته . (٢)

معنى السجود :

سجد في اللغة : بمعنى خضع . وأسجد : طأطأ رأسه وانحنى (٣)

حكم سجود التلاوة :

يرى جمهور العلماء على انه يسن سجود التلاوة لقارئ القرآن ، وللمستمع ، وذلك لما رواه الامام البخارى بسنده عن عمر رضي الله عنه انه قرأ على المنبر يوم الجمعة سورة النحل حتى اذا جاء السجدة فنزل ، وسجد الناس ،

(١) سورة الاعراف : الآية " ٢٠٦ " .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من لم يجد موضعا للسجود

من الزحام : ح ٢ ص ٥٣ .

(٣) ترتيب القاموس المحيط : ح ٢ ص ٥٢١ .

حتى اذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى اذا جاء السجدة قال : يا أيها الناس انالم نوءمر بالسجود فمن سجد فقد اصاب ومن لم يسجد فلا اثم عليه " (١)

وفي رواية : ان الله لم يفرض علينا السجود الا ان نشاء " . (٢)

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : " قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم (وَالنَّجْمِ) فلم يسجد فيها " . (٣)

وقد رجح ابن حجر في الفتح ان ترك السجود فيها كان لبيان الجواز ، وبه جزم الشافعي ، ويؤيده مارواه البزار والدارقطني عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال :

" ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في سورة (وَالنَّجْمِ) وسجدنا معه " . (٤)

وفي الصحيحين واللفظ للبخارى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (وَالنَّجْمِ) فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصي او تراب فرفعه الى جبهته ، وقال يكفيني هذا . قال عبد الله : فلقد رأيتُه بعد قتل كافرا " (٥) .

(١) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من رأى ان الله عز وجل لم

يوجب السجود : ج ٢ ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة ولم يسجد :

ج ٣ ص ٥١ .

(٤) انظر سنن الدارقطني : ج ١ ص ٤٠٩ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ،

كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة ولم يسجد : ج ٢ ص ٥٥٥ .

والحديث رجاله ثقات كما نص على ذلك ابن حجر .

(٥) صحيح البخارى : كتاب سجود القرآن ، باب سجدة والنجم : ج ٢ ص ٥٠ .

مواضع السجود :

- مواضع السجود في القرآن خمسة عشر موضعا وهي :
- (١) سورة الاعراف ، الآية " ٢٠٦ " في قوله تعالى :
- * إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْبِغُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ *
- (٢) سورة الرعد ، الآية " ١٥ " في قوله تعالى :
- * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْفُجْدِ وَالْأَصَالِ * (١)
- (٣) سورة النحل ، الآية " ٤٩ " في قوله تعالى :
- * وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ (٢) وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * .

- (١) يقول الامام الطبري في تفسير هذه الآية : ولله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ، ومن في الارض من المؤمنين به طوعا ، فأما الكافرون به فانهم يسجدون له كرها حين يكرهون على السجود .
- عن قتادة قال : فأما المؤمن فيسجد طائعا ، واما الكافر فيسجد كارها .
- وقوله : * وَظِلَالُهُمْ بِالْفُجْدِ وَالْأَصَالِ * ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يعني ، حين يغيء ظل احداهم عن يمينه او شماله .
- وعن مجاهد : قال ، " ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع . وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره ، يعني ان الظل يسجد طوعا ، وصاحب الظل كاره للسجود وهو كافر .
- تفسير الطبري : ح ١٦ ص ٤٠٣
- (٢) اى : من كل ما يدب على الارض ، تفسير القرطبي : ح ١٠ ص ١١٢ .

(٤) سورة الاسراء ، الآية " ١٠٧ " في قوله تعالى :

* قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا *

(٥) سورة مريم ، الآية " ٥٨ " في قوله تعالى :

* أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا *

(٦) سورة الحج ، الآية " ١٨ " في قوله تعالى :

أ - * أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ، وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ * .

لم يختلف السلف في هذه السجدة من سورة الحج على انها موضع سجود وان حصل اختلاف في الموضع الثاني من سورة الحج في قوله تعالى : الآية " ٧٧ " .

ب - * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ *

فروى عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وابي الدرداء

وعمار بن ياسر وابي موسى الاشعري انهم قالوا في الحج سجدتان ، وقالوا ان

هذه السورة فضلت على غيرها من السور بسجدتين . (١)

(١) احكام القرآن ، للجصاص : ح ٥ ص ٥٦ .

قال مالك : وحدثني عبد الله بن دينار ، قال : رأيت ابن عمر رضي الله عنه يسجد في سورة الحج سجدتين . " (١) وكان ابن عمر رضي الله عنه أكثر الخلق اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم . (٢)

وفي سنن ابن ماجه واهي داود عن عبد الله بن منيب عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ خمس عشرة سجدة في القرآن ، منها ثلاث في المفصل وفي الحج سجدتين . (٣)

وذكر ابي داود من حديث عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله ، فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين ؟ قال : نعم ومن لم يسجد هما فلا يقرأهما " (٤)

وبخلاف هذا ورد عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : في الحج سجدة واحدة وعنه من رواية سعيد بن جبيرانه قال : الاولى - يعني الموضع الاول من سورة الحج الآية " ١٨ " - عزيمه والاخرة - يعني الموضع الثاني من سورة الحج الآية " ٧٧ " - تعليم . (٥)

-
- (١) الموطأ . كتاب القرآن ، باب ماجاء في سجود القرآن : ح ١ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .
- (٢) احكام القرآن لابن العربي : ح ٢ ص ١٣٠٤ .
- (٣) سنن ابن ماجه ، كتاب اقامة الصلاة ، باب عدد سجود القرآن :
- ح ١ ص ٣٣٥ ، وعون المعبود : باب تفريع ابواب السجود وكم سجدة من القرآن : ح ٤ ص ٢٧٨ .
- (٤) عون المعبود ، باب تفريع ابواب السجود وكم سجدة في القرآن :
- ح ٤ ص ٢٧٤ . وقال المنذرى : اخرجه الترمذى وقال : هذا حديث اسناده ليس بالقوى .
- (٥) احكام القرآن : للجصاص : ح ٥ ص ٥٦ .

والمعنى ان الآية الاولى هي موضع السجود الذى يسن فعله عند التلاوة
واما الموضع الثانى وان كان فيه ذكر السجود فانما هو تعليم للصلاة التى فيها
الركوع والسجود .

وعن مجاهد - رضى الله عنه - قال : السجدة التى فى آخر الحج انما
هى موعظة وليست بسجدة . (١)

(٧) سورة الفرقان : الآية " ٦٠ " فى قوله تعالى :
* وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا
وَزَادَهُمْ نُفُورًا *

قال ابن كثير : اتفق العلماء على ان هذه السجدة التى فى الفرقان
يشرع السجود عندها لقارئها ومستمعها . (٢)

(٨) سورة النمل ، الآية " ٢٥ " فى قوله تعالى :
* أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ (٣) فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ
مَاتُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ *

(٩) سورة السجدة ، الآية " ١٥ " فى قوله تعالى :
* إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ *

(١) احكام القرآن ، للجصاص : ح ٥ ص ٥٦ .

(٢) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٣٢٣ .

(٣) الْخَبْءَ : يقال ذلك لكل مدخر مستور ، المفردات فى غريب

القرآن : ص ١٤٢ .

(١٠) سورة ص ، الآية "٢٤" في قوله تعالى :

* وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ *

يرى ابن عباس رضي الله عنهما ان موضع السجود هذا ليس من العزائم

بل هو سجود للشكر .

وفي ذلك يروى الامام البخارى بسنده عن عكرمة عن ابن عباس انه قال :

" السجدة في (ص) ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها " . (١)

وفي سنن النسائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في (ص) وقال : " سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا " (٢)

وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدرى قال : قرأ رسول الله صلى الله

عليه وسلم وهو على المنبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه ، فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن (٣) الناس للسجود ، فقال صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رأيتم تشزنتم فنزل وسجد " . (٤)

(١) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب سجدة " ص " ج ٢ ص ٥٠ .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الافتتاح ، باب سجود القرآن : السجود في

" ص " ، ح ٢ ص ١٥٩ .

قال ابن كثير : تفرد بروايته النسائي ورجال اسناده كلهم ثقات ، تفسير

ابن كثير : ح ٤ ص ٣٢ .

(٣) تشزن : تهبأ ، المعجم الوسيط : ح ١ ص ٤٨١ .

(٤) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، باب السجود : في " ص " ح ٤ ص ٢٨٥

والحديث سكت عنه المنذرى .

وقال ابن كثير : تفرد به ابو داود واسناده على شرط الصحيح .

تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ٣٢ .

وروى مسروق - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان لا يسجد فيها ويقول هي توبة نبي . (١)
والذي اراه ان علينا السجود فيها اقتداءً بمن هداهم الله وذكرهم في قوله تعالى :

* أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ * (٢)

وفي ذلك يروى الامام البخارى بسنده عن العوام قال : سألت مجاهدا عن السجدة في " ص " قال : سئل ابن عباس فقال : * اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده *
وكان ابن عباس يسجد فيها . (٣)

وايضا لسجوده صلى الله عليه وسلم فيها .

(١) سورة فصلت ، الآية " ٣٧ " في قوله تعالى :

* وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ * (٣٨) .

هذه الآية موضع سجود بلا خلاف بين العلماء الا انه اختلف في موضعه .
فقد كان علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود يسجدان عند قوله تعالى :

* إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ *
وكان ابن عباس يسجد عند قوله : (يَسْتَمُونَ)

وقال ابن عمر : اسجدوا بالاخرة منهما .

(١) احكام القرآن ، للجصاص : ج ١ ص ٢٥٥ .

(٢) سورة الانعام : الآية " ٩٠ " .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة " ص " : ج ٦ ص ١٥٥ .

وكذلك يروى عن مسروق ، وابي عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، وابـن سيرين . وكان قتادة يسجد عند قوله تعالى : (يَسْتَمُونَ) (١)

(١٢) سورة النجم ، الآية " ٦٢ " في قوله تعالى :

﴿ فَاسْجُدْ وَابْعُدْ لِلَّهِ وَأَعْبُدْ ﴾ *

يقول عز وجل : آمرا عباده بالسجود له والعبادة ﴿ فَاسْجُدْ وَابْعُدْ لِلَّهِ وَأَعْبُدْ ﴾ .

وفي صحيح البخارى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : " ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون ، والجن والانس " (٢)

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود انه كان اذا قرأها على الناس سجد ،

فاذا قرأها وهو في الصلاة ركع وسجد .

وكان ابن عمر اذا قرأ (وَالنَّجْمِ) وهو يريد ان تكون بعدها قراءة ، قرأها

وسجد ، واذا انتهى اليها ركع وسجد .

وروى مالك ان عمر بن الخطاب قرأ بالنجم اذا هوى ، فسجد فيها ، ثم

قام فقرأ سورة أخرى . (٣)

ومع هذا فقد ورد في صحيح البخارى ايضا عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت

قال : " قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم ، فلم يسجد فيها " (٤)

(١) احكام القرآن ، لابن العربي : ح ٤ ص ١٦٦٤ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب سجود المسلمين مع المشركين :

ح ٢ ص ٥١ .

(٣) احكام القرآن لابن العربي : ح ٤ ص ١٧٣٥ ، والموطأ ، كتاب القرآن ،

باب ماجاء في سجود القرآن : ح ١ ص ٢٠٦ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة ولم يسجد :

ح ٢ ص ٥١ .

فحدثنا ابن عباس وابن مسعود يفيدان ان الرسول صلى الله عليه وسلم سجد في سورة النجم ، وحديث زيد بن ثابت يفيد ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسجد فيها .

وللتوفيق بين هذه الاحاديث الصحيحة يقول ابن حجر في الفتح :
" ... احتمال ان يكون السبب في الترك ان ذلك اما لكونه كان بلا وضوء ، او لكون الوقت كان وقت كراهة ، او لكون القارىء لم يسجد ، او ترك حينئذ لبيان الجواز ، وهذا ارجح الاحتمالات ، وبه جزم الشافعي " (١)

(١٣) سورة الانشقاق ، الآية " ٢١ " في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ *

روى الامام البخارى بسنده عن ابي سلمة قال : " رأيت ابا هريرة رضي الله عنه قرأ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (٢) فسجد بها ، فقلت : يا ابا هريرة ، ألم أرك تسجد ؟ قال : لو لم ار النبي صلى الله عليه وسلم سجد لم اسجد " (٣) وفي رواية عن ابي رافع قال : " صليت مع ابي هريرة العتمة (٤) ، فقرأ ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ فسجد ، فقلت : ما هذه ؟ قال : سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه " (٥)

-
- (١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجده ولم يسجد : ح ٢ ص ٥١ .
(٢) سورة الانشقاق : الآية " ١ " .
(٣) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب سجدة ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ * ح ٢ ص ٥١ .
(٤) العتمة : صلاة العشاء ، النهاية في غريب الحديث والاثر : ح ٣ ص ١٨٠ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب سجود التلاوة : ح ٥ ص ٧٨ .

وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن الاسود بن يزيد عن عمر انه سجد

في : * إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * (١)

ومن طريق نافع عن ابن عمر انه سجد فيها . (٢)

فان قيل : قد جاء في سنن ابي داود . " ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم لم يسجد في شيء من المفصل مذ تحول الى المدينة " (٣)

فالجواب عن ذلك :

ان هذا الخبر لم يصح اسناده (٤) وعلى فرض صحته فيحتمل ان يكون

المنفى المواظبة على ذلك لان المفصل (٥) تكثر قراءته في الصلاة فترك السجود

فيه كثيرا لئلا تختلط الصلاة على من لم يفقه (٦)

(١٤) سورة العلق ، الآية " ١٩ " في قوله تعالى :

* كَلَّا لَا تَطَّعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ *

ظاهر الآية يبدو وفيه ان المراد سجود الصلاة لقوله تعالى :

* أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى * (٧) الى قوله تعالى :

(١) سورة الانشقاق : الآية " ١ " .

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ

السجدة ولم يسجد : ج ٢ ص ٥٥٥ .

(٣) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، باب من لم يبر السجود في المفصل :

ج ٤ ص ٢٧٩ . قال النووي : هذا حديث ضعيف الاسناد .

(٤) احكام القرآن ، لابن العربي : ج ٢ ص ٨٣٣ .

(٥) المفصل : المراد به قصار السور التي تبدأ من سورة " ق " وتنتهي بسورة

" قل اعوذ برب الناس " سمي بذلك لكثرة الفصول بين السور بسم الله

الرحمن الرحيم ، وقيل : لقلة المنسوخ فيه . البرهان في علوم القرآن :

ج ١ ص ٢٤٥ .

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة

ولم يسجد : ج ٢ ص ٥٥٥ .

(٧) سورة العلق : الآيتان " ٩ ، ١٠ " .

* كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ * سورة العلق : الآية " ١٩ " .

لكن روى الامام الترمذى بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :

" سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في * إِقْرَأْ بِإِسْمِ رَبِّكَ * ،
و * إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * (١)

اعضاء السجود :

عن طاووس رحمه الله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : " أمرت ان اسجد على سبعة اعظم ولا اكف (٢) ثوبا
ولا شعرا " (٣) .

وفي قوله تعالى :

* إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
سُجَّدًا * (٤)

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) قال : للوجوه
وعن معمر عن قتادة رحمه الله ، قال : للوجوه .

وقال معمر والحسن ، اللحي .

وسئل ابن سيرين عن السجود على الانف فقال : * يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ
سُجَّدًا * (٥)

(١) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، ابواب السفر ، باب في السجدة في :

* إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * و * إِقْرَأْ بِإِسْمِ رَبِّكَ * : ح ٣ ص ١٦٥ ،

قال ابو عيسى : حديث ابي هريرة حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا
عند اكثر اهل العلم يرون السجود في * إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ * ،
و * إِقْرَأْ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * .

(٢) اكف : يحتتمل ان يكون بمعنى المنع : اى لا تمنعها من الاسترسال حال السجود

ليقعها على الارض ، ويحتتمل ان يكون بمعنى الجمع ، اى : لا يجمعها ويضمها
النهاية في غريب الحديث والاثر : ح ٤ ص ١٩٠ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الصلاة ، باب اعضاء السجود والنهي عن كف

الشعر والثوب . ح ٤ ص ٢٠٦ .

(٤) سورة الاسراء الآية " ١٠٧ "

(٥) احكام القرآن للجصاص : ح ٥ ص ٣٥

اقول :

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ان اعضاء السجود سبعة اعظم وهي كما في حديث آخر : الجبهة والانف ، والكفان ، والركبتان ، والقدمان . (١)

ما يقال في السجود :

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجود القرآن : سجد وجهي للذي خلقه ، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته فتبارك الله احسن الخالقين * (٢)

ويمكن ان يقول الساجد :

﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا اِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ * (٣)

لان الله عز وجل مدح اوليائه بذلك فقال : ﴿ يَخْرُجُونَ لِلْآذِقَانِ سَجْدًا يَنْقُلُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا اِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ * (٤)

ويمكن ايضا ان يقول : ماشاء ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه ينبغي ان يقول في سجوده : " سبحان ربي الاعلى " اذا سجد سجود التلاوة في الصلاة المكتوبة ، وذلك لما رواه عقبة بن عامر قال : " لما نزلت : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ * (٥) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجعلوها في ركوعكم ، فلما نزلت ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْاَعْلَى ﴾ * (٦)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الصلاة ، باب اعضاء السجود والنهي

عن كف الشعر والثوب : ح ٤ ص ٢٠٦ .

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب الدعوات ، باب مايقول في

سجود القرآن : ح ٩ ص ٣٨٣ وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح

(٣) سورة الاسراء : الآية " ١٠٨ " .

(٤) سورة الاسراء : الآيتان " ١٠٧ ، ١٠٨ " .

(٥) سورة الحاقة : الآية " ٥٢ " .

(٦) سورة الاعلى : الآية " ١ " .

قال : اجعلوها في سجودكم * (١)

هل تشترط الطهارة ؟ :

اشترط جمهور الفقهاء لسجود التلاوة ، الطهارة ، واستقبال القبلة
وستر العورة .

وقال الامام الشوكاني : " ليس في احاديث سجود التلاوة ما يدل
على اعتبار ان يكون الساجد متوضئا وقد كان يسجد معه صلى الله عليه وسلم
من حضر تلاوته ولم ينقل انه امر احدا منهم بالوضوء ، ويبعد ان يكونوا جميعا
متوضئين ، وايضا قد كان يسجد معه المشركون وهم انجاس لا يصح وضوءهم .

وقد روى البخارى (٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يسجد
على غير وضوء .

وكذلك روى عنه ابن ابي شيبة ، وأما مارواه البيهقي عنه باسناد قال
في الفتح : انه صحيح ، انه قال : لا يسجد الرجل الا وهو طاهر ، فيجمع
بينهما بما قال الحافظ من حمله على الطهارة الكبرى ، او على حالة الاختيار ،
والاول على الضرورة .

وهكذا ليس في الاحاديث ما يدل على اعتبار طهارة الثياب والمكان
واما ستر العورة والاستقبال مع الامكان فليل انه معتبر اتفاقا .

قال في الفتح : لم يوافق ابن عمر احد على جواز السجود بلا وضوء
الا الشعبي . اخرجه ابن ابي شيبة عنه بسند صحيح .

(١) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، باب ما يقول الرجل في ركوعه

وسجوده : ح ٣ ص ١٢٠ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب سجود المسلمين مع

المشركين : ح ٢ ص ٥١ .

واخرج ايضا عن ابي عبد الرحمن السلمي انه كان يقرأ السجدة ثم يسجد

وهو على غير وضوء الى غير القبلة وهو يمشي يومي " ايماء " (١)

اقول :

وعلى هذا يجوز سجود التلاوة على غير طهارة كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يسجد على غير وضوء ، لكن السجود بشروط الصلاة ، من طهارة واستقبال القبلة وستر العورة افضل ، ولا ينبغي ان يترك ذلك الا لعذر .

هل فيه تحليل بالسلام :

الصحيح ان فيه تحليلاً " بالسلام " لانه عبادة لها تكبير ، فكان

فيه تسليم كصلاة الجنائز بل اولى ، لان هذا فعل وصلاة الجنائز قول . (٢)

سجود المستمع اذا سجد التالي :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقرأ علينا السجدة فيسجد ونسجد معه ، حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع

جبهته . (٣)

(١) نيل الاوطار : ج ٣ ص ١٢٧ ، وفتح الباري بشرح صحيح البخارى

كتاب سجود القرآن : باب سجود المسلمين مع المشركين :

ج ٢ ص ٥٥٣ .

(٢) احكام القرآن لابن العربي : ج ٢ ص ٨٣١ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من لم يجد موضعا للسجود

من الزحام : ج ٢ ص ٥٣ .

حديث ابن عمر هذا يدل على جواز السجود لمن سمع الآية التي

فيها السجدة اذا سجد القارىء لها .

وقوله عز وجل في سورة مريم :

﴿ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَّكَبِيرًا ﴾ (١)

يوضح ان سامع السجدة وتاليها سواء في حكمها وانهم جميعاً

يسجدون لانه مدح السامعين لها اذا سجدوا .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ السورة التي فيها السجدة ،

سجد ويسجد من كان معه .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب

يقولون : السجدة على من سمع .

وعن سليمان بن حنظلة الشيباني قال : قرأت عند ابن مسعود سجدة

فقال : انما السجدة على من جلس لها . (٢)

وعن الزهري عن ابن المسيب ان عثمان - يعني ابن عفان - رضي الله

عنه مر بقاص فقراً سجد له ليسجد معه عثمان . فقال عثمان : انما السجود

على من استمع ، ثم مضى ولم يسجد . قال الزهري : وقد كان ابن المسيب

يجلس في ناحية المسجد ، ويقرأ القاص السجدة فلا يسجد معه .

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : انما السجدة على من

جلس لها ، فان مررت فسجدوا فليس عليك سجود . (٣)

(١) سورة مريم : الآية " ٥٨ " .

(٢) احكام القرآن للجصاص : ج ٥ ص ٤٧ .

(٣) مصنف عبد الرزاق : ج ٣ ص ٣٤٥ .

ماذا يفعل السامع ان لم يسجد القارى :

عن زيد بن اسلم - رحمه الله - قال : ان غلاماً قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم السجدة فانتظر الغلام النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم يسجد قال : يا رسول الله ليس في هذه السجدة سجود ، قال صلى الله عليه وسلم هلى ولكنك كنت امامنا فيها ولو سجدت لسجدنا * (١) وطلّى هذا فان سجود التلاوة لا يكون الا اذا سجد القارى .

هل تقضي السجده ؟ :

عن المغيرة بن حكيم قال : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما فقراً قاص بسجده بعد الصبح فصاح عليه ابن عمر ، فسجد القاص ، ولم يسجد ابن عمر فلما طلعت الشمس قضاها ابن عمر ، يقول : سجدها . وقال سفيان الثوري : تقضي السجدة اذا سمعتها ولم تسجدها (٢) وطلّى هذا فان السجود يكون بعد قراءة آية السجدة او الاستماع اليها فان تأخر القارى او السامع عن السجود لم يسقط عنهما ما لم يكن الفاصل طويلاً ، فان طال فات السجود ولا يقضى .

(١) فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى ، كتاب سجود

القرآن ، باب من سجد لسجود القارى : ح ٢ ص ٥٥٦ ،

وقال ابن حجر في الفتح تعقيباً على الحديث : رجاله ثقات الا انه

مرسل ، وانظر نيل الاوطار : ح ٣ ص ١٢٣ .

(٢) مصنف عبد الرزاق : ح ٣ ص ٣٥٠ .

قراءة السجدة في الصلاة :

عن ابي رافع الصائغ قال : صليت مع ابي هريرة رضي الله عنه العتمة
فقرأ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (١) فسجد فيها ، فقلت : ماهذه ؟
فقال سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فما ازال اسجد فيها
حتى القاه * (٢)

حديث ابي هريرة هذا يدل على جواز سجود التلاوة في الصلاة ،
وان الرسول صلى الله عليه وسلم سجد في الصلاة .

قال ابن حجر :

" ان في رواية الاشعث عن معمر (٣) التصريح بان سجود النبي
صلى الله عليه وسلم فيها كان داخل الصلاة * (٤)
والى ذلك ذهب جمهور العلماء ولم يفرقوا بين صلاة الفريضة
والنافلة . (٥)

وبعد هذا التطواف الموجز مع "سجود التلاوة " اقول ان الصحابة رضوان
الله عليهم كانوا يجالسون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرأ الآيات التي فيها
السجدة ، فيسجد ويسجدون معه . الا انه جاء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه
انه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم فلم يسجد فيها ، وقد عارضه
حديث ابن مسعود رضي الله عنه - وهو من علماء التفسير في القرن الأول - من ان
الرسول صلى الله عليه وسلم سجد فيها وسجد من كان معه .

(١) سورة الانشقاق : الآية " ١ "

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب سجود
التلاوة : ح ٥ ص ٧٨ .

(٣) رواية الاشعث عن معمر ذكرها ابن حجر في الفتح ، كتاب الاذان ،
باب الجهر في العشاء : ح ٢ ص ٢٥٠ .

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ
السجدة في الصلاة فسجد بها : ح ٢ ص ٥٦٠ .

(٥) نيل الاوطار : ح ٣ ص ١٢١ .

اما سجدة سورة الحج فلم يختلف في الموضع الاول منها ، وان اختلفوا في الموضع الثاني منها . وقد ورد عن عمر رضي الله عنه ، وابن عباس وابي موسى الاشعري وعبد الله بن عمر وعمار بن ياسر انهم قالوا : ان هذه السجدة فضلت على غيرها بسجدة تين .

وفي رواية عن ابن عباس انه قال : في الحج سجدة واحدة ، وكذلك مجاهد - رحمه الله - يرى ان الموضع الثاني من سورة الحج موعظة وليس بسجدة .

أما سجدة " ص " فيرى ابن عباس رضي الله عنه انها ليست من عزائم السجود وان كان قد سجدها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عبد الله بن مسعود لا يسجد فيها ويقول انما هي توبة نبي .

اما سجده " فصلت " فهي موضع اتفاق الا انه اختلف في موضعه . (١)
واما سجدة سورة " النجم " فقد كان ابن مسعود اذا قرأها سجد فيها وكذلك عمر وابن عمر رضي الله عنهم . وكذلك سجدة سورة " الانشقاق " فقد كان عمر وابن عمر يسجدان فيها وقد ثبت فيها حديث صحيح رواه ابو هريرة ،
- رضي الله عنه - .

اما ما يتعلق بسجود المستمع مع القارى فيرى ابن عمر وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ان السجدة على من سمع . وايضا ابن مسعود وابن عباس ،
يريان ان السجدة على من جلس لها .

(١) راجع ص : (٣٠٤)

المبحث الثالث
حُكْمُ الْعُمُرَةِ

حكم العمرة

العمرة في اللغة :

العمرة بالضم ، مأخوذة من الاعتار ، وهو الزيارة التي فيها عمارة الود ،

وجمع العمرة : العمر . (١)

العمرة في الشرع :

زيارة البيت على وجه مخصوص . (٢)

وقد اجمع العلماء على انها مشروعة .

فضلها :

ورد في فضل وثواب العمرة احاديث رواها الائمة العلماء من ذلك :

(١) مارواه الامام البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي

صلى الله عليه وسلم قال : " عمرة في رمضان تعدل حجة " (٣)

اي ان ثواب ادائها في رمضان يعدل ثواب حجة غير مفروضة ، وادائها

لا يسقط الحج المفروض .

(٢) وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " العمرة

الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة " (٤)

(١) تاج العروس : ج ٣ ص ٤٢٣ .

(٢) الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي : ج ١ ص ٤٥٣ ط / ١٣٩٠ هـ

والمراد : زيارة الكعبة ، والطواف حولها ، والسعي بين الصفا والمروة ،
والحلق أوالتقصير .

(٣) صحيح البخارى كتاب الحج ، باب عمرة في رمضان : ج ٣ ص ٤ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء ص ٢ .

تكرارها :

ذهب اكثر اهل العلم الى جواز تكرارها في العام اكثر من مرة .
وقد ورد ذلك عن علي بن ابي طالب وابن عمر وابن عباس وانس والسيدة
عائشة - رضي الله عنهم - ، وعطاء وطاووس وعكرمة ، وقد اعتمرت عائشة
- رضي الله عنها - في شهر مرتين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم (١)
" وعن القاسم عن عائشة - رضي الله عنها انها اعتمرت في سنة ثلاث
مرات .

وعن نافع قال : اعتمر عبد الله بن عمر اعواما في عهد ابن الزبير عمرتين فسي
كل عام * (٢)

وقال علي - رضي الله عنه - : في كل شهر مرة ، وكان انس - رضي الله عنه -
اذا حم رأسه خرج فاعتمر .

وقال عكرمة : يعتمر اذا امكن موسى من شعره .

وقال عطاء ان شاء اعتمر في كل شهر مرتين .

اما الحسن البصرى وابن سيرين فقد كررها العمرة في السنة مرتين وقال ابراهيم
النخعي : ماكانوا يعتمرون في السنة الا مرة ، ولان النبي صلى الله عليه وسلم
يفعله . (٣)

اقول :

لابأس بتكرار العمرة في السنة اكثر من مرة ، وذلك لان عائشة رضي الله
عنها اعتمرت في شهر مرتين بعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، بالاضافة الى ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال : " العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما " (٤) وما من احد
الا ويود ان تكفر سيئاته .

(١) راجع المغني والشرح الكبير : ح ٣ ص ١٧٥ .

(٢) السنن الكبرى للبيهقي : ح ٤ ص ٣٤٤

(٣) المغني والشرح الكبير : ح ٣ ص ١٧٥ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب العمرة : ح ٣ ص ٢ .

وقتها :

- ذهب جمهور العلماء الى ان وقت العمرة جميع ايام السنة ، فيجوز
ادائها في يوم من ايامها ، وقد وردت احاديث في ادائها قبل الحج وبعده
من ذلك :
- (١) مارواه الامام البخارى بسنده عن عكرمة بن خالد قال : سألت عبد الله بن
عمر عن العمرة قبل الحج ؟ فقال : لا بأس على احد ان يعتمر قبل
الحج ، فقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج . (١)
- (٢) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان السيدة عائشة رضي الله عنها حاضت ،
فنسكت (٢) المناسك كلها ، غير انها لم تطف بالبيت . فلما طهرت
وطافت قالت : يا رسول الله ، اتنطلقون بحج وعمرة ، وانطلق بالحج ؟
فأمر عبد الرحمن بن ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم ، فاعتمرت بعد
الحج في ذى الحجة . (٣)
- كما يجوز الاعتار في اشهر الحج ، وفي ذلك يقول طاووس: كان اهـل
الجاهلية يرون العمرة في اشهر الحج افجر الفجور (٤) ، ويقولون : اذا انفسخ (٥)

-
- (١) صحيح البخارى ، كتاب الحج : باب من اعتمر قبل الحج : ح ٣ ص ٢ .
(٢) النسك : العبادة ، وكل حق لله تعالى ، ترتيب القاموس المحيط :
ح ٤ ص ٣٦٦ مادة (ن / س / ك) .
(٣) صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب العمرة ليلة الحصة وغيرها :
ح ٣ ص ٤ .
(٤) الفجور : الانبعاث في المعاصي ، ترتيب القاموس المحيط : ح ٣ ص ٤٤٩
مادة (ف / ج / ر) .
(٥) انفسخ : انتقض وبطل وزال . المعجم الوسيط : ح ٢ ص ٦٨٨ .

صفر ، وبرأ الدبر (١) ، وعفا الأثر (٢) حلت العمرة لمن اعتمر . فلما كان
الاسلام أمر الناس ان يعتمروا في اشهر الحج ، فدخلت العمرة في اشهر
الحج الى يوم القيامة . (٣)

مبقاتها :

الذى يريد العمرة اما ان يكون خارج مواقيت الحج (٤) أو يكون داخلها ،
فان كان خارجها فلا يحل له مجاوزتها بلا احرام . وهذه المواقيت قد بينها
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه الامام البخارى بسنده ان
زيد بن جبير اتى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما في منزله ، فسأله من اين
يجوز ان اعتمر ؟ فقال : فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل نجد
قرنا (٥) ولأهل المدينة ذا الحليفة ، ولأهل الشام الجحفة (٦) .

- (١) برأ الدبر : الدبر بالتحريك ، الجراح الذى يكون في ظهر البعير .
النهاية في غريب الحديث والأثر : ح ٢ ص ٩٧ .
- (٢) عفا الأثر : بمعنى درس وامحى . النهاية في غريب الحديث والأثر :
ح ٣ ص ٢٦٦ .
- (٣) المغني والشرح الكبير : ح ٣ ص ٢٣٧ .
- (٤) المواقيت المكانية للحج هي الاماكن التي يحرم منها من يريد الحج او العمرة
ولا يجوز لحاج او معتمر ان يتجاوزها .
نيل الاوطار : ح ٥ ص ٢١ .
- (٥) قرن : مبات اهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة .
معجم البلدان : ح ٤ ص ٣٣٢ .
- (٦) الجحفة : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على اربع
مراحل . معجم البلدان : ح ٢ ص ١١٠ .

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما . . . ولاهل اليمن يلطم (١) ،
هن لهن ولعن اتى عليهن من غيرهن ممن اراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك
فمن حيث أنشأ ، حتى اهل مكة من مكة * (٢)
اما اهل العراق فقد حد لهم عمر رضي الله عنه ذات عرق (٣) باجتهاار
منه (٤) وان كان الذي يريد العمرة داخل المواقيت ، فميقاته في العمرة
الحل ، ولو كان بالحرم ، للحديث الذي رواه الامام البخارى بسنده عن عمرو بن أوس
وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر عبد الرحمن بن ابي بكران يردف عائشة
ويحمرها من التنعيم . . (٥)

حكم العمرة :

يرى جمع من الصحابة والتابعين ان العمرة واجبة ومن هو لا * :
علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه - وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ،
وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهم اجمعين - ،
ومن التابعين : عطاء بن ابي رباح ، وطاووس ، ومجاهد بن جبر ، والحسن
البصرى ، وابن سيرين ، وعامر الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وابو بردة ، ومسروق
وقتادة ، وسعيد بن المسيب .

ويرى البعض انها ليست واجبة ولكل ادلته التي استند اليها .

(١) يلطم : موضع على ليلتين من مكة ، ويقال : هو جبل من الطائف على ليلتين

او ثلاث . معجم البلدان : ج ٥ ص ٤٤١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الحج ، باب مهل اهل مكة للحج والعمرة : ج ٢ ص ١٦٥

(٣) ذات عرق : مهل اهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .

معجم البلدان : ج ٤ ص ١٠٧ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب ذات عرق لاهل العراق

ج ٣ ص ٢٨٩ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب عمرة التنعيم : ج ٣ ص ٤ .

أولا - ادلة القائلين بالوجوب :

(١) قوله تعالى : * وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ * (١)

وجه الاستدلال من الآية :

قوله (وَأَتِمُّوا) امر بالاتمام ، والمعنى : افعلوا الحج

والعمرة على نعت الكمال والتمام ، وذلك مثل قوله تعالى :

* وَإِنْ اِبْتَلَىٰ اِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ * (٢)

اي فعلهن على سبيل التمام والكمال ، ومثل قوله تعالى :

* ثُمَّ اَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ * (٣)

اي : افعلوا الصيام تاما الى الليل . (٤)

(٢) واستدلوا بقوله تعالى : * وَاذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ

الأكْبَرِ * (٥)

وجه الاستدلال من الآية :

هذه الآية تدل على وجوب حج اصغر على ما عليه حقيقة افعال ، وما ذاك

الا العمرة بالاتفاق ، وانما ثبت ان العمرة حج ، وجبان تكون واجبة

(١) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٢٤ " .

(٣) سورة البقرة : الآية " ١٨٧ " .

(٤) راجع تفسير الفخر الرازي : ح ٥ ص ١٤٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية " ٣ " .

لقوله تعالى :

* وَأَتِمُّوا الْحَجَّ * (١) ولقوله تعالى : * وَلِلَّهِ عَلَى
النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ * (٢)
اعتراض :

هذا الاستدلال لا يصح ، لان الحج الاكبر انما عنى الله به
الاجتماع الاكبر بالمشعر الحرام حيث تجتمع قريش وسائر الناس ولم يعن
به شعيرة من الشعائر .

(٣) وبما روى عن ابن عمر عن ابيه قال : دخل اعرابي حسن الوجه ، ابين
الشياب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما الاسلام يا رسول الله ؟
فقال : ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ،
وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج وتعتمر " (٣)

(٤) وعن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الحج
والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت . " (٤)

-
- (١) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .
(٢) سورة آل عمران : الآية " ٩٧ " .
(٣) سنن الدارقطني : ح ٢ ص ٢٨٢ ، كتاب الحج ، وقال الدارقطني :
اسناد ثابت صحيح اخرجه مسلم بهذا الاسناد .
اقول : هذا الحديث بمعناه رواه الامام مسلم في صحيحه وليس
فيه " وتعتمر " صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الايمان باب بيان اركان
الاسلام : ح ١ ص ١٧٦ .
(٤) سنن الدارقطني : ح ٢ ص ٢٨٤ كتاب الحج .
قال ابن حجر : في اسناده - اى الحديث - اسماعيل بن مسلم المكي وهو
ضعيف ، ثم هو عن ابن سيرين عن زيد وهو منقطع ، ورواه البيهقي موقوفا على
زيد واسناده اصح ، وصححه الحاكم ، ورواه ابن عدى والبيهقي من حديث
ابن لهيعة عن عطاء عن جابر ، وابن لهيعة ضعيف . تلخيص الحبير ح ٢ ص ٢٢٥

(٥) وعن ابي رزين العقيلي ، انه قال : يارسول الله ان ابي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن (١) قال صلى الله عليه وسلم : حج عن ابيك واعتمر (٢) . وهذا امر منه صلى الله عليه وسلم باداء فرض الحج والعمرة عمّن لا يطيقهما .

وقال الامام احمد : " لا اعلم في ايجاب العمرة حديثا اجود من هذا ولا اصح منه " (٣)

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فهي كما يلي :

- (١) اخرج ابن ابي شيبة والحاكم عن ابن سيرين ان زيد بن ثابت سئل عن العمرة قبل الحج ، قال : صلاتان - وفي لفظ نسكان - لله عليك لا يضرك بأيهما بدأت . (٤)
- (٢) قال الصَّبِيُّ بن معبد : اتيت عمر رضي الله عنه فقلت : اني كنت نصرانيا فأسلمت واني وجدت الحج والعمرة مكتوبتين عليّ ، واني اهللت بهما جميعا " فقال له عمر هديت لسنة نبيك .
- قال ابن المنذر : ولم ينكر عليه قوله : " وجدت الحج والعمرة مكتوبتين عليّ " (٥)

-
- (١) الظعن : السير . ترتيب القاموس المحيط : ح ٣ ص ١٢٢ .
 - (٢) عون المعبود : كتاب المناسك ، باب الرجل يحج عن غيره : ح ٥ ص ٢٤٩ ، تحفة الاحوذى ، كتاب الحج ، باب ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت ح ٣ ص ٦٧٧ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .
 - (٣) نيل الاوطار : ح ٥ ص ٣ .
 - (٤) تفسير الدر المنثور : ح ١ ص ٢٠٩ .
 - (٥) تفسير القرطبي : ح ٢ ص ٣٦٨ .

- (٣) عن ابن جريج قال : اخبرني نافع ان عبد الله بن عمر
كان يقول : ليس من خلق الله احد الا عليه حجة وعمره واجبتان من
استطاع الى ذلك سبيلا ، فمن زاد بعدها شيئا فهو خير وتطوع * . (١)
- (٤) وكان جابر بن عبد الله يقول : ليس مسلم الا عليه حجة وعمره من استطاع
اليه سبيلا * . (٢)
- (٥) عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : امرتم باقامة اربع :
اقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واقيموا الحج والعمرة الى البيت ، والحج :
الحج الاكبر والعمرة : الحج الاصغر * . (٣)
- (٦) أ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : الحج والعمرة واجبتان (٤)
ب - وعنه قال في الحج والعمرة ، انها لقرينتها في كتاب الله (٥) .
* وَآتُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ * (٦) .
- فابن عباس يرى هذا النص موجبا لكونها فرضا كالحج . وهذا
عن ابن عباس من طرق في غاية الصحة * (٧)
- ج - واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والدارقطني والحاكم والبيهقي
عنه قال :

* العمرة واجبة كوجوب الحج من استطاع اليه سبيلا . (٨)

-
- (١) تفسير القرطبي : ح ٢ ص ٣٦٨ .
(٢) المحلى لابن حزم : ح ٧ ص ٣٨ .
(٣) تفسير الدر المنثور : ح ١ ص ٢٠٨ .
(٤) المحلى لابن حزم : ح ٧ ص ٣٨ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب العمرة ، ح ٣ ص ٢ .
(٦) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .
(٧) المحلى لابن حزم : ج ٧ ص ٣٨ .
(٨) تفسير الدر المنثور : ح ١ ص ٢٠٨ .

- (٥) واخرج ابن ابي شيبه والحاكم من طريق عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال : الحج والعمرة فريضتان على الناس كلهم الا اهل مكة فان عمرتهم طوافهم فمن جعل بينه وبين الحرم بطن واد فلا يدخل مكة الا باحرام * (١)
- (٧) واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن علي رضي الله عنه انه قرأ وأقيموا الحج والعمرة للبيت ، ثم قال هي واجبة مثل الحج . (٢)
- (٨) ومن طريق قتادة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا ايها الناس كتبت عليكم العمرة .
- (٩) وعن ابن سيرين قال : كانوا لا يختلفون - يعني الصحابة والتابعين - ان العمرة فريضة .
- وابن سيرين ادرك الصحابة واكابر التابعين .
- (١٠) وعن معمر بن قتادة قال : العمرة واجبة .
- (١١) أ - ومن طريق سفيان الثوري ، ومعمر بن داود بن ابي هند قال : قلت لعطاء : العمرة علينا فريضة كالحج ؟ قال : نعم .
- ب - واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن عطاء قال : ليس احد من خلق الله الا عليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا كما قال الله ، حتى اهل بوادينا الا اهل مكة فان عليهم حجة وليست عليهم عمرة من اجل انهم اهل البيت وانما العمرة من اجل الطواف * . (٣)

(١) تفسير الدر المنثور : ح ١ ص ٢٠٨

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

بقية الآثار راجع فيها المحلى لابن حزم : ح ٧ ص ٠٤١ .

(٣) تفسير الدر المنثور : ح ١ ص ٢٠٩ .

- (١٢) وعن الحسن البصرى وابن سيرين : العمرة واجبة (١)
- (١٣) وعن طاووس : العمرة واجبة (٢) .
- (١٤) وعن سعيد بن جبير : العمرة واجبة ، ف قيل له : ان فلانا يقول :
ليست واجبة ، فقال : كذب ، ان الله تعالى يقول :
- * وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ * (٣)
- (١٥) وعن سعيد بن المسيب : انما كتب عليّ عمرة وحجة . (٤)
- (١٦) وعن مجاهد قال : الحج والعمرة فريضان . وعنه قال : العمرة الحجة
الصفري (٥)
- (١٧) ومن طريق سعيد بن منصور عن الشعبي انه قال في العمرة : هي واجبة (٦)

-
- (١) المحلى لابن حزم : ج ٧ ص ٤١ .
- (٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
- (٣) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " ، تفسير الطبرى : ج ٢ ص ١٣١ .
- (٤) المحلى لابن حزم : ج ٧ ص ٤١ .
- (٥) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
- (٦) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

ثانيا - ادلة القائلين بعدم الوجوب :

قال ابن حزم : ما نعلم لمن قال ليست واجبة سلفا من التابعين
الا ابراهيم النخعي وحده ، ورواية عن الشعبي قد صح عنه خلافها . . (١)
وروى عن ابن مسعود قول بعدم وجوبها . (٢)

واليك الادلة التي اعتمد عليها اصحاب هذا القول :

(١) روى الامام مسلم بسنده عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
" بني الاسلام على خمسة : على ان يوحد الله واقام الصلاة وايتاء
الزكاة وصيام رمضان والحج . . " (٣)

(٢) الخبر الثابت في الذي سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسلام
فأخبره بالصلاة والزكاة والصيام والحج فقال : هل علي غيرها يارسول الله؟
قال : لا الا ان تطوع . (٤)

وجه الدلالة من الحديثين :

اقتصاره صلى الله عليه وسلم في الحديثين على ذكر اركان الاسلام الخمسة
يوضح ان العمرة ليست واجبة ، ولو كانت واجبة لذكرها .

- (١) المحلى : ج ٧ ص ٤٢ .
(٢) المغني والشرح الكبير : ج ٣ ص ١٧٣ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الايمان ، باب بيان اركان الاسلام
" ودعائه العظام : ج ١ ص ١٧٦ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي نفس الكتاب والباب : ج ١ ص ١٧٠ .

- (٣) اخرج الشافعي في الام وعبد الرزاق وابن ابي شيبة ، وعبد بن حميد عن
ابي صالح ماهان الحنفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" الحج جهاد والعمرة تطوع " (١)
- (٤) واخرج ابن ماجه عن طلحة بن عبيد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول : " الحج جهاد والعمرة تطوع " . (٢)
- (٥) واخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والترمذى وصححه عن جابر بن عبد الله
ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة او اجبة هي ؟ قال :
لا وان تعتمروا خير لكم " . (٣)
- نقد للحديث الثالث والرابع والخامس .

أولا : حديث ابي صالح ماهان الحنفي وحديث طلحة بن عبيد الله .

قال ابن حجر : هذا الحديث رواه الدارقطني وابن حزم والبيهقي واسناده
ضعيف ، وابو صالح ليس هو ذكوان السمان ، بل هو ابو صالح ماهان الحنفي ،
كذلك رواه الشافعي عن سعيد بن سالم عن الثوري عن معاوية بن اسحاق عن
ابي صالح الحنفي ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحج جهاد
والعمرة تطوع " ورواه ابن ماجه من حديث طلحة واسناده ضعيف ، والبيهقي
من حديث ابن عباس ولا يصح من ذلك شيء " (٤)

- (١) السنن الكبرى للبيهقي : ج ٤ ص ٣٤٨ .
- (٢) سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب العمرة : ج ٢ ص ٩٩٥ .
- (٣) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب الحج ، باب ماجاء في العمرة
او اجبة هي ام لا ، ج ٥ ص ٦٧٩ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن
صحيح .
- (٤) تلخيص الحبير : ج ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧

ثانيا - حديث جابر بن عبد الله :

" رواه الامام احمد والترمذى والبيهقي من رواية الحجاج بن ارطأة عن محمد بن المنكدر عنه والحجاج ضعيف ، قال البيهقي : المحفوظ عن جابر موقوف ، كذا رواه ابن جريج وغيره ، وروى عن جابر بخلاف ذلك مرفوعا .

ونقل جماعة من الائمة الذين صنفوا في الاحكام المجردة من الاسانيد ، ان الترمذى صححه من هذا الوجه . . . وفي تصحيحه نظر كثير من اجل الحجاج ، فان الاكثر على تضعيفه ، والاتفاق على انه مدلس .

وقال النووى : ينبغي ان لا يختار بكلام الترمذى في تصحيحه ، فقد اتفق الحفاظ على تضعيفه .

وقد نقل الترمذى عن الشافعي انه قال : ليس في العمرة شيء ثابت انها تطوع " (١)

ما تقدم نكاد نلمس اختلاف الآراء في حكم العمرة او اجبة هي ام ليست واجبة فنجد من الصحابة علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس وابن مسعود ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله يرون وجوب العمرة .

ومن التابعين القائلين بوجوبها : عطاء بن ابي رباح ، وسجاهد بن جبر ، والحسن البصرى ، ومسروق ، وقتادة وابن سيرين ، وعامر الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وطاووس .

وفي المقابل نجد ابراهيم النخعي ، وعامر الشعبي - في رواية اخرى - يرون عدم وجوب العمرة . وكذلك روى عن ابن مسعود .

(١) تلخيص الحبير : ج ٢ ص ٢٢٦ .

ولعل سبب الخلاف في هذا هو تعارض الآثار ، وتردد الامر بالتمام

في قوله تعالى :

* وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ * (١)

بين ان يقتضي الوجوب ام لا يقتضيه فمن اوجبها قال : ان معنى الآية :

اداؤها والاتيان بهما مثل قوله تعالى :

* وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ * (٢) وقوله : * ثُمَّ

أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ * (٣) .

ومن لم يوجبها فقد وجه الآية على النحو التالي :

قالوا : " " واما الآية فلا حجة فيها للوجوب لان الله سبحانه وتعالى

انما قرنهما في وجوب الاتمام لا في الابتداء فانه ابتداء الصلاة والزكاة فقال تعالى :

* وَأَقِمُّوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ * (٤)

وابتداءً بايجاب الحج فقال تعالى :

* وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ * (٥)

ولما ذكر العمرة امر باتمامها لا بابتدائها ، فلو حج عشر حجج او اعتمر

عشر عمر لزم الاتمام في جميعها ، فانما جاءت الآية للزام الاتمام لا للزام

الابتداء " (٦) .

وقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من رواية علي بن ابي طلحة

في قوله تعالى : * وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ * (٧)

-
- (١) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .
 - (٢) سورة البقرة : الآية " ١٢٤ " .
 - (٣) سورة البقرة : الآية " ١٨٧ " .
 - (٤) سورة البقرة : الآية " ٤٣ " .
 - (٥) سورة آل عمران : الآية " ٩٧ " .
 - (٦) تفسير القرطبي : ج ٢ ص ٣٦٩ .
 - (٧) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .

قال : " انه امر من الله باتمام اعمالهما بعد الدخول فيهما وايجابهما ، على ما أمر به من حدودهما وسننهما . ويقول : من أحرم بحج او بعمره فليس له ان يحل حتى يتمهما تمام الحج يوم النحر ، اذا رمى جمره العقبة وزار البيت فقد حل من احرامه كله . وتام العمرة ، اذا طاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حل . (١)

اقول :

والذى يبدو من توجيه معنى الآية :

* وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ * (٢)

ان الصواب قول من قال : ان العمرة تطوع لا فرض ، ويكون معنى الآية : اتموا الحج والعمرة بعد شروعاتكم فيهما وايجا بكموهل على انفسكم .

يقول الامام الشوكاني :

" والحق عدم وجوب العمرة لان البراءة الاصلية لا ينتقل عنها الابدليل يثبت به التكليف ولا دليل يصلح لذلك لاسيما مع اعتضادها بالاحاديث القاضية بعدم الوجوب ، ويؤيد ذلك اقتضاره صلى الله عليه وسلم على الحج في حديث بني الاسلام على خمس ، واقتضار الله جل جلاله في قوله تعالى :

* وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ * (٣)

وأما قوله تعالى :

* وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ * (٤)

فلفظ التمام مشعر بأنه انما يجب بعد الاحرام لا قبله ويساعدنا على فهم هذا المعنى معرفتنا لسبب نزول هذه الآية فقد اخرج الشيخان وغيرهما بسنديهما

(١) تفسير الطبرى : ح ٤ ص ٧ و ص ٢٠ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ "

(٣) سورة آل عمران : الآية " ٩٧ " .

(٤) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .

عن يعلي بن امية قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة (١) عليه جبة وعليها خلوق (٢) فقال كيف تأمرني ان اصنع في عمرتي ؟ قال : فأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فتستر بثوب . . . فلما سرى (٣) عنه ، قال : اين السائل عن العمرة ؟ اغسل عنك اثر الخلوق ، واخلع عنك جبتك واصنع في عمرتك ما انت صانع في حجك . (٤)

فالسائل هنا قد احرم بالفعل وانما سأل كيف يصنع ، فلا حجة اذا فسي الآية للوجوب لان الله تعالى قرنها بالحج في وجوب الاتمام لا في الابتداء (٥)

-
- (١) الجعرانة: بكسراوله ، وهي ماء بين الطائف ومكة ، وهي الى مكة اقرب . معجم البلدان : ح ٢ ص ١٤٢ .
- (٢) الخلوق : طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من انواع الطيب : النهاية في غريب الحديث والاثر : ح ٢ ص ٧١ .
- (٣) سرى عنه : كشف عنه . النهاية في غريب الحديث والاثر : ح ٢ ص ٣٦٤ .
- (٤) صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب ح ٢ ص ١٦٢ .
- (٥) نيل الاوطار : ح ٥ ص ٥ .

الفصل الثالث

موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن
في آيات الأخلاق

المبحث الأول : الأمكانة
المبحث الثاني : الصِّدْق
المبحث الثالث : الصِّبْر

المبحث الأول
الأمم الكافئة

الأمانة

الأمن في اللغة :

اصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف .

والامنُ والامانةُ والامانُ في الاصلِ مصدرٌ ، ويجعلُ الأمانُ تارةً اسماً للحالة التي يكون عليها الانسانُ في الامنِ ، وتارةً اسماً لما يُؤمنُ عليه الانسانُ نحو قوله تعالى :

﴿ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ (١)

اي : ما ائتمنتم عليه . . . ويقال : رجلٌ آمنهُ وأمنهُ يثق بكلِّ احدٍ وامينٌ وامانٌ يُؤمنُ به . (٢)

وجاء في ترتيب القاموس المحيط :

الأمْنُ : ضدُ الخوفِ . أمِنَ - كَفَرِحَ - اماناً وأماناً ، - بفتحهما - وأمناً وامنهُ محركتين - وأمناً - بالكسر - : فهو أمينٌ وأمينٌ .
ورجلٌ آمنهُ : يأمنهُ كلُّ احدٍ في كلِّ شيءٍ . وقد آمنهُ وأمنهُ .
والامِينُ : المُستَجِيرُ لِيَأْمَنَ على نفسه .
والأمانةُ ، والامنهُ : ضدُ الخيانة . وقد امنهُ وامنهُ تأميناً ، وائتمنهُ ، واستأمنهُ .

وقد آمنَ فهو أمينٌ ، وأمانٌ مأمونٌ به ثقة . (٣)

(١) سورة الأنفال : الآية " ٢٧ " .

(٢) المفردات في غريب القرآن : ص ٢٦ .

(٣) ح ١ ص ١٨١ .

وبعد معرفة المعنى اللغوي للفظ الامانة يمكن القول : ان الامانة خلق ضخم لا يستطيع حملها الضعاف من الناس ، وفي الكتاب العزيز ضرب الله المثل لضخامتها ، ووضح انها تثقل كاهل الوجود كله ، وعلى هذا فالاجدر بالانسان ان لا يستهين بها او يفرط في جانبها ، قال تعالى فسي سورة الاحزاب :

* اِنَّا عَرَضْنَا الْاَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْاَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ اَنْ يَحْمِلْنَهَا
وَاشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْاِنْسَانُ اِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا * (١)

فما هي الامانة التي عرضت على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وحملها الانسان ؟

روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله :
(اِنَّا عَرَضْنَا الْاَمَانَةَ . .) قال : الامانة الفرائض ، عرضها الله عز وجل على السموات والارض والجبال ، ان ادوها اثابهم ، وان ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله عز وجل الا يقوموا به . ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها .

وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصرى وغير واحد :

ان الامانة هي الفرائض . (٢)

اذن فالامانة هنا هي الفرائض التي ائتمن الله تعالى عليها العباد ، وهذا القول هو الذى عليه اهل التفسير .

وقد اختلف في تفاصيل بعضها على اقوال :

(١) الآية : " ٧٢ " .

(٢) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ٥٢٢ .

- ١ - قال عبد الله بن مسعود : هي امانات الاموال كالودائع وغيرها .
وعنه ايضا قال : انها في كل الفرائض واشدها امانة المال .
- ٢ - وقال ابي بن كعب رضي الله عنه : من الامانة ان ائتمنت المرأة على فرجها .
- ٣ - وقال ابو الدرداء رضي الله عنه : غسل الجنابة امانة ، وان الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها .
وفي هذا الكلام نظر ، وذلك لان الامانات متعددة ، فالصلاة امانة والزكاة أمانة ، والحج أمانة الى غير ذلك من التكليف التي امر الله بها .
- ٤ - وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : اول ما خلق الله تعالى من الانسان فرجه ، وقال : هذه امانة استودعتكها ، فلا تبسل (١) منها شيئا الا بحقها ، فان حفظتها حفظتك ، فالفرج امانة ، والاذن امانة ، والعين امانة ، واللسان امانة ، والبطن امانة ، واليد امانة ، والرجل امانة ، ولا ايمان لمن لا امانة له .
- ٥ - وقال قتادة : الامانة : الدين والفرائض والحدود . (٢)
- ٦ - وقال زيد بن اسلم : الامانة ثلاثة ، الصلاة والصوم والاعتسال من الجنابة . (٣)

وروى معمر بن الحسن :

ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال ، قالت : وما فيها ؟
قيل لها : ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت ، فقالت : لا .

(١) البسل : المنع والحبس ، معجم مقاييس اللغة : ح ١ ص ٢٤٨ .

(٢) تفسير ابن كثير : ح ٣ ص ٥٢٢ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

قال مجاهد :

فلما خلق الله تعالى آدم عرضها عليه ، قال : وما هي ؟ قال :
ان احسنت أجرتك وان اسأت عذبتك . قال : فقد تحملتها يارب .
قال مجاهد : فما كان بمن ان تحملها الى ان اخرج من الجنة الا قدر ما يبسن
الظهر والعصر .

٧ - وقيل : لما حضرت آدم عليه السلام الوفاة امر ان يعرض الامانة على
الخلق ، فعرضها فلم يقبلها الا بنوه .

٨ - وقيل : هذه الامانة هي ما اودعه الله تعالى في السموات والارض والجبال
والخلق ، من الدلائل على ربوبيته ان يظهرها فأظهرها ، الا الانسان
فانه كتمها وجحد ها ، " وهذا قول بعض المتكلمين " . (١)

ما تقدم يتضح ان للامانة وجوها كثيرة منها ان المراد بالامانة فسي
قوله تعالى : * اِنَّا عَرَضْنَا الْاَمَانَةَ .. * (٢)

الفرائض : وهذا الرأي هو الذى يقول به اهل التفسير .

اما ما جاء في قوله تعالى من سورة المؤمنون وصفا للمؤمنين :

* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * (٣)

فالظاهر عسوم الامانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العباد من

قول وفعل واعتقاد ، فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الافعال والتسروك

(١) راجع هذه الآثار في تفسير القرطبي : ح ١٤ ص ٢٥٣ وما بعدها .

(٢) سورة الاحزاب : الآية " ٧٢ " .

(٣) الآية " ٨ " . وقد وردت هذه الآية ايضا في سورة المعارج ،

الآية " ٣٢ " وصفا للمصلين .

وما ائتمنه الانسان قبل . ويحتمل الخصوص في امانات الناس ، ومراعاتها تكون بالقيام عليها وحفظها الى ان تودي ... (١)

نعم فالامانة فضيلة ضخمة يتواصى المسلمون بحفظها ورعايتها ، وهي صفة لا تنفصل عن كيان الانسان ، ولقد تمكنت الامانة في الجيل الاول فوصلت اقصى مراتبها ، وتكون على حقيقتها جيل عفيف النفس والطبع ، نظيف اليد ، مما جعل البعض يحمل ايوان كسرى من المدائن الى المدينة لم يتغير فيه شيء ، فجعل عمر بن الخطاب يقول :

" ان الايدي التي حملته لامينة حقا امينة " (٢)

وكتب السيرة النبوية تروى لنا كيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرر الهجرة من مكة الى المدينة استخلف عليا - كرم الله وجهه - ليرد الامانات الى اهلها . (٣)

وهذا معنى من معاني الامانة والذي يتمثل في حفظ الودائع وردها الى اصحابها ومن معانيها ايضا اسناد الامر لمن هو اهل له .

عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله :

الا تستعطني ؟ قال : ف ضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر : انك ضعيف ، وانها امانة ، وانها يوم القيامة خزي وندامة ، الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها . (٤)

(١) تفسير البحر المحيط : ح ٦ ص ٣٩٧ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : ح ٧ ص ٦٧ بلفظ : ان قوما ادوا هذا للأمناء .

(٣) السيرة النبوية : لابن هشام : ح ٢ ص ١٢٩ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الامارة باب كراهة الامارة بغير ضرورة :

ح ١٢ ص ٢٠٩ .

فهذا الصحابي الجليل لما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستعمله في منصب ما لم يره الرسول صلى الله عليه وسلم كفوا لهذا المنصب فحذره منها .

ومن معاني الامانة حفظ ما يدور في المجالس التي يكون المرء مشاركا فيها عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة " (١)

ومن حق من استأمنك على حديث ان تحفظه له ولا تفشييه والا كان افشاء هذا السر خيانة للامانة وخير مثال لذلك ما حصل من ابي لبابة بن عبد المنذر الانصاري ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم من بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام ، فأبى ان يعطيهم ذلك الى ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأبوا وقالوا : ارسل الينا ابا لبابه ، وكان مناصحا لهم ، لان عياله وماله وولده كانت عندهم ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فقالوا : يا ابا لبابة ماترى ، أننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار ابولبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا ، قال ابولبابة : والله ما زالت قدماى حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

(١) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ابواب البر والصلة ، باب ماجاء

ان المجالس بالامانة ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن :

ح ٦ ص ٩٢ .

(٢) سورة الانفال : الآية " ٢٧ " .

فلما نزلت شد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال : والله لا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله عليّ فمكث سبعة ايام لا يذوق فيها
طعاما ولا شرابا حتى خرّ مغشيا عليه ، ثم تاب الله عليه . . . (١)

وعلى هذا فالمجالس ملزمة للمشاركين فيها بالامانة الاثلاثة مجالس :

المجلس الاول : مجلس سفك فيه دم حرام .

المجلس الثاني : مجلس كان فيه اعتداء على عرض حرام .

المجلس الثالث : مجلس اعتدى فيه على مال بغير حق .

وفي ذلك عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« المجالس بالامانة الاثلاثة مجالس : سفك دم حرام ، او فرج حرام ، او اقتطاع

مال بغير حق » (٢)

ومن الامانة العفة عن التعدي على الاعراض ، والبعد عن حقوق الغير ،
وتأدية العبد حق ربه عليه ، كالعبادات المفروضة والطاعات الواجبة ،
والكف عما حرم الله ، وتبليغ الرسائل الكتابية واللفظية على الوجه الذي أمر
به او اطلق عليه . واعطاء كل ذي حق حقه ، والاهتمام بأن يحفظ المستأمنون
ما استؤمنوا عليه من حقوق لغيرهم حتى يودوها الى ذويها وهي حالتها .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ (٣)

(١) اسباب النزول للواحدى : ص ١٣٤ .

(٢) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، كتاب الادب ، باب في نقل الحديث

ص ١٣ .

وقال المنذرى : في الحديث ابن اخي جابر وهو مجهول . وفي اسناده

عبد الله بن نافع الصائغ مولى بني مخزوم كنيته ابو محمد وفيه مقال .

وقال المناوى : اسناده حسن .

(٣) سورة النساء : الآية ٥٨ .

وهذا النص الكريم يفيد وجوب تأدية جميع انواع الامانات الى اصحابها
ومستحقيها .

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه عنه حذيفة بن اليمان
رضي الله عنه يصور رفع الامانة من قلب الرجل الذى لا يؤدى بها . يقول :
" حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين " رأيت احدهما
وانا انتظر الآخر ، حدثنا ان الامانة نزلت في جذر (١) قلوب الرجال ،
ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها ، قال : ينام
الرجل النوم فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل اثر الوكت (٢) ثم ينام
النومة فتقبض فيبقى اثرها مثل المجل (٣) كجمر دحرجته على رجلك فنفظ فتراه
منتبرا (٤) وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يؤدى الامانة
فيقال : ان في بني فلان رجلا امينا ، ويقال للرجل ما اعقله وما اطرفه وما اجلده
وما في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان . . . (٥)

-
- (١) الجذر : الاصل من كل شيء حتى يقال لأصل اللسان جذر ،
معجم مقاييس اللغة : ح ١ ص ٤٣٦ .
- (٢) الوكت : الاثر اليسير في الشيء ، المعجم الوسيط : ح ٢ ص ١٠٥٣ .
- (٣) المجل : يقال : مجلت يده تمجل مجلا ، ومجلت تمجل مجلا ،
انما سخن جلدها تعجر ، وظهر فيه ما يشبه البشر ، من العمل بالاشياء
الصلبة الخشنة ، النهاية في غريب الحديث والاثر : ح ٤ ص ٣٠٠ .
- (٤) منتبرا : مرتفعا ، النهاية في غريب الحديث والاثر : ح ٥ ص ٨ .
- (٥) صحيح البخارى . كتاب الرقاق ، باب رفع الامانة : ح ٨ ص ١٢٩ .

فما حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على ارتباط الامانة بالايان
وان رفع الامانة يأتي بسبب ضعف الايمان او فقدته عند الناس ، وكلما قوى الايمان
في القلوب كلما استقرت ورسد الامانة في الاعماق ، وهذا ما جعل ابا بكر الصديق
رضي الله عنه لما جاء مال البحرين ينادى : من كان له عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم عده او دين فليأتنا ، ونص الحديث كما جاء في صحيح البخارى :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لو
قد جاء مال البحرين اعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ، فلم يجي مال البحرين حتى
قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما جاء مال البحرين أمر ابو بكر فنادى : من
كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم عده او دين فليأتنا ، فأتيته ، فقلت : ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لي كذا وكذا ، فحشى لي حشية ، فعددتها ،
فانها هي خمسمائة ، وقال : خذ مثلها . (١)

فهذا جانب من خلق الامانة عند بعض الصحابة رضوان الله عليهم
فهم قد التزموا بالامانة في كل ناحية منها ولم يقصروا على شي واحد .

ويظهر من هذا السياق الجلي موقف ابن عباس ، وسعيد بن جبير ،

ومجاهد والحسن البصرى من الامانة في قوله تعالى :

* اِنَّا عَرَضْنَا الْاَمَانَةَ . . . * (٢)

(١) صحيح البخارى ، كتاب السلم ، باب من تكفل عن ميت دينا فليس له

ان يرجع : ح ٣ ص ١٢٦ .

(٢) سورة الاحزاب : الآية ٧٢ .

وذلك انهم قالوا : هي الفرائض ، وقال ابن مسعود هي في امانات
الاموال كالودائع وغيرها ، وقال ايضا : انها في كل الفرائض واشهرها امانة
المال . اما قتادة فقال : الامانة: الدين والفرائض والحدود ، وقال زييد
ابن اسلم : الامانة ثلاثة: الصلاة والصوم والاعتسال من الجنابة .
والظاهر انها تعم جميع الامانات وذلك لان الامانات متعددة فينبغي ان
لا تقصر على جانب منها . ولا تعارض بين هذه الاقوال . بل هي متفقة وراجعة
الى انها التكليف وقبول الاوامر والنواهي بشرطها * (١)

(١) تفسير ابن كثير : ج ٣ ص ٥٢٢ .

المبَيَّن الثاني
الصِّدْق

الصدق

الصدق لفظة :

نقيض الكذب **صَدَقَ يَصْدُقُ صِدْقًا وَصِدْقًا وَتَصَدَّقًا** ، **وَصَدَقَهُ** الحديث :
انبأه بالصدق (١) .

واما حقيقة :

ف قيل الصدق : الوفاء لله بالعمل ، وقيل : موافقه السر النطق ،
وقيل : استواء السر والعلانية ، وقيل : القول بالحق في مواطن الهلكة ،
وقيل : كلمة الحق عند من تخافه وترجوه . (٢)

أقول :

والصدق هو التزام الحق وتحري الصواب في القول والعمل في كل حال .
والصدق روح الاعمال ومحك الاحوال ، وقد أمر الله تعالى به في آيات
كثيرة ، قال تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * (٣)

واخبر عز وجل عن اهل البر بعد ان أثنى عليهم بحسن اعمالهم بقوله :

* أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * (٤)

-
- (١) لسان العرب ، مادة (صدق) : ح ٢ ص ٤٢٠ .
 - (٢) مدارج السالكين لابن القيم : ح ٢ ص ٢٧٤ .
 - (٣) سورة الاحزاب : الآية " ٧٠ " .
 - (٤) سورة البقرة : الآية " ١٧٧ " .

والصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم باحسان أحبوا الصدق ، والتزموه
ظاهرا وباطنا في اقوالهم وفي افعالهم ، ان الصدق يهدى الى البر ، والبر
يهدى الى الجنة ، والجنة اسمى الغايات ، والكذب وهو خلاف الصدق وضده
يهدى الى الفجور ، والفجور يهدى الى النار . (١)

ويقص القرآن الكريم خبر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم : كعب
ابن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وكيف ان الصدق انجاهم
وتاب الله عليهم فيقول عز وجل :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ
عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢)

ولنترك كعبا رضي الله عنه يتحدث عن ما حدث بعد تلك الغزوة .

يقول : " لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاهما
الا في غزوة تبوك ، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب احدا تخلف
عنها . . . ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها ، حتى
كانت تلك الغزوة (٣) غزاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل

- (١) وفي ذلك حديث صحيح رواه الامام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الصدق يهدى الى البر
وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا ، وان
الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب
حتى يكتب كذابا " صحيح مسلم بشرح النووي كتاب البر والصلة ، باب
قبح الكذب وحسن الصدق وفضله : ح ١٦ ص ١٥٩ .
(٢) سورة التوبة : الآية " ١١٨ " .
(٣) اى : غزوة تبوك .

سفرا بعيدا ، ومغازا (١) وعددا كثيرا ، فجلى (٢) للمسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب : فما رجـل يريد ان يتغيب الا ظن ان سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم ، فارجع ولم اقبض شيئا فأقول في نفسي : انا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم اقبض من جهازي شيئا . . . ثم قال فلم يزل بي حتى اسرعوا وتفارط (٣) الغزو ، وهمت ان ارتحل فادر كهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك . . . ثم قال : فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا (٤) حضرنى هـي وطفقت اتذكر الكذب واقول : بماذا اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من اهلي فلما قيل ان رسول الله قد أظـل (٥) قادما زاح عني الباطل ، وعرفت اني لسن اخرج منه ابدا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه . . . وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال : تعال ، فجئت امشي حتى

-
- (١) المغازة : المنجاة . والمهلكة . والغلاة لاما بها . ترتيب القاموس المحيط : ح ٣ ص ٥٣٤ . مادة (ف / و / ز) .
- (٢) جلى : اظهر . ترتيب القاموس المحيط : ح ١ ص ٥٢٤ مادة (ج / ل / ي)
- (٣) تفارط : سبق وتقدم ، ترتيب القاموس المحيط : ح ٣ ص ٤٧٤ ، مادة : (ف / ر / ط)
- (٤) قافلا : راجعا . ترتيب القاموس المحيط : ح ٣ ص ٦٦٩ مادة (ق / ف / ل)
- (٥) اظـل : دنا واقبل : المعجم الوسيط : ح ٢ ص ٥٧٦ .

جلست بين يديه فقال لي : ما خلفك الم تكن قد ابتمعت ظهرك ؟ قلت : بلى
اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت ان سأخرج من سخطه بعذر
ولقد اعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك حديث كذب ترضى به عني
ليوشكن الله ان يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه
اني لارجو فيه عفو الله لا والله ما كان لي من عذر ، والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني
حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما هذا فقد صدق ، فقم
حتى يقضي الله فيك فممت . . فكنت اخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين واطوف في
الاسواق ولا يكلمني احد . . حتى اذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى
تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس اليّ فسلمت عليه فوالله ما ردّ
عليّ السلام ، فقلت : يا ابا قتادة : انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله ،
فسكت فعدت له فنشدته . فقال : الله ورسوله اعلم ، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت
الجدار . . ثم قال : فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وانا على ظهر بيت من
بيوتنا ، فبينما انا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ
الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع (١) بأعلى صوته ياكعب بن
مالك ابشر قال : فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبي
مبشرون . . . وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجا
فوجا يهنؤني بالتوبة فدخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
حوله الناس . . فقال وهو يهرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك
امك . قال : قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله . قال : لا بل من
عند الله فقلت يا رسول الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي

(١) جبل سلع : جبل بسوق المدينة : وقيل موضع بقرب المدينة .

ان لا يحدث الا صدقا ما بقيت ، فوالله ما اعلم احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني ما تعدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقيت . . . * (١)

فكعب رضي الله عنه وصاحبا فرج الله تعالى عنهم بسبب صدقهم وكانت عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم .

فالصدق ليس خلقا فاضلا يجب التخلق به لا غير بل هو من مميزات الايمان ومكملات الاسلام ان امر الله تعالى به واثني على المتصفين به قال تعالى في الامر به .

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * (٢)

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - وهو احد علماء التفسير في القرن الاول الهجري - يقول : " الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرءوا ان شئتم :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ * (٣)

فهل تجدون لاحد فيه رخصة ؟

وقال الحسن البصري : - وهو رجل ثاني من علماء التفسير في القرن

الاول الهجري - : ان اردت ان تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن اهل الطلعة . (٤)

(١) صحيح البخارى كتاب المغازى : باب غزوة تبوك : ح ٦ ص ٣٠ .

(٢) سورة التوبة : الآية " ١١٩ " .

(٣) سورة التوبة : الآية " ١١٩ " .

(٤) تفسير ابن كثير : ح ٢ ص ٣٩٩ .

وقال تعالى في الثناء على اهله :

* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ * (١)

قال انس رضي الله عنه في هذه الآية : - وأنس رجل ثالث من رجال

التفسير في القرن الاول - نرى هذه الآية نزلت في انس بن النضر رضي الله عنه (٢)

لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال : اول مشهد

شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن أراني الله تعالى مشهدا فيما

بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما اصنع. قال : فهاب

ان يقول غيرها فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاستقبل سعد

ابن معاذ رضي الله عنه فقال له انس بن النضر - رضي الله عنه - يا ابا عمر وايمن

واها (٣) لريح الجنة اني اجده دون أحد فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه ، قال

فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقالت اخته الربيع ابنة النضر

فما عرفت اخي الا ببنايه قال : فنزلت هذه الآية :

* مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ . . . * (٤)

قال : فكانوا يرون انها نزلت فيه ، وفي اصحابه رضي الله عنهم . (٥)

فانس بن النضر واصحابه رضي الله عنهم عاهدوا الله على قتال اعداء الله

واعداة المسلمين والتزموا الصدق في عهدهم فاستشهد انس بن النضر رضي الله

عنه وفي جسده بضع وثمانون ضربة وطعنة ورمية.

(١) سورة الاحزاب : الآية " ٢٣ " .

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير باب (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ

وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) ح ٦ ص ١٤٦ .

(٣) واها : كلمة تعجب من طيب كل شي . وتأتي للتلف .

المعجم الوسيط : ح ٢ ص ١٠٦١ .

(٤) سورة الاحزاب : الآية " ٢٣ " .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الامارة باب ثبوت الجنة للشهيد : ح ١٣ ص ٤٧

ولم يقتصر الامر في قول الصدق والالتزام به على الصحابة رضي الله عنهم

بل نجد من التابعين من لا يخاف في الحق لومة لائم .

وتحكي كتب التراجم ما حدث بين سعيد بن جبير - رحمه الله - وبين

الحجاج بن يوسف الثقفي ، فكان الحجاج يقول له : ألم افعل بك ؟ ألم افعل

بك ؟ فيقول : بلى . قال : فما حملك على ما صنعت من خروجك علينا ؟ قال :

بيعة كانت عليّ ، فغضب الحجاج وصرق بيديه وقال : فبيعة امير المؤمنين كانت

اسبق واولى ، وامر به فصرقت عنقه . (١)

فالتزم - رحمه الله - الصدق في موطن الهلكة .

وهناك كثير من الأمثلة على التزام الصحابة والتابعين لقول الصدق والعمل

به وان كلفهم ذلك حياتهم وفي هذا القدر كفاية .

(١) تهذيب التهذيب : ج ٤ ص ١٣٠ .

المبحث الثالث

المصبر

الصبر

الصبر لفظة :

اصل الصبر : الحبس والتمنع وكل من حبس شيئاً فقد صبره ، ومنه

قوله تعالى :

* وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْقَدَاةِ وَالْعَشِيِّ * (١)

والصبر : نقيض الجزع ومنه قوله تعالى على لسان اهل النار :

* سَوَاءٌ عَلِمْنَا أَوْ جَزَعْنَا أَهْمٌ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ * (٢)

يقال : صبر الرجل يصبر صبراً فهو صابر وصبار وصبير كأصبر وصبور ،

والانثى صبور ايضاً بغير هاء . والجمع صبر . (٣)

حقيقة الصبر :

حقيقة الصبر تكمن في بيان معناه الشرعي فالصبر شرعاً : حبس النفس

عن الجزع وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش . (٤)

وهذا يصدق اذا حبس العبد نفسه مع الايمان واركانه الستة —

ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

(١) سورة الكهف : الآية " ٢٨ " .

(٢) سورة ابراهيم : الآية " ٢١ " .

(٣) تاج العروس : ج ٣ ص ٣٢٣ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم : ج ٢ ص ١٥٦ .

يقول الغزالي :

الصبر هو عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم في قمع الشهوات وقهرها يمكن ان نسميها باعشا دينيا ، ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى ، وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ، باعث الدين مويد بالملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، وباعث الهوى مويد بالشياطين الناصرين لاعداء الله . . فان ثبت باعث الدين حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة ، فقد نصر حزب الله والتحقق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين " (١)

ومن تعريفات الصبر ايضا :

التباعد من المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واطهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة . " (٢)

وهذا التعريف غير شامل حيث انه تضمن قسمين من اقسام الصبر .

القسم الاول : هو الثبات مع الله ، والقسم الثاني : هو تلقي البلاء بالرحب والدعة . (٣)

ويمكن ان يكون هذا التعريف شاملا لاقسام الصبر اذا اعتبرنا أن الثبات

مع الله يعني الصبر على طاعته والصبر عن معصيته .

(١) احياء علوم الدين : ح ٤ ص ٦٢ بتصرف .

(٢) مدارج السالكين : ح ٢ ص ١٥٨ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

وقال علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - :

الصبر مطية لا تكبو (١) ، فكأن الصبر مطية

العبد التي تسير في الطريق الحق دون تعثر مادام متمكنا من زمامها محسنا
توجيهها .

ما سبق نرى ان الاقوال اختلفت في تعريف الصبر وبيان ماهيته
لأن دائرته واسعة ومجالاته متعددة ، ويمكن ان نخرج منها بتعريف قد يقارب
الصواب - وان كان تعريف الغزالي اصوب - وهو :

ان الصبر خلق فاضل من الاخلاق الاسلامية الواجب التحلي به يقدم به
المرء على فعل الجميل ويمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يليق به كسلم وغرضه
من ذلك ابتغاء مرضاة الله ، قال تعالى :

* وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ * (٢)

والصبر فضيلة يحتاج اليها في الدين والدنيا فهو النور العاصم من
الزلل اذا ترادفت الازمات والضائق وقد كان ابتلاء الصحابة رضوان الله عليهم
ومن بعدهم التابعون - رحمهم الله - امرا لا محيص عنه حتى يتأهبوا للنوازل
المتوقعة وغير المتوقعة قال تعالى :

* وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ الْخَائِرِكُمْ * (٣)

والصبر من مقومات الرجولة الناضجة ومن ثم كان نصيبهم من العناء ،
والشدائد كبيرا ومن هنا وصى الرسول صلى الله عليه وسلم المبتلين بالمصائب
مواساة تخفف الآلام ، وتطمئن البال فقال عليه الصلاة والسلام :

(١) مدارج السالكين : ج ٢ ص ١٥٨ .

(٢) سورة الرعد : الآية " ٢٢ " .

(٣) سورة محمد : الآية " ٣١ " .

* مثل المؤمن كمثل خامة (١) الزرع يفي* (٢) ورقه من حيسث
انتها الريح تكفئها (٣) فاذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء* ،
ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها (٤) الله اذا شاء* (٥)

انواع الصبر :

الصبر انواع ، صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على

النوازل .

يقول الامام الغزالي : اعلم ان الصبر ضربان :

أحدهما :

ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والشبات عليها وهو اما بالفعل

كتعاطي الاعمال الشاقة ، واما من العبادات وغيرها ، واما بالاحتمال كالصبر

على الضرب الشديد ، والمرض العظيم ، والجراحات الهائلة*
والاخر: الصبر النفسي عن مشتبهيات الطبع ومقتضيات الهوى . (٦)

فأما الصبر على الطاعة والقيام بحق العبود يظله عز وجل فقد جاء فيه قوله تعالى :

* رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَاتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ

سَمِيًّا * (٧)

(١) الخامة : الرطبة من النبات والزرع ، معجم مقاييس اللغة : ح ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) يفي* : يتحرك . النهاية في غريب الحديث والاشتر : ح ٣ ص ٤٨٣ .

(٣) تكفئها : تميلها ، يقال : اكفأت الشيء* ، اذا أملتة .

معجم مقاييس اللغة : ح ٥ ص ١٨٩ .

(٤) يقصمها : يكسرها . ترتيب القاموس المحيط : ح ٣ ص ٦٣٦ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (إِنَّمَا قَوْلُنَا

لِشَيْءٍ إِنْ شَاءَ رَبُّنَا) : ح ٩ ص ١٦٨ .

(٦) احياء علوم الدين : ح ٤ ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٧) سورة مريم : الآية " ٦٥ " .

ولقد كان بلال بن رباح رضي الله عنه يعذب بالضرب والجوع والعطش
وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر لينطق بكلمة الشرك ولكنه كان صادق الاسلام
طاهر القلب ، وكان امية بن خلف اذا حميت الظهرية يطرحه على ظهره فسي
بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له : لاتزال
هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو في ذلك
البلاء : أحد احد . (١)

ايضا نجد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجهر بقراءة القرآن الكريم
رافعا به صوته عند المقام وقريش في انديتها فجعلوا يقولون : ماذا قال
ابن ام عبد ؟ ثم قالوا : انه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا اليه فجعلوا
يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ ، ثم انصرف الى اصحابه وقد اثروا في وجهه ،
فقال له اصحابه : هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ما كان اعداء الله اهلون
عليّ منهم الآن ، ولئن شئتم لا غادينهم (٢) بمثلها غدا ، قالوا : لا ، حسبك
قد اسمعتهم ما يكرهون . (٣)

فطاعته عز وجل والقيام بواجب عبوديته أمر شاق وصعب على النفس ولكن
هو لاء الصحابة وغيرهم تغلبوا على انفسهم واطاعوه حق الطاعة .

== ونلاحظ في هذه الآية الكريمة ان القرآن استخدم صيغة (اصطبر)
بدلا من اصبر وما ذاك الا ان الطريق الى طاعته سبحانه وتعالى مليء
بالصعوبات .

- (١) السيرة النبوية لابن هشام : ح ١ ص ٣٣٩ .
- (٢) غداة : باكره . المعجم الوسيط : ح ٢ ص ٦٤٦ .
- (٣) السيرة النبوية لابن هشام : ح ١ ص ٣٣٦ .

الصبر على النوازل :

لقد ارشد الاسلام الى التحلي بفضيلة الصبر على ما يصيب المرء في نفسه او ماله او اهله ووجه المسلمين الى الرضى بقضاء الله وقدره ، فحكمة الابتلاء في الحياة الدنيا قد تكون بالمكارة ، فعلى الناس ان يحتموا بالله ويلجأوا اليه حتى يقل حد الحوادث . قال تعالى :

* وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَاتِ
وَيَشْرِ الصَّابِرِينَ * (١)

اوضح هذا النص الكريم ان المصائب المولمة في النفس ، او في الاجسام ، او في الاموال ، او في الشرات ، قد تكون نوعا من الامتحان في الحياة الدنيا .

وعلى هذا فكل شيء ترتبط به وندعي لانفسنا حقا فيه ، كان رباط الله به اوثق وحقه تعالى فيه اسبق .

عن عبيدة بن عبد الرحمن عن ابيه ان ابن عباس نعى اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحنى عن الطريق فاناخ (٢) ف صلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشى الى راحلته وهو يقول :

* وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * (٣)

فاستعان ابن عباس رضي الله عنهما بالصبر والصلاة على فقد اخيه .

- (١) سورة البقرة : الآية " ١٥٥ " .
(٢) اناخ بالمكان : اقام . ويقال : اناخ به البلاء والذل : حل به
ولزمه . واناخ الجمال : ابركه . المعجم الوسيط : ح ٢ ص ٩٦١ .
(٣) سورة البقرة : الآية " ٤٥ " ، تفسير ابن كثير : ح ١ ص ٨٧ .

ومثال آخر في هذا الشأن يرويه القاسم بن محمد قال : * هلكت امرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها ، فقال : انه كان في بني اسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد وكانت له امرأة وكان بها معجبا فماتت ، فوجد (١) عليها وجدا شديدا حتى دخل في بيت واغلق على نفسه واحتجب . فلم يكن يدخل عليه احد ، فسمعت به امرأة من بني اسرائيل ، فجاءته فقالت ان لي اليه حاجة استفتيه فيها ليس يجزيني (٢) الا ان اشافه بها ، ولزمت بابه فأخبر بها ، فأذن لها فقالت : استفتيك في امر ، قال : وما هو؟ قلت : اني استعرت من جارة لي حليا فكنت البسه زمانا . ثم انها ارسلت تطلبه فأرده اليها ؟ قال : نعم والله ، قالت : انه قد مكث عندي زمانا ! فقال : ذاك احق لردك اياه ! فقالت : يرحمك الله افتأسف على ما اعارك الله ثم أخذه منك وهو احق به منك فأبصر ما كان فيه . ونفعه الله بقولها . (٣)

وفي هذا المثال نجد محمد بن كعب القرظي - رحمه الله - يسوق هذه القصة التي حدثت في بني اسرائيل في معرض التواصي بالصبر امثالاً لقوله عز وجل :

* وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ * (٤)

-
- (١) الوجد : الحزن . ترتيب القاموس المحيط : مادة : (و ج د) ح ٤ ص ٥٧٥ .
(٢) يجزيني : يفنيني . ترتيب القاموس المحيط مادة (ج ز أ) ح ١ ص ٤٨٥ .
(٣) الموطأ : كتاب الجنائز ، باب جامع الحسبه في المصيبة : ح ١ ص ٢٣٧ .
(٤) سورة العصر : الآية " ٣ " .

الصبر عن المعاصي :

مهما تاقت النفس الى فعل المغريات فلا يسمح لها باقترابها ،
ولا يوازن لها في فعلها ، فحبس النفس دون معاصي الله عز وجل والاقدام على
المكارة ، والفرار من الشهوات لا يتأتى الا لصبور ، والصبر سبب دخول الجنة ،
وسبب النجاة من النار ، لذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه
أنس بن مالك - رضي الله عنه - : * حفت الجنة بالمكارة وحفت النار
بالشهوة * (١)

فكان صبر الصحابة رضوان الله عليهم عظيما وهم يجاهدون في سبيل الله
وفي سبيل الحق واضعين الجنة ونعيمها نصب اعينهم فهان عليهم الجود
بأرواحهم .

عن أنس رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عيننا
ينظر ما فعلت عبر ابي سفيان . . وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه
حتى سبقوا المشركين الى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : * لا يتقدم من احد منكم الى شيء حتى اكون انا أوذنه فدنا
المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى جنة عرضها السموات
والارض قال : يقول عمير بن الحمام الانصاري يا رسول الله جنة عرضها
السموات والارض ، قال : نعم ، فقال : بخ بخ (٢) فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما يحطك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يا رسول الله
الا رجاء ان اكون من اهلها ، قال : فانك من اهلها ، قال : فأخرج

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها :

ح ١٢ ص ١٦٥ .

(٢) بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء او المدح او الفخر

المعجم الوسيط : ح ١ ص ٤٠ .

تمرات من قرنه (١) فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل
تمراتي هذه انها لحياة طويلة قال : ثم رمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم
حتى قتل . (٢)

ومعد :

فالصبر ضرورة لكل انسان في الدين والدنيا ، ولقد أدرك الصحابة والتابعون
هذه الحقيقة فوعوها والتزموا بها فصبروا على الشدائد والازمات ونكبات الزمان
وصبروا عن مشتبهيات النفس ورغباتها وصبروا على طاعة الله عز وجل فجادوا بأنفسهم
فسي سبيل طاعته فرضي الله عن الصحابة ورحم الله التابعين .

(١) القرن هنا : الجعبة . النهاية في غريب الحديث والأثر :

ح ٤ ص ٥٥ . والجعبة : وعاء السهام والنبال .

المعجم الوسيط : ح ١ ص ١٢٤ .

(٢) مسند احمد : ح ٣ ص ١٣٦ .

وصحيح مسلم بشرح النووي : كتاب الامارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد :

ح ١٣ ص ٤٤ .

الباب الثالث

الأنبياء في تفسير القرآن

الفصل الأول : شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين

الفصل الثاني : بين التفسير في القرن الأول وما جاء بعده

الفصل الأول

شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين

شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين

يحتاج المفسر لكتاب الله عز وجل ، الى انواع من العلوم
والمعارف يجب ان تتوفر فيه ، حتى يكون أهلا للتفسير ، وقد ذكر
العلماء انواع العلوم والشروط التي يجب توفرها في المفسر ، فقالوا :
يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم هذه الشروط :

أولا - صحة الاعتقاد ولزوم السنه :

فان كان مغموصا (١) عليه في دينه لا يؤمن على الدنيا ،
فكيف يؤمن على الدين ؟ ولأنه لا يؤمن ان كان متبها بالاحاد ، ان
يبغي الفتنة ، ويغو الناس بليه وخداعه ، وان كان متبها بهوى لم
يؤمن أن يحمله هواه على ما يوافق بدعته .

ثانيا - صحة المقصد :

اي : يقصد بما يفعل ، التقرب الى الله تعالى دون شئ
آخر ، من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمده عند الناس ، او محبة أو مدح
من الخلق ، او معنى من المعاني سوى التقرب الى الله تعالى ، وذلك
ليلقى التسديد ، قال تعالى :

* وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا * (٢)

(١) مغموص عليه : مطعون في دينه : ترتيب القاموس المحيط :

ح ٣ ص ٤١٨ ، مادة (غ م ص) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية " ٦٩ " .

وانما يخلص له القصد اذا زهد في الدنيا ، لانه اذا رغب فيها لم يوهن أن يتوصل به الى غرض من اغراض الدنيا يصد عنه قصده ، ويفسد عليه صحة عمله ، " من مال أو رياسة او وجاهة أو ارتفاع عن اقرانه ، أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس اليه او نحو ذلك " . (١)

ثالثا -

أن يكون اعتماد على النقل الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومن عاصرهم ويتجنب المحدثات .

رابعا -

ان يكون جيد العزيمة ، ذكي الفهم ، قوى الفكرة ، فان الهلبد قد يتقاعد عن فهم ما يبين له فكيف يستنبط ما لم يبين له . (٢)

خامسا -

ان يكون عالما بأهواء السر من الاخلاص ، والتوكل ، والتفويض ، والاذكار الباطنة التي افترضها الله تعالى على عباده ، وبالالهام والوسوسة ، وما يصلح الاعمال وما يفسدها وبآفات الدنيا ومعائب النفس ، وسبب التوقي من فسادها ، ليتأتى له تفسير الآيات المنتظمة لهذه المعاني . (٣)

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ، النووى : ص ١٥ ، ط : دار المعرفة .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ، مقدمة كتاب المباني ، ص ١٧٤ ، ط : ١٩٧٢ م .

(٣) المرجع السابق نفسه .

سادسا :

ان يكون جامعا للمعلوم التي يحتاجها المفسر وهي :

أولا - اللغة وما يتعلق بها من نحو وصرف واشتقاق :

لأن بها يعرف شرح مفردات الالفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع،

يقول القرطبي :

• هل باستطاعة احد ان يفسر قوله تعالى في سورة البقرة ،

الآية " ٢٢٦ " : * لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ

فَإِنْ فَأَوْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * بدون ان يعرف المعنى اللغوي

للايلاء والتربص والفي . "

وقال الامام مالك :

• لا اوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله الا جعلته

نكالا . "

وقال مجاهد :

• لا يحل لاحد يومن بالله واليوم الآخر ان يتكلم في كتاب الله ،

اذا لم يكن عالما بلغات العرب " (١)

أ - علم النحو :

وعلم النحو ضروري للمفسر لأن المعنى يتغير بتغيير

الحركات تغيرا كثيرا فمثلا قوله تعالى في سورة فاطر : الآية " ٢٨ " :

* إِنَّا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ * .

(١) تفسير القرطبي : ج ١ ص ٣٣ .

ينصب هاء الجلالة ، ورفع همزة العلماء والمعنى صحيح ، لأن
معنى الآية : الذين يخشون الله عز وجل من عباده العلماء دون غيرهم
فمن ازداد طمأ باله ، ازداد منه خوفاً ، ولو عكس فضع هاء الجلالة
ونصب همزة العلماء لفسد المعنى - والله اعلم - .

ب - علم الصرف :

ومعرفة علم الصرف ضرورة أيضاً للمفسر حتى لا يخطب الانسان
خطب عشواً .

قال الزمخشري :

" من بدع التفاسير قول من قال ان الامام في قوله تعالى :

* يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ اُنَاسٍ بِاِمَامِهِمْ * (١)

جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم " (٢) دون

آبائهم . وهذا غلط فاحش او جبه جهل القائل بالتصريف فان

اما لا تجمع على امام والحق يقال ان الزمخشري كان على حق حينما وصف

هذا القول بأنه من بدع التفاسير لانه خطأ بين فان اما لا تجمع على

امام وانما تجمع على امهات .

ج - الاشتقاق :

سهم ايضاً ، لأن الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف

باختلافهما كال المسيح مثلا هل هو من السياحة او من المسح .

(١) سورة الاسراء : الآية " ٧١ " .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل :

د - علوم المعاني والبيان والبديع :

وهذه العلوم ضرورية لمن اراد تفسير الكتاب العزيز ؛ لانه لا بد من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز وذلك لا يدرك الا بهذه العلوم ، فمثلا قوله تعالى :

* وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ * (١)

اي : اشربوا حب العجل فهو على حذف مضاف ومثله ، قوله تعالى : * وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ * (٢) ، والمراد : واسأل أهل القرية .

وفي القرآن الكريم أمثلة على الاستعارة والكناية والمجاز ، ولا بد في فهمها من معرفة علم البيان والبديع مثل قوله تعالى :

* تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا * (٣) ، عن سفينة نوح عليه السلام ، أي : بحفظنا ورعايتنا ، وقوله تعالى : * قَدَّمَ صِدْقِي * (٤) ، و * جَنَاحَ الدُّلِّ * (٥) .

كل ذلك واشباهه يحتاج الى فهم علوم البلاغة واسرار البيان .

-
- (١) سورة البقرة : الآية " ٩٣ " .
 - (٢) سورة يوسف : الآية " ٨٢ " .
 - (٣) سورة القمر : الآية " ١٤ " .
 - (٤) سورة يونس : الآية " ٢ " .
 - (٥) سورة الاسراء : الآية " ٢٤ " .

ثانيا - علم القراءات :

لان به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، والقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

ثالثا - علم اصول الدين :

وبه يتمكن المفسر لآيات القرآن الكريم أن يستدل على ما يجب في حقه عز وجل ، وما يجوز ، وما يستحيل ، وان ينظر في الآيات المتعلقة بالالهيات والسمعيات ، والنبوات ، والمعاد ، وما شابه ذلك .

رابعا - اصول الفقه :

لا بد من معرفة قواعد اصول الفقه ؛ فانه من اعظم الطرق فسي استثمار الاحكام من الآيات . (١)

خامسا -

أسباب النزول والقصص ان بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه ، فيستعين بمعرفة سبب النزول على فهم المراد من الآية . اما معرفة قصص القرآن الكريم فتعين على توضيح ما اجمل منها في القرآن الكريم .

سادسا - الناسخ والمنسوخ :

ليعلم المحكم من غيره .

(١) البرهان في علوم القرآن : ٢ - ص ٦ .

سابعاً -

ان يكون عالماً بأحكام الشريعة من العبادات ، والمعاملات ،
والسنن الواردة فيها ليضع الآيات التي تنتظم هذه الأحكام مواضعها (١)

ثامناً -

الأحاديث السنية لتفسير المجمل والمبهم ، للاستعانة بها في
توضيح ما يشكك عليه .

تاسعاً - علم الموهبة :

وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ويفتح قلبه لفهم
اسراره واليه الاشارة بقوله تعالى : * وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُ اللَّهُ * (٢)
فهو شجرة التقوى والاخلاص ولا ينال هذا العلم من كان في قلبه
بدعة أو كبر أو حجب للدنيا ، قال تعالى :

* مَا أَصْرَفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ * (٣)

قال الامام السيوطي في - الاتقان - بعد ان عد علم الموهبة
من العلوم التي لا بد منها للمفسر :

" ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول : هذا شيء ليس في

قدرة الانسان وليس كما ظننت من الأشكال والطريق في تحصيله ارتكاب
الأسباب الموجبة له من العطل والزهد .

(١) مقدمتان في علوم القرآن ، مقدمة كتاب الهباني : ص ١٧٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٢٨٢ " .

(٣) سورة الاعراف : الآية " ١٤٦ " .

قال الزركشي في - البرهان - :

" واعلم انه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر لـه اسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو هو مصر على ذنب أو غير متحقق أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع الى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض " .

قال السيوطي : " وفي هذا المعنى قوله تعالى :

* مَا صُرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ * (١)

قال سفيان بن عيينه :

" يقول : انزع عنهم فهم القرآن " . أخرجه

ابن ابي حاتم . (٢)

هذه هي الشروط التي اعتبرها العلماء فيمن يفسر كتاب الله ، وان كان بعض العلماء قد ذكر بعض هذه الشروط ولم يذكر البعض الآخر ، ومنهم من ادمجها حتى كانت اقل عددا ما ذكرنا ، وليس ما اثبتناه في هذا الفصل حصرا لجميع العلوم التي يحتاجها المفسر ، فعلم القرآن الكريم بحر لا ساحل له اشتمل على علوم ومعارف كثيرة .

قال ابن ابي الدنيا :

" فهذه العلوم التي هي كالكلمة للمفسر لا يكون مفسرا

الا بتحصيلها ، فمن فسردونها كان مفسرا بالرأى المنهبي عنه ، وانا فسر

(١) سورة الاعراف : الآية " ١٤٦ " .

(٢) الاتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٣٢ .

مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأى المنهبي عنه ، قال والصحابة والتابعون
كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكْتساب واستفادوا العلوم الأخرى
من النبي صلى الله عليه وسلم . (١)
وأرى تنميها للفائدة ان أخص مقالة الشيخ محمد رشيد رضا التي
اقتبسها من دروس شيخه محمد عبده وذكرها في مقدمة تفسيره وهي تلقي
الضوء على ما تقدم .

قسم المرحوم الشيخ : محمد عبده التفسير الى مرتبتين :

(١) مرتبة عليا .

(٢) ومرتبة دنيا .

أما المرتبة العليا فهي لا تتم الا بأمر :

أحدها :

فهم حقائق الالفاظ المفردة التي اودعها القرآن ، بحيث يحقق
المفسر ذلك عن طريق استعمال اللغة ، فان كثيرا من الالفاظ كانت
تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بهزمن
قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ التأويل اشتهر بمعنى التفسير مطلقا
او على وجه مخصوص ، ولكنه جاء في القرآن بمعان أخرى .

ثانيها :

معرفة الأساليب الرفيعة ، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ

ومزاولته ، مع التفطن لنكته ومحاسنه .

(١) انظر في هذا الفصل : الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي :

ثالثها :

علم احوال البشر ، ومعرفة السنن الالهية الكونية في تطور الامم واختلاف احوالهم ، من قوة وضعف ، وعز وذل ، وايمان وكفر .

رابعها :

العلم بوجه هداية القرآن للبشرية ، وماكان عليه العرب فسي الجاهلية من شقاء وضلال ، فقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال :
" لا يعرف فضل الاسلام من لم يقرأ حياة الجاهلية " .

خامسها :

العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وماكانوا عليه من علم وعمل ، في الشئون الدينية والدينية .

المرتبة الدنيا :

واما ادنى مراتب التفسير: فهو أن يتبين بالاجمال مايشرب قلبه عظمة الله وتنزيهه ويصرف النفس عن الشر ، ويجذبها الى الخير وهذه ميسرة لكل احد كما قال تعالى في سورة القمر : الآية " ٢٢ " :
* وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * (١)

(١) انظر تفسير المنار : ج ١ ص ١٩ ، ٢٠٠ .

وهذه الشروط التي ذكرها العلماء انما هي لتحصيل اعلى مراتب التفسير ، وهناك معان عامة يفهمها المرء عند سماع اللفظ الكريم فقد سهل عزّ وجل القرآن الكريم ويسره ، وأمر بالتدبر والتذكر لكتابه الكريم ، وكان الصحابة والتابعون الذين حطوا مشاعل تفسير القرآن الكريم ونشروه بين الناس ، في أعلا درجات العلم بالقرآن ، وقد وهبوا بالفطرة هذه المبادئ الضرورية ، وقد علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخلاقه وافعاله وأقواله واحواله وتقاريراته علوما فوق ما ذكرت ، كانوا بها قادة للمفسرين ، وصارت علومهم هدى للناس أجمعين .

الفصل الثاني

بين التفسير في القرن الأول وما جاء بعده

بين التفسير في القرن الاول وما جاء بعده

اعتمد الصحابة رضوان الله عليهم في تفسيرهم للقرآن الكريم في هذا
العصر - اعني القرن الأول الهجري - على عدة مصادر ، اهمها :

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .
- (٣) الاجتهاد وقوة الاستنباط .

واليك توضيحا لكل مصدر من هذه المصادر :

أولا - القرآن الكريم :

ويعتبر اهم مصدر من مصادر التفسير لانه المصدر الاول من مصادر الاسلام ،
لذا اجمعت الأمة سلفا وخلفا على ان اصح طرق التفسير ان يفسر القرآن بالقرآن
كما ذكر ذلك الشيخ ابن تيمية (١) وغيره .

ومن المعلوم ان القرآن الكريم تناول ضروبا متنوعة من البلاغة والبيان والمعاني
فهو يشتمل على الایجاز والاطناب ، والجمال والتبيين ، والاطلاق والتقييد ،
والعموم والخصوص ، فكل هذا يحتاج الى بسط وبيان ولا يمكن معرفة ذلك
الا بالرجوع الى القرآن الذي يكشف عن المراد .

فمثال الأول :

قصة آدم وابليس ، وقصة موسى وفرعون . جاءتا موجزتين في بعض المواضع
مفصلتين في مواضع اخرى .

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ج١٣ ص ٣٦٣ .

ومثال الثاني :

قوله تعالى في سورة البقرة :

* فَتَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ * (١)

فالكلمات هنا وردت مجملة بينها قوله تعالى :

* قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * (٢)

فحمل المجل على المبين وفسر به .

ومثال الثالث :

قوله تعالى : * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ * (٣)

فالدّم جاء مطلقا هنا قيد بالدم المسفوح في قوله عز وجل :

* إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا * (٤)

فحمل المطلق على المقيد هنا .

ومثال الرابع :

نفي الخلة والشفاعة على جهة العموم في قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ

وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ * (٥)

وقد استثنى عز وجل المتقين من نفي الخلة في قوله تعالى :

* الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ * (٦)

(١) الآية : " ٣٧ " .

(٢) سورة الاعراف : الآية " ٢٣ " .

(٣) سورة المائدة : الآية " ٣ " .

(٤) سورة الانعام : الآية " ١٤٥ " .

(٥) سورة البقرة : الآية " ٢٥٤ " .

(٦) سورة الزخرف : الآية " ٦٧ " .

واستثنى ما اذن فيه من الشفاعة بقوله تعالى :

* وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ

يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى * (١)

فحمل العام هنا على الخاص ، وكذا الحال في جميع ما يتوهم انه مختلف او غامض ، ومثل هذا حمل قراءة صحيحة على اخرى فاختلفت القراءات يساعد على التفسير ويوضحه وهكذا .

ثانيا - النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

وهو المصدر الثاني للتفسير بعد القرآن الكريم ويعد مصدرا مهما فسي تأسيس العلم ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ما خفي عنهم من مسائل وقضايا وكان يفسرها لهم ، ويجيبهم عليها امتثالا لقوله عز وجل :

* وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ * وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * (٢)

ولقد ادرك السلف اهمية النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسي تفسير القرآن الكريم لما رواه الازاعي عن حسان بن عطية انه قال : " كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك " (٣) وعن مكحول قال : " القران أحوج الى السنة من السنة الى القرآن " (٤)

(١) سورة النجم : الآية " ٢٦ " ، راجع تفسير روح المعاني : ح ٢٥٥ ص ٩٧

و : ح ٢٧ ص ٢٩ .

(٢) سورة النحل : الآية " ٤٤ " .

(٣) تفسير القرطبي : ح ١ ص ٣٩ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

وقد اشتملت كتب السنة على كثير من التفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن اقواله في التفسير ما اخرجه الترمذى وغيره عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

* حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى * (١)

قال : " الصلاة الوسطى صلاة العصر " (٢)

ومثل ماورد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال : " سألت

رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر - في قوله تعالى :

* وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ * (٣)

قال : يوم النحر (٤) .

فالاتتماد على هذا المصدر اصل ثابت من اصول الاسلام ، الذى اقـره العلماء واجمعت عليه الأمة ، والا فكيف يفهم هذا الدين من غير بيان عن مراد الله من بعثه الله نبيا ورسولا ؟

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٣٨ " .

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : ح ٨ ص ٣٢٨

وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سورة التوبة : الآية : " ٣ " .

(٤) تحفة الاحوذى ، كتاب التفسير : ح ٨ ص ٤٨٤ ، وقد روى هذا

الحديث باسنادين : الاول عن محمد بن اسحاق عن ابي اسحاق عن

الحارث عن علي . والثاني : عن سفيان عن ابي اسحاق عن الحارث

عن علي ، وقال الترمذى : هذا الاسناد اصح من حديث محمد بن اسحاق

لانه روى من غير وجه عن ابي اسحاق عن الحارث عن علي موقوفا ولا نعلم

احدا رفعه الا ماروى عن محمد بن اسحاق .

قال الزركشي : وهذا هو الطراز الاول - اى بعد القرآن - لكن
يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فانه كثير . قال احمد بن حنبل : " ثلاث
كتب ليس لها أصل : " المفازي والملاحم والتفسير " ، قال المحققون
من اصحابه : و مراده ان الغالب انها ليس لها اسانيد صحاح متصلة ، والا فقد
صح من ذلك كثير كتفسيره الظلم بالشرك في قوله تعالى :

* الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ * (١)

وتفسير " الحساب اليسير " بالعرض (٢) ، وتفسير " القوة "

في قوله تعالى :

* وَاعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ * (٣) بالرمي (٤) .

(١) سورة الانعام : الآية " ٨٢ " ، تحفة الاحوذى ، كتاب التفسير ، سورة الانعام :

ج ٨ ص ٤٤٠ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) جاء ذلك عند تفسير قوله تعالى من سورة الانشقاق الآيتان : " ٧ ، ٨ " * فَأَمَّا

مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا * تحفة الاحوذى بشرح

جامع الترمذى ، كتاب التفسير : ج ٩ ص ٢٥٦ ، وقال الترمذى :

هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سورة الانفال : الآية " ٦٠ " .

(٤) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : ج ٨ ص ٤٧٣ .

وصحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الامارة ، باب فضل الرمي والحث عليه . .

ج ١٣ ص ٦٤ . وانظر البرهان في علوم القرآن : ج ٢ ص ١٥٦ .

ثالثا - الاجتهاد وقوة الاستنباط :

كان الصحابة رضوان الله عليهم اذا لم يجدوا تفسير الآية في القرآن ولم يتيسر لهم اخذها او فهمها من الرسول صلى الله عليه وسلم ، لجأوا الى اجتهادهم وسديد رأيهم وذلك بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى والذي يبدي وانه لم يبين لهم كل معاني القرآن الكريم ، ولو فسر لهم كل الآيات ، لما اختلفوا في تفسير بعضها ، ولو قفوا على النص الذي تركه لهم صلى الله عليه وسلم .

وقد اجتهد بعض الصحابة في تفسير القرآن الكريم ، فكان منهم المقل ومنهم المكثر في ذلك ، وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه من المقلين في تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد وضمن حدود ضيقة . ففي قوله تعالى من سورة النساء :

﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ﴾ (١)

فقد فسر رضي الله عنه الكلاله (٢) بقوله : " اقول فيها برأيسي ، فان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، الكلاله : من لا ولد له ولا والد " (٣)

ولما ولي عمر رضي الله عنه قال : اني لأستحي ان أخالف ابا بكر في رأى رآه : وهو قول جمهور السلف والخلف . (٤)

(١) الآية : " ١٧٦ " .

(٢) الكلاله : مشتقة من الاكليل ، وهو الذي يحيط بالرأس من جوانبه ، ترتيب القاموس المحيط : ح ٤ ص ٧٥ . والمراد هنا : من يرثه من حواشيه ، لا اصوله ولا فروعه .

(٣) تفسير الطهرى : ح ٨ ص ٥٣ .

(٤) تفسير ابن كثير : ح ١ ص ٤٦٠ .

ومن المكثرين الذين كان لهم النصيب الاوفر في التفسير بالاجتهاد ،
وسعه الافق فيه : عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذي وفق به بركة دعاء
النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " (١) وقد
كان له ذلك فعلا .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من اصحاب الاجتهاد .. في تفسير
الآيات القرآنية فقد فسر قوله تعالى من سورة الدخان :
* فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ . يَخْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ * (٢)

بقوله : انما كان هذا ، لان قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه
وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد ، حتى اكلوا العظام
فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ،
فأنزل الله تعالى : * فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ * .
قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : يا رسول الله ،
استسق لضر فانها قد هلكت . قال لضر : انك لجرى* ، فاستسقى .

فسقوا فنزلت * إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * (٣) فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى
حالهم حين اصابتهم الرفاهية ، فانزل الله : * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا
مُنْتَقِمُونَ * (٤) قال : يعني يوم بدر (٥)

(١) رواه احمد والطبراني بأسانيد وعند البزار والطبراني ، اللهم علمه تأويل القرآن

ولا حمد طريقان رجالهما رجال الصحيح . مجمع الزوائد : ح ٩ ص ٢٧٦ .

(٢) الايتان : " ١٠ ، ١١ "

(٣) سورة الدخان : الآية " ١٥ "

(٤) سورة الدخان : الآية " ١٦ "

(٥) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ١٣٨ ، وصحيح البخاري : كتاب التفسير ، باب

(رينا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) ح ٦ ص ١٦٤ .

ومعنى هذا ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرى ان الدخان - وهو علامة من علامات قرب الساعة - قد مضى وقد وافقه على ذلك مجاهد وابي العالبيه (١)

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يفسرون القرآن باجتهادهم ، دون تخرج ويمكن رد ذلك الى لغتهم ، ورغبتهم في فهم القرآن والاتعاظ به ، وحرصهم الشديد على تبليغ الامانة الى من بعدهم .

هل يمكن القول بأن الصحابة رضي الله عنهم استقوا تفسير القرآن الكريم من اليهود والنصارى ؟

تناول القرآن الكريم اخبار الامم السابقة بصورة مجملة وهذه المواضيع وردت مفصلة في التوراة والانجيل ، فيقال ان الصحابة رضوان الله عليهم اخذوا يسألون من اسلم من اهل الكتاب عن بعض ما اجمله القرآن الكريم في اخبار الامم السابقة ويمكن ان نقسم هذه الاخبار باعتبار حكم الاسلام فيها الى ثلاثة اقسام :

(١) ما وافق الشرع الاسلامي .

(٢) ما خالف الشرع الاسلامي .

(٣) ما سكت عنه الشرع الاسلامي .

فما جاء من الاخبار موافقا ما جاء به القرآن الكريم والسنة ، فهذا لا بأس بروايته ويمكن ان يستدل على جواز ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : " حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج " . (٢)

(١) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ١٣٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب احاديث الانبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل :

ح ٤ ص ٢٠٧ ، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ح ١٣ ص ٣٦٦ .

واما ما تصادم وخالف الشرع الاسلامي فيتعين على جميع المسلمين تكذيبه

ورده .

وما سكت عنه الشرع الاسلامي وجاء في اخبار اليهود والنصارى فالعلم به

لا ينفع والجهل به لا يضر .

اقول :

ان رجوع بعض الصحابة الى اهل الكتاب كان ضمن حدود ضيقة ، فكانوا

لا يأخذون عنهم كل ما يقال بل يمحصونه ويدققون فيه فما كان يتعارض مع العقيدة

فانهم يرفضونه ، وما كان مسكوتا عنه فانهم كانوا يتوقفون فيه ولا يحكمون عليه بصـدق

ولا كذب . مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" لاتصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم " (١) و * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ

وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا * (٢)

" بل بلغ بهم الأمر الى انهم كانوا اذا سألوا اهل الكتاب عن شيء فأجابوا

عنه خطأ ردا عليهم خطأهم ، وبينوا لهم وجه الصواب فيه ، فمن ذلك ما رواه البخارى

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال :

" فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه

اياه " (٣)

فقد اختلف السلف في تعيين هذه الساعة . وهل هي في جمعة واحدة

من السنة او في كل جمعة ؟

(١) صحيح البخارى ، كتاب الشهادات ، باب لا يسأل اهل الشرك عن الشهادة

وغيرها ح ٣ ص ٢٣٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٣٦ " .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في يوم الجمعة :

ح ٢ ص ١٦ .

فيسأل ابا هريرة رضي الله عنه كعب الاحبار عن ذلك فيقول كعب بأنها جمعة واحدة في السنة ، فيرد عليه ابو هريرة قوله هذا ويبين له انها في كل جمعة ، فيرجع كعب الى كتاب التوراة فيجد الصواب مع ابي هريرة فيرجع اليه. (١)

فمثل هذه المراجعة التي كانت بين ابي هريرة رضي الله عنه وكعب الاحبار تدل على ان الصحابة لم يقبلوا كل ما يقال لهم بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوا ، ويردون على اهل الكتاب اقوالهم ان كانت لاتوافق وجه الصواب. (٢) ومهما يكن فان الصحابة رضي الله عنهم لم يتجاوزوا ما حده لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من جواز التحديث عن اهل الكتاب بل كانوا يتحدثون في حدود ما فهموه من الاباحة في قوله صلى الله عليه وسلم : " حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج " (٣)

بالاضافة الى ان اخبار اهل الكتاب لم تنتشر كثيرا في عهد الصحابة بل كان ذلك في عهد التابعين واتباعهم.

التفسير في عصر التابعين :

التابعون هم الذين حملوا راية الدعوة بعد الصحابة رضي الله عنهم وقصد رأوهم وتعلمذوا عليهم ، وبدأ التفسير في عصرهم بعد انتهاء عصر الصحابة ، ولقد ظهر منهم ائمة علماء في هذا المجال ، وكان التفسير الغالب في هذا العصر هو التفسير بالمأثور ، لهذا نجد التابعين رحمهم الله - يحرصون على النصوص الواردة

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخارى ، كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في يوم

الجمعة : ح ٢ ص ٤١٦ .

(٢) التفسير والمفسرون : ح ١ ص ١٧١ .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب احاديث الانبياء ، باب ما ذكر عن بني اسرائيل :

ح ٤ ص ٢٠٧ ، راجع مجموع فتاوى ابن تيمية : ح ١٣ ص ٣٦٦ .

في التفسير للاعتماد عليها ، ويمكن القول ان مصادر التفسير في هذا العصر كانت :

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم التي رواها عنه الصحابة - رضوان الله عليهم .
- (٣) اقوال الصحابة .
- (٤) وما يفتح الله عز وجل به على التابعين من فهم وقوة في الاستنباط .

اقول توضيحا للمصدر الرابع :

ان بعض اعلام التابعين اشتهروا بالتفسير بالاجتهاد ، حيث قالوا برأيهم فيما لم يصلهم فيه شي * عن النبي صلى الله عليه وسلم او من الصحابة ومن ذلك ماروى عن بعض الصحابة والتابعين انهم فسروا قوله تعالى في سورة الصافات في صفة خمر الجنة :

* لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ * (١)

بقولهم : لا توثر فيهم غولا وهو وجع البطن .

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد .

وزاد قتادة في قول آخر : صداع الرأس .

وقال سعيد بن جبير : لا مكروه فيها ولا أذى .

ويرجح ابن كثير قول مجاهد فيقول : والصحيح قول مجاهد ، وهو وجع

البطن (٢) والحق أنها تحتل هذه المعاني جميعا . * لان الغول يطلق على كل

ما يأخذ الانسان من حيث لا يدري فيهلكه . (٣)

(١) الآية : " ٤٧ " .

(٢) تفسير ابن كثير : ح ٤ ص ٦ .

(٣) المعجم الوسيط ، ح ٢ ص ٦٦٧ .

قال ابو حيان : " . . . والاسم يشمل انواع الفساد الناشئة من شرب
الخمير فينتفي جميعها من مفسد وصداع وخمار (١) وعريدة (٢) ولغو وتأثيم
ونحو ذلك " (٣)

فهؤلاء من اعلام التابعين قد اجتهدوا برأيهم في آيات القرآن الكريم ،
وغيرهم كثير اجتهدوا في تأويل الآيات .

التفسير في عصر اتباع التابعين :

نشطت العلوم الاسلامية في هذا العصر لاسيما التفسير والحديث ، فألف
في تفسير القرآن الكريم ، شعبة بن الحجاج المتوفي سنة ١٦٠ هـ ، وسفيان الثوري
المتوفي سنة ١٦١ هـ ، ووكيح بن الجراح المتوفي سنة ١٩٧ هـ ، وسفيان بن
عيينة المتوفي سنة ١٩٧ هـ ، ويزيد بن هارون المتوفي سنة ٢٠٦ هـ ، وعبدالرزاق
الصنعاني المتوفي سنة ٢١١ هـ ، وسعيد بن منصور المتوفي سنة ٢٢٧ هـ ،
واسحاق بن راهويه المتوفي سنة ٢٣٨ هـ وعبد بن حميد المتوفي سنة ٢٤٩ هـ (٤) ،
وغيرهم ممن اسندوا رواياتهم الى الصحابة والتابعين ، وكان جمعهم للتفسير جمعا
لباب من ابواب الحديث ، ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال .

-
- (١) الخمار : بالكسر كالخمير . وكل ما ستر شيئا فهو خمارة .
 - ترتيب القاموس المحيط : ح ٢ ص ١٠٦ مادة (خ / م / ر) .
 - (٢) العريدة : سوء الخلق . ترتيب القاموس المحيط : ح ٣ ص ١٨٣
مادة : (ع / ر / ب / د) .
 - (٣) البحر المحيط : ح ٧ ص ٣٦٠ .
 - (٤) الاتقان في علوم القرآن : ح ٢ ص ٢٤٣ .

ويمكن القول ان التفسير في هذا العصر كان معتمدا على الرواية حيث ان اتباع التابعين جمعوا النصوص الواردة في التفسير من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، بالاضافة الى ان بعض مفسرى هذا العصر ادخلوا في تفسيرهم الكثير من الاخبار التي يرويها اهل الكتاب.

ثم بعد ذلك دخل التفسير مرحلة جديدة حيث انفصل عن الحديث ، واصبح علما مستقلا ، مرتبا حسب ترتيب المصحف الشريف ، فألف فيه :

ابن ماجة (١) المتوفى سنة ٢٢٣ هـ ، وابن جرير الطبرى (٢) المتوفى سنة ٣١٠ هـ ، وابن ابي حاتم (٣) المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، وابن حبان (٤) ، المتوفى سنة ٣٢٩ هـ ، وابن مردويه (٥) المتوفى سنة ٤١٠ هـ ، وغيرهم من قدامه المفسرين الذين اسندوا رواياتهم الى الصحابة والتابعين واتباعهم ، وكانت تفاسيرهم بالمأثور الا تفسير الطبرى فانه يمزج بين النقل والعقل ، ويوجه ويرجح . (٦)

-
- (١) هو : ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، صاحب السنن والتفسير والتاريخ ، وهو محدث الديار ، ثقة كبير ، متفق عليه ، محتج به ، له اثنان وثلاثون كتابا " ٣٢ " ، تذكرة الحفاظ : ح ٢ ص ٦٣٦ .
 - (٢) انظر ترجمته في ص (٣٩٥) من هذا الفصل .
 - (٣) ابن ابي حاتم ، هو عبد الرحمن بن محمد الرازي ، له كتاب الجرح والتعديل وهو كتاب مطبوع ، وله تفسير في عدة مجلدات منه جزآن مخطوطان الاعلام : ح ٤ ص ٩٩ .
 - (٤) ابن حبان : ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الانصارى ، صاحب المصنفات ، ولد سنة اربع وسبعين ومائتين ومات سنة تسع وستين وثلاث مائة . تذكرة الحفاظ : ح ٣ ص ٩٤٥ .
 - (٥) ابن مردويه ، هو الحافظ ابو بكر احمد بن موسى الاصبهاني ، صاحب التفسير والتاريخ وغير ذلك ولد سنة " ٣٢٣ هـ " ومات سنة " ٤١٠ " تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٥٠ .
 - (٦) الاتقان في علوم القرآن : ح ٢ ص ٢٤٣ .

ثم ألف غير هؤلاء في عديد من النواحي اللغوية والبلاغية وغير ذلك
ما ساعد على التأويل لآيات القرآن الكريم ، وقد تعددت تلك التأليف وتنوعت
حتى نتج عنها ما عرف بعد بعلوم القرآن .

فألف في القرن الثالث : علي بن المديني المتوفي سنة ٢٣٤ هـ في اسباب
النزول ، وابوعبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ وفي القراءات وفضاء
القرآن .

وفي القرن الرابع الف اهو بكر السجستاني المتوفي سنة ٣٣٠ هـ في
غريب القرآن .

وفي القرن الخامس الف علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي المتوفي سنة
٤٣٠ هـ في اعراب القرآن .

وفي القرن السادس الف ابو القاسم عبد الرحمن المعروف بالسهيلى ،
المتوفي سنة ٥٨١ هـ في مبهمات القرآن .

وفي القرن السابع الف ابن عبد السلام المتوفي سنة ٦٦٠ هـ في مجاز
القرآن . (١)

وغير هؤلاء من الذين تناولوا القرآن في نواحيه المتعددة وبذلك تدرج
التفسير من طور الرواية والنقل الى طور التدوين على انه باب من ابواب الحديث ،
ثم الى تدوينه علما مستقلا منفردا كل في موضوع مستقل في اسباب النزول او الناسخ
والمنسوخ او القراءات او الغضائل او الغريب او الاعراب او المبهمات او المجاز
على نحو ما سلف قبل قليل .

(١) مباحث في علوم القرآن : ص ١٢١ وما بعدها .

وكان لهذا اثر كبير في تطور الاجتهاد في فهم الآيات القرآنية ، ويتضح ذلك في طور جديد من اطوار التفسير .

قال السيوطي : " ... ثم الف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الاقوال تترى ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظاناً ان له اصلاً ، غير ملتفت الى تحرير ماورد عن السلف الصالح ، ومن يرجع اليهم في التفسير ، حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى :
﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ (١)

نحو عشرة اقوال ، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجميع الصحابة والتابعين واتباعهم ، حتى قال ابن ابي حاتم : " لا أعلم في ذلك اختلافاً بين المفسرين " (٢)

ثم بعد ذلك تنوعت كتب التفسير بحسب الثقافات فهرب قوم في علوم فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذي يغلب عليه . فالنحوى ليس له الا هم الاعراب ، وتكثير الواجه المحتملة فيه ، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدى في البسيط ، وأبى حيان في البحر والنهر ، والاخبارى ليس له شغل الا القصص واستيفاءها ، والاخبار عن سلف ، سواء كانت صحيحة ام باطلة ، كالثعلبي ، والفقيه يكاد يسرد الفقه من باب الطهارة الى امهات الاولاد (٣) وربما استطرده الى اقامة ادلة الفروع التي لاتعلق لها

(١) سورة الفاتحة : الآية " ٧ " .

(٢) الاتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٣) المراد بقوله الى امهات الاولاد ، باب امهات الاولاد في مبحث الرقيق .

بالآية ، والجواب عن ادلة المخالفين كالقرطبي ، وصاحب العلوم العقلية ،
خصوصا الامام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة
وشبهها قال ابو حيان : جمع الامام الرازي في تفسيره اشياء كثيرة
طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء
الا التفسير (١) والمبتدع ، ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها
على مذهبه الفاسد . . . (٢)

وقد الفت تفاسير كثيرة في العصور المتعاقبة ، رغم ان بعضهم كان يمزج
في تفسيره بين النقل والعقل ، وقد رأيت أن ادرجهم في عداد المفسرين بالمأثور
نظر لغلبة التفسير المأثور على كتبهم واعتمادهم عليه .

وسأقتصر على التعريف ببعض هذه التفاسير :

- (١) تفسير بقر بن مخلد ، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ .
- (٢) جامع البيان للطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ .
- (٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية المتوفى سنة ٥٤٦ هـ .

-
- (١) لعل المراد بقوله فيه كل شيء الا التفسير ، ان الاستشهادات والمسائل
الكونية . . . الخ قد طغت على الغرض الاصيل وهو التفسير ، والا فان
في تفسيره الكثير من المنقول والمعقول .
 - (٢) الاتقان في علوم القرآن : ج ٢ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

أولا - تفسير بقي بن مخلد :

التعريف بالمفسر :

هو ابو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد بن عبد الرحمن الاندلسي

القرطبي . (١)

الحافظ ، صاحب المسند ، والتفسير الجليل ، كان عالما مجتهدا

لا يقلد احدا ، ثقة ، حجة ، صالحا ، عابدا ، مات سنة ست وسبعين ومائتين

(٢٧٦) هـ (٢)

تفسيره :

عنى فيه بالاثر ، وليس لاحد تفسير مثل سنده في الحديث ولا في التفسير

قال ابن حزم :

" أقطع انه لم يؤولف في الاسلام مثل تفسيره ، لا تفسير ابن جرير

ولا غيره " .

وتفسيره لم يكتب له البقاء ، ولم يظفر بما ظفر به تفسير ابن جرير من

هذا الخلود . (٣)

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : ج ١ ص ٤٩٨ .

(٢) تذكرة الحفاظ : ج ٢ ص ٦٢٩ - ٦٣١ .

(٣) مناهل العرفان : ج ١ ص ٤٩٩ .

ثانيا - جامع البيان عن تأويل آي القرآن : للإمام الطبري :

ترجمة للإمام الطبري :

هو ابو جعفر بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري ، وقيل : يزيد بن كثير
ابن غالب ، ولد سنة اربع أو خمس وعشرين بأمل بطبرستان (١) وتوفي سنة عشرين
وثلاثمائة (٣١٠) في بغداد .

وهو الامام الحافظ ، الفقيه ، المقرئ ، المؤرخ ، طوف الاقاليم في طلب
العلم ، وصنف تصانيف حسنة تدل على سعة طمعه . (٢)

مكانته العلمية :

يعد من كبار الأئمة الاعلام ، ان يعتمد على تفسيره وطمعه ، وقد اثنى
العلماء على كثير طمعه .

قال الخطيب ابو بكر : كان احد الائمة ، يحكم بقوله ، ويرجع الى رأيه ،
لمعرفته وفضله ، جمع من العلوم مالم يشاركه فيه احد من اهل عصره . (٣)

(١) طَبْرِستان : بفتح اوله وثانيه ، وكسر الراء ، اقليم من بلاد المعجم .

انظر : معجم البلدان : ح ٤ ص ١٢ .

(٢) راجع معجم الادباء : ح ١٨ ص ٤٠ ، وطبقات الحافظ ، للسيوطي :

ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وطبقات المفسرين ، للداودي : ح ٢ ص ١٠٦ .

(٣) طبقات الحافظ للسيوطي : ص ٣٠٧

وقال ابن مخزومة : ما أعلم على اديم الارض اعلم منه . (١)
ولم ينحصر علم الامام الطبري في التفسير ، ولكنه كان اماما في علوم اخرى ،
قال الالهوازي المقرئ : كان الطبري عالما بالفقه والحديث والتفاسير والنحو
واللغة والعروض ... وله ثمانية عشر مجلدا في القراءات المشهورة والشاذة ،
واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور . (٢)

تفسير الطبري :

قال عبد العزيز بن محمد : كان ابو جعفر الطبري كالقاري الذي لا يعرف
الا القرآن ، وكالمحدث الذي لا يعرف الا النحو ، وكالحاسب الذي لا يعرف
الا الحساب ، وكان عالما بالعبادات ، جامعا للعلوم ، واذنا جمعت بين كتبه
وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها ، ومن كتبه كتابه المسمى : " جامع البيان
عن تأويل القرآن " (٣)

واسم هذا الكتاب كما جاء في كتاب التاريخ للطبري : " جامع البيان
عن تأويل آي القرآن " .

" والتزم كلمة التأويل في ترجمة كل فصل من فصوله من المقدمات الواسعة
المبسوطة الى كلامه في تأويل الاستعانة ثم تأويل البسطة ، الى فيوض بياناته
على الآيات معنونا كلا منها على طريقه ملتزمة مطردة بقوله : " القول في تأويل
قوله تعالى كذا " (٤) .

-
- (١) طبقات الشافعية الكبرى : ح ٣ ص ١٢٤ .
(٢) معجم الادباء : ح ١٨ ص ٤٥ .
(٣) المرجع السابق : ح ١٨ ص ٦١ .
(٤) التفسير ورجاله ، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور : ص ٣٢ ، ط ١٣٩٠ هـ
ومراد الطبري بقوله تأويل الآية : تفسيرها .
انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : ح ١٣ ص ٢٨٩ .

وكان تأليف هذا الكتاب في اواخر القرن الثالث الهجرى ، وقد كان هذا التفسير في قرابة ثلاثين الف ورقة ثم اختصره الطبرى الى قرابة ثلاثة الاف ورقة ، يقول ابن السبكي : " ان ابا جعفر قال لاصحابه : اتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون الف ورقة ، فقالوا : هذا ربما تفنى الاعمار قبل تمامه ، فاختصره في ثلاثة آلاف ورقة " (١)

ويعد هذا التفسير المرجع الاول للتفسير المأثور والتفسير العقلي ان نجد فيه النظر الدقيق والبحث العميق وترجيح قول على آخر ، واهرز ما في هذا التفسير ان صاحبه اعتمد على المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه والتابعين مثل عبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود ، ومجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وغيرهما ، فيذكر الروايات ويسندها الى اصحابها ويوجه الاقوال ، الا أنه لا يعطى السند حكمه بصحة ولا ضعف ، مع أنه الناقد البصير العالم بالروايات والرواة وهو من المجتهدين لا يقلد احدا . قال ابن تيمية : " وتفسير الطبرى اصح التفاسير التي في ايدى الناس ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين ك مقاتل بن بكير والكلبى " . (٢)

(١) الطبقات الكبرى ، لابن السبكي : ح ٢ ص ١٣٧

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية : ح ١٣ ص ٣٨٥ .

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

أهم ما يطالعنا في تفسير الطبرى :

أولا : اعتماده على المأثور من الأقوال ، فهو يفسر الآية معتمدا على ما قال بها صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او بما ثبت عن الصحابة والتابعين ، وان تعددت الأقوال في تفسير الآية فانه يسرد الأقوال كلها ثم يرجع بعضها على بعض ، او يستخرج من الأقوال قولا او فكرة عامة ويعلق عليها بالقبول او الرفض ، ومثال ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا * (١)

قال ابو جعفر : اختلف اهل التأويل في تأويل قوله : * لَا تَقُولُوا

رَاعِنَا * ، فقال بعضهم ، تأويله : لا تقولوا خلافا . ذكر من قال ذلك :

١ - عن عطاء في قوله تعالى : * لَا تَقُولُوا رَاعِنَا * قال :

لا تقولوا خلافا .

عن ابن نجيح عن مجاهد : (لَا تَقُولُوا رَاعِنَا) ، لا تقولوا خلافا .

وقال آخرون ، تأويله : ارعنا سمعك ، اى : اسمع منا ونسمع منك .

ذكر من قال ذلك :

١ - عن عكرمة ، او عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : (رَاعِنَا) ،

اى : ارعنا سمعك .

٢ - عن ابي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَقُولُوا رَاعِنَا * .

لا تقولوا : اسمع منا ونسمع منك .

(١) سورة البقرة : الآية " ١٠٤ " .

٣ - وعن عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاک يقول في قوله : * رَاعِنَا * ،

قال : كان الرجل من المشركين يقول : أرعني سمعك .

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله نهى الله المؤمنين ان يقولوا : (رَاعِنَا) فقال بعضهم : هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء ، ومنهى الله تعالى ذكره المؤمنين ان يقولوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

١ - عن قتادة في قوله تعالى : * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا * (١)

قال : قول كانت تقوله اليهود استهزاء ، فزجر الله المؤمنين ان يقولوا كقولهم .

٢ - عن عطية (٢) : (لَا تَقُولُوا رَاعِنَا) ، قال : كان اناس من اليهود

يقولون : ارعنا سمعك ! حتى قالها أناس من المسلمين ، فكره الله لهم ما قالت اليهود فقال :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا *

كما قالت اليهود والنصارى .

٣ - وعن قتادة في قوله : (لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا) ، قال : كانوا

يقولون : راعنا سمعك ! فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك

مستهزئين ، فقال الله : * لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا *

(١) سورة البقرة : الآية " ١٠٤ " .

(٢) عطية العوفي : تقدمت ترجمته في ص : (٣٩)

٤ - عن الضحاک عن ابن عباس في قوله : * لَاتَقُولُوا رَاعِنَا * ، قال : كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : راعنا سمعك ! وانما (رَاعِنَا) كقولك : عاطنا .

وقال آخرون : بل هي كلمة كانت الانصار في الجاهلية تقولها ، فنهاهم الله في الاسلام أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم .
ذكر من قال ذلك :

١ - عن عطاء في قوله : * لَاتَقُولُوا رَاعِنَا * ، قال : كانت لغة في الانصار في الجاهلية ، فنزلت هذه الآية : * لَاتَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا * (١) الى آخر الآية .

٢ - عن الربيع عن ابي العالیه في قوله : * لَاتَقُولُوا رَاعِنَا * ، قال : ان مشركي العرب كانوا اذا حدث بعضهم بعضا يقول احدهم لصاحبه ، ارعني سمعك ! فنهاهم عن ذلك .

٣ - وقال ابن جريج : (رَاعِنَا) ، قول الساخر : فنهاهم ان يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم :

بل كان ذلك كلام يهودى من اليهود بعينه ، يقال له : رفاعه بن زيد .
كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم به على وجه السب له ، وكان المسلمون اخذوا ذلك منه ، فنهى الله المؤمنين عن قبله للنبي صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة البقرة : الآية " ١٠٤ " .

ولم يرتض الطبرى هذا القول وخطأه . ثم قال : والصواب من القول
في نهى الله جل ثناؤه المؤمنين ان يقولوا لنبيه (رَأَيْنَا) أن يقال : انهما
كلمة كرهها الله لهم ان يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم ، نظير الذى ذكر عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

- لا تقولوا للعنب الكرم ، ولكن قولوا : الحبله • (١)
و • لا تقولوا : عدى ، ولكن قولوا : فتاى • (٢)

وما اشبه ذلك من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد في كلام
العرب ، فتأتى الكراهة أو النهي باستعمال احدهما ، واختيار الاخرى عليها في
المخاطبات . (٣)

ثانيا - البعد عن التفسير بالرأى :

عقد الامام الطبرى في مقدمة تفسيره بحثا بعنوان : " ذكر بعض الاخبار
التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأى " صدره بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم : " من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " (٤)
ثم ذكر قول الصديق رضي الله عنه : " اى ارض تقلني واى سما تظلني اذا قلت
في القرآن برأى أو بما لا أعلم "

- (١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الالفاظ من الأدب ، باب كراهة تسمية
العنب كرما : ح ١٥ ص ٤ .
والحبله بالضم : الكرم . ترتيب القاموس المحيط : ح ١ ص ٥٨١ .
(٢) المرجع السابق نفس الكتاب باب حكم اطلاق لفظه العبد والامه والمولى والسيد
ح ١٥ ص ٥ .
(٣) تفسير الطبرى : ح ٢ ص ٤٥٩ الى ٤٦٣ .
(٤) تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير ، باب ما جاء في الذى يفسر
القرآن برأيه . وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن : ح ٨ ص ٢٧٨ .

ثم قال : " وهذه الاخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا : من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم او بنصيه الدلالة عليه فغير جائز لاحد القيل فيه برأيه ، بل القائل في ذلك برأيه - وان اصاب الحق فيه - فمخطي " فيما كان من فعله ، بقبيله فيه برأيه ، لأن اصابته ليست اصابة موقن أنه محق ، وانما هو اصابة خاوص (١) ، وطان ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم ، وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده فقال :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِثْمَ وَالْبَغْيِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

فالقائل في تأويل كتاب الله الذي لا يدرك علمه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جعل الله اليه بيانه قائل بما لا يعلم وان وافق قبيله في ذلك فسي تأويله ما أراد به من معناه ، لان القائل فيه بغير علم قائل على الله ما لا علم له به . وهذا هو معنى الخبر الذي حدثنا به . . . ابو عمران الجوني عن جندب : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ . (٣)

-
- (١) الخرص : الكذب ، وكل قول بالظن ، ترتيب القاموس المحيط : ح ٢٧ ص ٣٧ .
(٢) سورة الاعراف : الآية " ٣٣ " .
(٣) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، كتاب العلم ، باب الكلام فسي كتاب الله بلا علم : ح ١٠ ص ٨٤ ، وتحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير ، ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، وقال الترمذى : هذا حديث غريب : ح ٨ ص ٢٨١ .

يعني صلى الله عليه وسلم أنه اخطأ في فعله ، بقلبه فيه برأيه ، وان وافق
قلبه ذلك عين الصواب عند الله ، لأن قلبه فيه برأيه ، ليس بقليل عالم ان الذى
قال فيه من قول حق وصواب . فهو قائل على الله ما لا يعلم ، آثم بفعله ما قد
نهى عنه وحظر عليه . (١)

وبناء على ماتقدم نجد ان الامام الطبرى يرد على الاقوال التي لاتستند على
أدلة ولا اسس نظمية فعلا عند تفسير قوله تعالى :

* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِثِينَ * (٢)

اورد قول قتادة رحمه الله في تفسير هذه الآية قال : احلت لهم اى لبني اسرائيل

الحيثان ، وحرمت عليهم يوم السبت بلاء من الله ليعلم من يطيعه من يعصيه ،
فصار القوم ثلاثة اصناف : فأما صنف فأمسك ونهى عن المعصية ، وأما صنف
فأمسك عن حرمة الله ، وأما صنف فانتهك حرمة الله وورد على المعصية . فلما ابوا
الا الاعتداء الى ما نهوا عنه ، قال الله لهم :

* كُونُوا قِرَدَةً خَاسِثِينَ *

فصاروا قردة لها اذنان ، تعاوى . بعدما كانوا رجالا ونساء .

ثم عقبه بقول السدى في تفسير الآية وهو ان بني اسرائيل بعد مخالفتهم

أمر الله جعلهم قردة خاسئين .

وأخيرا أورد قول مجاهد رحمه الله في تفسير الآية ، قال - اى

مجاهد - : لم يمسخوا ، انما هو مثل ضربه الله لهم ، مثل ما ضرب * كَشَّالِ
الْحِمَارِ يَحِيلُ أَسْفَارًا * (٣)

(١) مقدمة تفسير الطبرى : ح ١ ص ٧٧ الى ٧٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٦٥ " .

(٣) سورة الجمعة : الآية " ٥ " .

وقد عقب الامام الطبري بعد ذلك على قول مجاهد الذي يبدو انه لا يوافق عليه .

• وهذا القول الذي قاله مجاهد : قول لظاهر ما دل عليه كتاب الله مخالف . وذلك أن الله اخبر في كتابه انه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ثم قال : ومن انكر شيئاً من ذلك وأقر بآخر منه ، سئل البرهان على قوله ، وعورض - فيما انكر من ذلك - بما اقر به . ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو اثر صحيح . (١)

وليس معنى هذا ان الامام الطبري يحد من البحث والنظر ويعطل الفكر وانما يجعل للتفسير العقلي حدوداً تحميه من الزلل . حتى لا يتعدى ما قاله السلف الصالح ويخالفه . فهو اذن لا يعارض التفسير العقلي الذي يستند اليه ادلة شرعية وانما يعارض الرأي الذي لا يعتمد على دليل ، وحجتي في ذلك ما بهد في كتابه من ترجيحات عقلية صائبة ، واسم كتابه يشعر بالتفسير المأثور والعقلي معا .

ثالثاً - القراءات في تفسير الطبري :

يعني الامام الطبري بالقراءات عناية كثيرة ، فهو امام عالم مؤلف فيها عرض في تفسيره لكثير من القراءات ورجح بعض ما ارتضاه . من ذلك : ما جاء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُورًا ﴾ (٢)

قال : فان القراءة اختلفت في قراءته ، فقرأته عامه قرأه امصار الاسلام ، غير نفر من قرأه الكوفة :

(١) تفسير الطبري : ج ٢ ص ١٧٣ ، تقدم في ص : (١٠٩)

كلام الطبري بطوله فليراجع .

(٢) سورة النساء : الآية ١٦٣

* وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا * ، بفتح الزاي على التوحيد ، بمعنى :
وأتينا داود الكتاب المسمى (زبورا) .

وقرأ ذلك بعض قرأه الكوفيين : * وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا * بضم
الزاي " جمع زهر " . كأنهم وجهوا تأويله ، وأتينا داود كتباً وصحفاً
مزهورة من قولهم : " زبرت الكتاب أزهره زهراً " و " زهرته انبهره زهراً " ،
إذا كتبه .

ثم رجح قراءة من قرأ (زبورا) بفتح الزاي ، فقال : وأولى القراءتين
في ذلك بالصواب عندنا ، قراءة من قرأ : * وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا * ، بفتح
الزاي . على انه اسم الكتاب الذي أوتيه داود . . . (١)

رابعاً - بعده عن التعمق فيما لافائدة فيه :

بالنظر في تفسير الامام الطبري نجد ان مؤلفه لا يعني بالامور التي لافائدة
فيها ، فمثلا عند تفسير قوله تعالى من سورة البقرة :

* وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ * (٢)

يذكر اختلاف السلف في ماهية هذه الشجرة التي نهى آدم وحواء عليهما
السلام عن الأكل منها ومن ذلك قول ابن عباس الذي يروي عنه مجاهد : ان الشجرة
التي نهى عنها آدم هي البر . وفي رواية عن ابن عباس يرويها عنه سعيد بن جبير
في نوع الشجرة ، قال : السنبله . وعن ابن مسعود : هي الكرمه ، ثم نجده
بعد ان اورد هذه الأقوال يعقب عليها بقوله : " . . فالصواب في ذلك أن يقال :

(١) تفسير الطبري : ج ٩ ص ٤٠١ .

(٢) الآية " ٣٥ "

ان الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن اكل شجرة بعينها من اشجار الجنة دون سائر اشجارها ، فخالفا الى مانهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفها الله جل ثناؤه به . ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة فأنى يأتي ذلك . . . ثم قال : وذلك علم ، اذا علم لم ينفع العالم به علمه ، وان جهله جاهل لم يضره جهله به " (١) .

خامسا - الناحية اللغوية في تفسير الطبرى :

احتوى تفسير الطبرى على مقدار كبير من المعالجات اللغوية والنحوية والاحتكام الى الشعر العربي وما هو معروف من لغة العرب ناح في ذلك منحى ابن عباس رضي الله عنهما في الرجوع الى الشعر العربي والى ما هو معروف من لغة العرب في تفسير الآية القرآنية ومن استدلاله بالشعر على معنى لغوى مقصود للفظه قرآنية ما جاء عند تفسير قوله تعالى من سورة هود :

* كَأَنْ لَمْ يَخُنُوا فِيهَا آلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ * (٢)

يقول مانصه : قال ابو جعفر : يقول تعالى ذكره : كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعدا به ، حين اصبحوا جائعين في ديارهم قبل ذلك ، ولم يخنوا . من قولهم : " غنيت بمكان كذا " ، اذا اقت به ، ومنه قول النابغة :

غنيت بذلك ان هم لي جيرة

منها يعطف رسالة وتودد

ثم يسوق الرواية عن ابن عباس وقتادة في قوله :

(١) تفسير الطبرى : ج ١ ص ٥٢١ .

(٢) الآية : " ٩٥ " .

(كَأَنْ لَّمْ يَفْنَوْا فِيهَا) قال : كأن لم يعيشوا فيها (١) .

ومن الشاهد على احتكامه الى الاستعمال العربي لتقوية وتوجيه تفسيره
ما جاء عند تفسير قوله تعالى من سورة النساء :

* إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ
لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * (٢)

قال : اختلف اهل التأويل في الخيانة التي كانت من ابن ابيرق ،

فقال بعضهم : كانت سرقة سرقها وهذا قول مجاهد ، وقال آخرون : بل
الخيانة التي وصف الله بها من وصفه ، جحوده وديعة كان أودعها ، وهذا قول
عكرمة وجماعة .

ثم قال : وأولى التأويلين في ذلك بما دل عليه ظاهر الآية ، قول من
قال : كانت خيانتها التي وصفه الله بها في هذه الآية ، جحوده ما أودع ، لان ذلك
هو المعروف من معاني " الخيانات " في كلام العرب ، وتوجيه تأويل القرآن الى
الأشهر من معاني كلام العرب ما وجد اليه سبيل . اولى من غيره " (٣)

العناية بالنحو:

ومن أجل ان يوضح الامام الطبرى تفسير الآية يلجأ الى الناحية الاعرابية
للغة القرآنية ويعرض لآراء علماء اللغة العربية ثم يوازن ويرجح ، ومن ذلك ماورد
عند تفسير قوله تعالى :

* وَلَنْ تُغْنِيَّ عَنْكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ * (٤)

(١) تفسير الطبرى : ح ١٥ ص ٤٦٤ .

(٢) الآية " ١٠٥ " .

(٣) تفسير الطبرى : ح ٩ ص ١٧٥ و ١٨٩ .

(٤) سورة الانفال : الآية " ١٩ " .

يقول : " اختلفت القراءة في قراءة قوله : * وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ * (١)
ففتحها عامة قراءة أهل المدينة بمعنى : " ولن تغني عنكم فتحتكم شيئا ولو كثرت
وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ " فعطف ب " أن " على موضع " ولو كثرت " كأنه قال :
" لكثرتها " ، ولأنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ويكون موضع " أن " حينئذ نصبا على
هذا القول .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن فتحها إذا فتحت ، على :

* وَأَنَّ اللَّهَ مُوْهِنٌ كَيْدِ الْكَافِرِينَ * (٢) ، * وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ *
عطفا بالأخرى على الأولى .

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين والبصريين ، (وَأَنَّ اللَّهَ) ، بكسر الالف ،
على الابتداء ، واعتلوا بأنها في قراءة عبد الله : * وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ * ثم
قال مرجحا قراءة من قرأ بالكسر .

" وأولى القراءتين بالصواب : قراءة من كسر " إِنَّ " الابتداء ، لتقص
الخبر قبل ذلك عما يقتضي قوله : * وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ * (٣)
سادسا - مكانة الاجماع عنده :

يعطى الامام الطبرى مكانة كبيرة لاجماع من يعتد بهم في ترجيح ما يذهب
اليه من تفسير الآية فعند تفسير قوله تعالى من سورة آل عمران :
* إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ * (٤)
يقول مانصه : قال أبو جعفر :
" يعني بذلك جل ثناؤه ، ولقد عفا عنكم ، أيها المؤمنون ، ان لم

(١) سورة الأنفال : الآية " ١٩ " .

(٢) سورة الأنفال : الآية " ١٨ " .

(٣) تفسير الطبرى : ح ١٣ ص ٤٥٦ . اقول : ان القراءة اذا تواترت لا يصح

ترجيح قراءة منها على قراءة أخرى .

(٤) الآية : " ١٥٣ " .

يستأصلكم اهلاكا منه جمعكم بذنوبكم وهربكم ، (اِنْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَيَّ
أَحَدٍ) .

ثم قال :

واختلفت القراءة في قراءة ذلك : فقرأه عامة قراءة الحجاز والعراق والشام ،
سوى الحسن البصرى : (اِنْ تُصْعِدُونَ) بضم " التاء " وكسر " العين " ،
وهو القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراءة على القراءة به ، واستنكارهم ماخالفه .
و توجيهه معنى الآية على قراءة ضم التاء وكسر العين في قوله :
(اِنْ تُصْعِدُونَ) ان القوم حين انهزموا عن عدوهم ، اخذوا في الوادى هاربين ،
وذكروا - الذين قرأوا تُصْعِدُونَ - ان ذلك في قراءة أبي بن كعب :
(اِنْ تُصْعِدُونَ في الوادى) (١) .

تعرضه للأحكام الفقهية :

يناقش الامام الطبرى في تفسيره اقوال العلماء الفقهية ويرجح مايراه معتمدا
على الادلة النقلية عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن صحابته رضوان الله عليهم ،
فمثلا عند تفسير قوله تعالى من سورة المائدة :

* يَسْتَلُونَكَ مَاذَا أُجِلَّ لَهُمْ قُلْ أُجِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلِّبِينَ * (٢)

يقول مانصه : " .. اختلف اهل التأويل في الجوارح التي عنى الله بقوله :
(وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ) .

(١) تفسير الطبرى : ج ٧ ص ٣٠٠ .

(٢) الآية " ٤ " .

فقال بعضهم : هو كل ما علم الصيد فتعلمه ، من بهيمة أو طائر ، ثم ذكر قول الحسن - يعني البصرى - في تفسير الآية ، قال : كل ما علم فصاد من كلب أو صقر أو فهد أو غيره .

وأورد قول مجاهد في تفسير الآية ، قال : الطير والكلاب .

ولابن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ (١)

روایتان :

الاولى : ان الله عز وجل يعني (بِالْجَوَارِحِ) : الكلاب الضواری ،

والفهود والصقور واشباهها .

والرواية الثانية : انه يعني (بِالْجَوَارِحِ) : الكلاب والصقور المعلمة .

ثم قال : - اي الامام الطبرى - وقال آخرون : انما عنى الله جل ثناؤه

بقوله : (وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ) الكلاب دون غيرها من السباع ، واورد

قول الضحاك والسدى ثم قال : وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال : كل

ما صاد من الطير والسباع فمن الجوارح ، وان صيد جميع ذلك حلال اذا صاد

بعد التعليم " ، لان الله جل ثناؤه عم بقوله : (وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ)

كل جارحه ، ولم يخص منها شيئا فكل جارحة كانت بالصفة التي وصف الله من

كل طائر وسبع ، فحلال اكل صيدها . "

ثم ذكر خبرا عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤيد ما ذهب اليه (٢)

وبعد هذا التطواف مع الامام الطبرى في كتابه : " جامع البيان عن تأويل

آى القرآن " فان ما حواه كتابه هذا من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار

الصحابة اعني علماء التفسير في القرن الاول الهجرى مثل عبد الله بن عباس

(١) سورة المائدة : الآية " ٤ " .

(٢) راجع تفسير الطبرى : ج ٩ ص ٥٤٣ الى ٥٥٠ .

واصحاب مدرسته ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي بن ابي طالب وابي بن كعب
واتباعهم ، بالاضافة الى اقوال وآراء علماء آخرين مثل السدى وابن جريج
وغيرهم ، جعلت هذا الكتاب ، الكتاب الاول في التفسير بالمأثور .
طلب الامام الطبرى تفسير الآيه أولا من كتاب الله ثم من سنة الرسول
صلى الله عليه وسلم ، ورجع الى اقوال الصحابة والتابعين ، لانهم ادرى بكتاب الله
واعلم بمعانيه ، ولكنه مع ذلك لم يكن يسلم بكل ما قالوا بل نجده يوازن بين الاقوال
ويرجع ما يراه صحيحا معتمدا في ذلك على قواعد واسس متينة فمثلا عند تفسير
قوله تعالى :

* وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَحْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ . . * (١)

لم يرتض تفسير مجاهد وبين ذلك بأدلة مقبولة ، ايضا في تفسير قوله تعالى :

* وَلَا تُقْرَبُوا هَذِهِ الشَّجَرَةَ * (٢) .

اورد اختلاف الصحابة والتابعين في نوع الشجرة ثم ختمه بقوله : " ذلك

علم اذا علم لم ينفع واذا جهل لم يضر " (٣)

وفي قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَا عِنَّا * (٤)

اورد اقوال الصحابة والتابعين واختلافهم في ذلك ثم استخرج من

الاقوال قولا عاما وارتضاه .

(١) سورة البقرة : الآيه " ٦٥ " .

(٢) سورة البقرة : الآيه " ٣٥ " .

(٣) راجع تفسير الطبرى : ج ١ ص ٥٢١ .

(٤) سورة البقرة : الآيه " ١٠٤ " .

وفي قوله تعالى من سورة هود :

* كَأَنْ لَمْ يَخُنُوا فِيهَا ... * (١)

يقول : ان معنى " يَخُنُوا " يعيشوا ثم يأتي بيت من الشعـر

للنابغة شاهدا على صحة ما ذهب اليه مثله في ذلك مثل ابن عباس رضي الله عنهما
ومجاهد رحمه الله في الاحتكام الى الشعر العربي . وهكذا فان الامام الطبرى
في تفسيره للقرآن كان اعتماده على المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن
الصحابة والتابعين . مقارنا ومرجحا ومرتضيا لما صح عنهم .

(١) الآية " ٩٥ " .

ثالثا - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

التعريف بالمفسر :

هو ابو محمد عبد الحق بن ابي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي من اهل غرناطة . ولد سنة " ٤٨١ هـ " كان فقيها عالما بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب . (١)

تفسيره :

تفسير ابن عطية المسمى : " بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " كتاب له مكانته العالية وذلك لان مؤلفه كان ذا ثقافة عالية وتبحر في العلوم اللغوية والشرعية بالاضافة الى اطلاعه على كثير من الآثار الواردة في التفسير وآراء كثير من العلماء المؤولين للآيات ، كما اعتمد في تفسيره على كتب بعض العلماء السابقين مثل تفسير الامام الطبري ، وتفسير ابي جعفر النحاس وتفسير الزجاج . وقد قام ابو حيان بعمل مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير معاصره الزمخشري فقال :

" كتاب ابن عطية انقل واجمع واخلص ، وكتاب الزمخشري الخـصـص واغوص " (٢) .

وقال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مقارنا بين التفسيرين مبينا سبب تسمية هذا التفسير بالمحرر الوجيز .

(١) طبقات المفسرين للداودي : ح ١ ص ٢٦٠ .

(٢) تفسير البحر المحيط : ح ١ ص ١٠ .

"... لا بدع ان يوصف تفسير ابن عطية بأنه " محرر " لاسيما وقد دفع الشبه وخلص الحقائق وحرر ما هو محتاج الى التحرير ، وقد نوه بذلك في مقدمته ، وشاعت عند الناس تسميته بالمحرر الوجيز . . وهو وجيز بالنسبة الى التفاسير التي سبقته . اما بالنسبة الى تفسير الزمخشري ، فابن عطية اطرد نفسا واكثر جمعا وتفننا ، فهو وجيز باعتبار طريقة عرضه المباحث لا باعتبار مقدار جملته ، فالزمخشري اقل جمعا ، وان كان اعمق غوصا في تحليل الكلام " (١)

ونجد ابن عطية في تفسيره يورد الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين في تفسير الآيات ويدقق وينظر ثم يلخص ويحرر ومن ذلك ما جاء في معنى الفقراء والمساكين في قوله تعالى :

* إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمَوْلَّغَةِ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرَّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ قَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * (٢)

قال : المسكين السائل يعطى في المدينة وغيرها ، وهذا القول هو حكاية الحال وقت نزول الآية ، واما منذ زالت الهجرة فاستوى الناس ، وتعطى الزكاة لكل متصف بفقر .

وقال عكرمة : الفقراء من المسلمين ، والمساكين من اهل الذمة ، ولا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين . وقال قتادة بن دعامة : الفقير الزمن (٣) ، المحتاج ، والمساكين الصحيح المحتاج . وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهرى

(١) التفسير ورجاله : ص ٩٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية " ٦٠ " .

(٣) زمن : مرض مرضا يدوم طويلا ، وضعف بكبر سن او مطاولة علة ،

المعجم الوسيط : ح ١ ص ٤٠١ .

وابن زيد وجابر بن زيد ومحمد بن سلمة ، المساكين الذين يسعون ويسألون ،
والفقراء هم الذين يتصاونون . (١)

وبعد ان اورد هذه الآثار قال : وهذا القول الاخير ان لخص وحرر

احسن ما يقال في هذا ، وتحريره :

ان الفقير هو الذي لا مال له الا انه لم يذل ولا يذل وجهه ، والمسكين
هو الذي يقترن بفقره تدلل وخضوع وسؤال ، فهذه هي المسكنة ، فعلى هذا
كل مسكين فقير وليس كل فقير مسكينا . (٢)

وهو ايضا يتعرض الى المعاني اللغوية والشرعية للالفاظ القرآنية ، موردا

اقوال اهل اللغة ، مستندا في شرحه للالفاظ بما جاء من شعر العرب كما
فعل عند تفسير قوله تعالى من سورة البقرة :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ... ﴾ (٣)

حيث قال مفسرا قوله تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) : " معناه :

اظهروا هيئتها واديموها بشروطها ، وذلك تشبيه باقامة القاعد الى حال ظهور ،
ومنه قول الشاعر :

واذا يقال أتيتم لم يهرحوا

حتى تقيم الخيل سوق طعان

(١) تصاون : تكلف صيانة نفسه . وتصاون من المعاييب ونحوها ، وقسي

نفسه منها . المعجم الوسيط : ح ١ ص ٥٣٠ .

(٢) المحرر الوجيز : ح ٨ ص ٢١٠ بتصرف .

(٣) الآية : " ٤٢ " .

ثم يقول موضعا العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للكلمة
الزكاة : " الزكاة مأخوذة من زكا الشيء اذا نما وزاد ، وسمى الاخراج من
المال زكاة وهو نقص منه ، من حيث ينمو بالبركة او بالاجر الذى يشيب الله به
المزكى ، وقيل : الزكاة مأخوذة من التطهير ، كما يقال : زكا فلان اى : طهر
من دنس الجرحه او الافعال ، فكان الخارج من المال يطهره من تبعه الحق الذى
جعل الله فيه للمساكين " . (١)

كما انه يورد اوجه القراءات التى قرأت بها الآية وتوجيهها ما يعين
كثيرا على ايضاح معنى الآية مستعينا على ذلك بما ذكر عن الصحابة والتابعين
ومثال ذلك قوله تعالى على لسان المشركين :

﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمَحْرَمٌ عَلٰى أَزْوَاجِنَا ﴾ (٢)

قال : قرأ جمهور القراء خالصه بالرفع . وقرأ عبد الله بن مسعود

وابن جبير خالص دون هاء ، ورفع هاتين القراءتين على خبر الابتداء .

وقرأ ابن عباس وقتادة خالصة بالنصب ، وقرأ سعيد بن جبير خالصاً ،

ونصب هاتين القراءتين على الحال من الضمير الذى فى قوله " فى بطون " .

وذلك ان تقدير الكلام وقالوا : ما استقر هو فى بطون هذه الانعام فحذف

الفعل وحمل المجرور الضمير ، والحال من الضمير والعامل فيها معنى

الاستقرار . . .

وقرأ ابن عباس ايضا والزهرى خالصة باضافة خالص الى ضمير يععود

على ما ، ومعناه ما خالص وخرج حيا ، والخبر على قراءة من نصب خالصة فى

قوله " لذكورنا " ، والمعنى المراد بما فى قوله : " ما فى بطون " وقال السدى : هي

الأجنة ، وقال ابن عباس وقتادة والشعبي : هو اللبن ، وقال الطبرى : اللفظ

يعمها . . . (٣)

(١) المحرر الوجيز : ج ١ ص ٢٠٢ .

(٢) سورة الانعام : الآية " ١٣٩ " .

(٣) المحرر الوجيز : ج ٦ ص ١٦١ بتصرف .

اخلى من هذه الأمثلة ان الامام ابن عطية الذى عاش في القرن السادس الهجرى استعان في تفسيره للقرآن الكريم في كتابه المحرر الوجيز باقوال الصحابة والتابعين علماء التفسير في القرن الاول الهجرى مدققا وملخصا ومحــــررا لاقوالهم .

وقبل ان انهى الحديث عن التفسير بالمأثور ارى تتيما للفائدة ان اورد رأى شيخ الاسلام ابن تيمية ومقارنته بين هذه التفاسير وغيرها - ما لم اتعرض له بالحديث - قال : اما التفاسير التي في ايدى الناس ، فأصحها تفسير الطبرى ، فانه يذكر مقالات السلف بالاسانيد الثابتة ، والتفاسير المأثورة بالاسانيد كثيرة ، كتفسير عبد الرزاق ، ووكيع . . . وغيرهم . . . وتفسير البغوى : اسلم من البدعة . . . اما الواحدى فهو تلميذ الشعلبي ، وهو اخبر منه في العربية . . . وتفسير الواحدى : البسيط والوسيط والوجيز ، فيها فوائد جليلة ، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها . . . وتفسير القرطبي اقرب الى طريقه اهل الكتاب والسنة ، وابعد عن البدع ، لكن تفســــير ابن جرير اصح من هذه كلها * (١)

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : ج ١ ص ١٩٢ ، ١٩٤ .

ثم بعد ذلك الفت التفسير التي تمتاز بالنظر والاجتهاد ، والتي يغلب عليها طابع التأويل اللغوي والبلاغي وغيرهما ما هو مطبوع ومتداول مثل :

- ١ - تفسير ابي حيان المتوفي سنة ٧٤٥ هـ .
- ٢ - تفسير الجلالين ، الجلال المحلي المتوفي سنة ٨٦٤ هـ والجلال السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ .
- ٣ - تفسير الالوسي المتوفي سنة ١٢٧٠ هـ وغير هؤلاء .

واري ان من اهم اسباب اعمال الرأى في التفسير والاجتهاد في آيات القرآن الكريم هو ما كان من ضعف الرواية وانتشار الوضع في التفسير والحديث وحذف الاسانيد من سلسلة الرواية ، وافشاء الكذب في متون الاحاديث لاسيما الاحاديث الشارحة لآيات القرآن فاختلط الحق بالباطل والصحيح بالسقيم فاضطر العلماء الى اعمال عقولهم فيما يعلمون من قواعد اللغة واسم البلاغة ومعارف العلوم العامة ، فأخذوا يجتهدون بالنظر فسي الآيات الكريمة ، على ان هذا العمل خير من ان يشتغلوا بالموضوع من التفسير والحديث ، وافضل للاجيال التي تليهم .

واليك نماذج لأشهر المفسرين بالاجتهاد :

أولا - البحر المحيط لأبي حيان :

التعريف بالمفسر :

هو الامام اثير الدين ، ابو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي ، الاندلسي ، المشهور بأبي حيان .

ولد سنة اربع وخمسين وستمائة من الهجرة " ٦٥٤ " هـ .

قرأ القرآن الكريم على عدة مشايخ ، وتلقى العلم في الاندلس وافريقيّة والاسكندرية وكان عالما بالقراءات والادب ، كثير السماع والاشتغال والنظر في الكتب ، وكان ثبتا في نقله ، عارفا باللغة واسرارها ، عالما بالنحو والصرف ، وله اليد الطولى في التفسير والحديث ، وتراجم الناس وطبقاتهم ، خاصة المغاربة . اقرأ الكثير من الناس حتى صار تلاميذه شيوخا في حياته ، وله المصنفات

العديدة المفيدة ، مثل البحر المحيط - الذي اتحدث عنه - وغريب القرآن

في مجلد ، وشرح التسهيل ، وخلاصة البيان وغير ذلك .

توفي سنة خمس واربعين وسبعمائة " ٧٤٥ " هـ . (١)

تفسيره :

اعتمد ابو حيان في تفسيره على تفاسير من سبقه ، لاسيما الزمخشري وابن عطية ، وعلى ثقافته اللغوية والنحوية والادبية ، ولم يخل تفسيره من المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، كما يذكر اسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والقراءات الواردة في الآية مع توجيهها ، بالاضافة الى اشياء اخرى ذكرها في مقدمة كتابه فتجده يقول :

(١) الدرر الكامنة : ج ٥ ص ٧٠ الى ٧٦ .

" وترتيب في هذا الكتاب ، أني ابتدئ^١ اولا بالكلام على مفردات الآية التي افسرها لفظة لفظة ، فيما يحتاج اليه من اللغة والاحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، واذا كان للكلمة معنيان او معان ذكرت ذلك في اول موضع فيه تلك الكلمة ، لينظر ما يناسب لها من تلك في كل موضع تقع فيــــه فيحمل عليه ، ثم اشرع في تفسير الآية ذاكرة سبب نزولها اذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها ، وارتباطها بما قبلها ، حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها . ذاكرة توجيه ذلك في علم العربية ، ناقلا اقاويل السلف والخلف في فهم معانيها ، متكلما على جليها وخفيها ، بحيث أني لا اغادر منها كلمة وان اشتهرت حتى اتكلم عليها ، مبديا ما فيها من غوامض الاعراب ، ودقائق الآداب ، من بديع وبيان ، مجتهدا أني لا اكرر الكلام في لفظ سبق ولا في جملة تقدم الكلام عليها ، ولا في آية فسرت ، بل اذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذي تكلم فيه على تلك اللفظة او الجملة أو الآية ، وان عرض تكرير فبمزيد فائدة ، ناقلا اقاويل الفقهاء الاربعة وغيرهم في الاحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني وكذلك ما تذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو ، وربما اذكر الدليل اذا كان الحكم غريبا او خلاف مشهور ما قال معظم الناس . . . ثم اتبع آخر الآيات بكلام منشور اشرح به مضمون تلك الآيات على ما اختاره من تلك المعاني ، ملخصا جملها احسن تخليص . " (١)

(١) راجع مقدمة تفسير البحر المحيط : ج ١ ص ٤ ، ٥ .

وبعد هذا البيان الجلي من ابي حيان لتفسيره اعرض نموذجاً يبدو فيه موقفه من تفسير رجال القرن الاول الهجرى . وذلك في سبب ضحك امرأة ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى :

* وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا اِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثْتَ
اَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِينٍ * فَلَمَّا رَأَى اَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ اِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً
قَالُوا لَا تَخَفْ اِنَّا اَرْسَلْنَا اِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَاَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاَهَا بِاِسْحَاقَ
وَمِنْ وَّرَاءِ اِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * (١)

قال : قال مجاهد وعكرمة : (فَضَحِكَتْ) حاضت . وقال الجمهور : هو الضحك المعروف . وقيل : هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاه اخيها وهلاك قومه . وقيل : هو حقيقة . فقال مقاتل : روى عن ابن عباس : ضحكت من شدة خوف ابراهيم وهو في اهله وغلمايه والذين جاؤه ثلاثة وهي تعبهده يغلب الاربعين .

وقال قتادة : ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم ، وقال السدى : ضحكت من امسك الاضياف من الاكل وقالت : عجباً لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا وهم لا يأكلون طعامنا .

وقال وهب بن منبه : وروى عن ابن عباس ضحكت من البشارة باسحاق ، ثم قال ابو حيان بعد ان اورد هذه الأقوال :

والذى يظهر والله اعلم انهم لما لم يأكلوا واوجس في نفسه خيفة بعد ما نكر حالهم لحق المرأة من ذلك اعظم مالحق الرجل فلما قالوا : (لَا تَخَفْ) وذكروا سبب مجيئهم زال عنه الخوف وسرّ فلحقها هي من السرور ان ضحكت ،

(١) سورة هود : الآيات * ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ * .

اذ النساء في باب الفرح والسرور اطرب من الرجال وغالب عليهن ذلك ، وقد اشار الزمخشري الى طرف من هذا فقال : فضحكت سرورا بزوال الخيفة . (١)
ويمثل هذا قال الالوسي في روح المعاني (٢) ولننظر ما قاله الامام الطبري وابن كثير في هذه الآية :

قال الطبري : . . . واولى الاقوال التي ذكرت في ذلك قول من قال معنى (فَضَحَّكَتْ) ، فعجبت من غفلة قوم لوط عما قد احاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه . (٣)

وقال ابن كثير : ضحكت سارة استبشارا بهلاك قوم لوط لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم (٤) والمعنى واحد بين القولين ، وهذا ما قاله قتادة - وهو من علماء التفسير في القرن الاول - والذي يظهر انه الصحيح وذلك لان قوله (فَضَحَّكَتْ) ذكر بعد قول الاضياف لابراهيم عليه السلام ، (لَا تَخَفْ) ولا وجه للتعجب والضحك من قولهم هذا ، فكان الضحك والتعجب من امر قوم لوط .

(١) تفسير البحر المحيط : ج ٥ ص ٢٤٢ .

(٢) ج ٤ ص ٩٧ .

(٣) تفسير الطبري : ج ١٥ ص ٣٩٤ .

(٤) تفسير ابن كثير : ج ٢ ص ٤٥٢ .

ثانيا - تفسير الجلالين

التعريف بالمفسرين :

هما :

الأول : جلال الدين المحلي ، محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم جلال الدين

المحلي الشافعي . والمحلي نسبة الى المحلة بمصر .

ولد سنة احدى وتسعين وسبعمائة " ٧٩١ " هـ ، واشتغل وبرع في

الفنون فقها وأصولا وكلاما ونحوا ومنطقا وغيرها ، وكان آية في الذكاء والفهم ،

ورعا ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وله مؤلفات عديدة منها : شرح الجوامع

في الاصول ، وشرح المنهاج في فقه الشافعية . وغيرها .

توفي سنة اربع وستين وثمانمائة من الهجرة " ٨٦٤ " (١)

والثاني : الحافظ جلال الدين ، ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد

السيوطي الشافعي ، نسبة الى اسيوط بمصر .

ولد في رجب سنة تسع واربعين وثمانمائة " ٨٤٩ " هـ ، كان اماما

محققا مدققا ، له مؤلفات فائقة نافعة ، ختم القرآن وله من العمر دون ثمان سنين ،

ثم حفظ عمدة الاحكام في احكام الحديث ، ومنهاج النووي في الفقه ، ومنهاج البيضاوي

في الاصول ، وعرض ذلك على علماء عصره واجازوه ، وقرأ في مختلف العلوم على اكثر

من خمسين شيخا ، وقد زادت كتبه على خمسمائة مؤلف ، في التفسير وعلومه

والقرارات وغير ذلك .

مات سنة احدى عشرة وتسعمائة " ٩١١ " هـ . (٢)

(١) طبقات المفسرين للداودي : ج ٢ ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) شذرات الذهب : ج ٨ ص ٥١ ، ٥٤ .

منهجها في التفسير :

ابتدأ الامام جلال الدين المحلي تفسيره من اول سورة الكهف الى آخر سورة الناس ، ثم ابتدأ تفسير سورة الفاتحة ، وبعد اتمامها اختاره عز وجل الى جواره فلم يفسر ما بعدها ، ثم جاء الامام السيوطي وكمل تفسيره ، فابتدأ بتفسير سورة البقرة ، وانتهى عند آخر سورة الاسراء ، ووضع تفسير سورة الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلي ، لتكون ملحقة به . ذلك لأن الامام جلال الدين السيوطي - في مقدمة هذا التفسير وقبل الكلام على سورة البقرة - يقول : " هذا ما اشتدت اليه الحاجة للراغبين في تكلمة تفسير القرآن الكريم ، الذي الفه الامام العلامة المحقق جلال الدين المحلي الشافعي - رحمه الله - وتتميم ما فاته - ولعله يريد ما فات الامام جلال الدين المحلي ، وقام هو بتفسيره من اول سورة الناس الى آخر سورة الاسراء . (١)

ويقول في آخر سورة الاسراء : قال مؤلفه : هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم ، الذي الفه الشيخ الامام جلال الدين المحلي رضي الله عنه (٢) .
ويقول الشيخ سليمان الجمل في مقدمة حاشيته : " واما الفاتحة ، ففسرها المحلي ، وابتدأ هو من اول سورة البقرة (٣) ، ويقول عند نهاية ما كتبه على تفسير سورة الفاتحة ، انه : يريد الجلال المحلي - كان قد شرع في تفسير النصف الاول ، وانه ابتدأ بالفاتحة ، وانه اخترته المنية بعد الفراغ منها ، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها . (٤)

-
- (١) مقدمة تفسير الجلالين : ص ٣ .
 - (٢) تفسير الجلالين : ص ٣٨٦ .
 - (٣) حاشية الجمل على الجلالين : ح ١ ص ٧ ، ط / عيسى الحلبي ، مصر .
 - (٤) حاشية الجمل على الجلالين : ح ٤ ص ٦٢٦ .

وقد فسر الجلالان البسطة بعبارة موجزة محررة في غاية الحسن والدقة ،
وتابع الجلال السيوطي نمط الجلال المحلي في أسلوبه وذكر في خاتمة سورة
الاسراء انه ألف جزءاً في ميعاد الكليم موسى عليه السلام ، وهو اربعون يوماً ،
وذكر انه استفاد من الجلال المحلي ، واعتمد عليه في الآي المتشابهة واعترف جازماً
بأن ما وضعه الجلال المحلي في قطعته احسن مما وضعه بطبقات كثيرة (١) ،
وهذا من آداب التواضع واخلاق العلماء ورثة الانبياء .

وتفسير الجلالين يعتمد على الاعراب وبيان معاني الالفاظ وترجيح
الاقوال ، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف ، وتعبير
وجيز ، وترك التطويل ، وهما يكتفيان بذكر ارجح الآراء ، وعدم الاكثار من
ذكر الأقوال .

وقد لوحظ الاختلاف بين الامامين - في تفسيرهما - في مواضع قليلة
جداً منها .

ان الامام جلال الدين المحلي فسر " الصابئين " عند قوله تعالى :

من سورة الحج :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ . . * (٢)

بقوله : الصَّابِئُونَ : طائفة من اليهود (٣) ، وتابعه الامام جلال الدين
السيوطي في سورة البقرة عند قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ * (٤) .

فقال : الصَّابِئُونَ : طائفة من اليهود ، وزاد عليه : او النصرى ، بيانا

منه لقول ثان . (٥)

(١) تفسير الجلالين : ص ٣٨٧ .

(٢) الآية " ١٧ " .

(٣) تفسير الجلالين : ص ٤٤١ .

(٤) الآية " ٦٢ " .

(٥) تفسير الجلالين : ص ١٣ .

هذا ما ذهب اليه الجلالان - رحمهما الله - والنظر في روح المعاني عند تفسير هذه الآية ، يقول ما يفيد انهم يعبدون الكواكب ، ويتخذونها وسائل فصابة الروم تغرز الى الكواكب السيارة ، وصابئة الهند يفرعون الى الكواكب الثابتة . ومنهم عبدة الاصنام .

وابو حنيفة يرى انهم عبدة النجوم لا غير ، وقيل

هم عبدة الملائكة . (١)

وهنا نتساءل ؟ هل علماء القرن الاول الهجرى ذهبوا الى ما ذهب

اليه الجلالان أم لا ؟

لننظر ماذا قال ابن كثير وهو مفسر بالمأثور ، يذكر ابن كثير ان علي بن ابي طلحة روى عن ابن عباس ان هذه الآية : * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا * (٢)

انزل الله بعدها : * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ * (٣)

بمعنى ان الله سبحانه لا يقبل منها غير منهجه الذى ارتضاه لعباده وهو الاسلام وشريعة محمد بعد بعثته بما بعثه به . فأما قبل ذلك فكل تابع لرسوله ان اهتدى به نجا ، والا فهو هالك .

اما الصابئون فقال مجاهد : هم قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين ، وهذا رأى ذهب اليه عطاء وسعيد بن جبير ، وكان الحسن البصرى يذهب الى انهم قوم يعبدون الملائكة واكد هذا رأى قتادة واضاف انهم يقرءون الزبور ، ويصلون للقبلة .

(١) روح المعاني : ج ١ ص ٢٧٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٦٢ " .

(٣) سورة آل عمران : الآية " ٨٥ " .

ومجاهد والحسن وابن ابي نجيح قال كل منهم ان المجوس قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس .

وانتهى القرطبي الى انهم موحدون لكنهم يعتقدون تأثير الكواكب بذاتها ولذلك حكموا بكفرهم .

قال ابن كثير : واظهر الاقوال قول مجاهد ومن تابعه انهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وانما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه . (١)

ومن هنا نرى ان ما ذهب اليه مجاهد بن جبر هو الصواب ويؤيده ان اكثر العلماء ذهب الى هذا الرأي ، وقال ابن كثير : هذا اظهر الأقوال كما يؤيده ان كلمة (الصابئين) معطوفة على (الَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى) ، والعطف يقتضي المفارقة .

(١) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

ثالثا - روح المعاني في تفسير القرآن

والسبع المثاني للامام الآلوسي

التعريف بالمفسر :

هو الامام ابو الثناء شهاب الدين السيد محمود الالوسي (١) البغدادي مدرس دار السلطنة ، ومفتي بغداد .
ولد سنة سبع عشرة ومائتين بعد الالف " ١٢١٧ " هـ وتوفي سنة سبعين ومائتين والف " ١٢٧٠ " .

كان آية من آيات العلم بالتفسير المنقول والمعقول عالما في الاصول والفروع واشتغل بالتدريس والتأليف والافتاء ، وله ثروة علمية جلييلة ومفيدة ، منها روح المعاني ، الذي نحن بصدده ، وشرح السلم في المنطق ، والاجوبة العراقية من الاسئلة اللاهوتية ، والاجوبة العراقية على الاسئلة الايرانية وغيرها . (٢)

تفسيره :

يعتبر تفسيره من أجل التفاسير وأوفاهها ، واوسعها واجمعها ، فيسه خلاصة كل التفاسير السابقة له ، وله استدراقات قيمة ، وتعقيبات عميقة ، ولسه شخصيته العلمية البارزة ، وافكاره النيرة ، فكان كتابه جامعا لكل الالوان التفسيرية ومرضيا لجميع الازواق .

(١) الوس : بلدة على نهر الفرات معجم البلدان : ح ١ ص ٢٤٦ .

(٢) مقدمة روح المعاني : ح ١ ص ٢ ، ٤ .

وهو سلفي المذهب ، سني الاعتقاد ، يفند الآراء المخالفة لاهل السنة ، ويهتم في تفسيره بالصناعة النحوية ، ويستوفي مذاهب الفقهاء فسي الفقه مع الدليل دون تعصب ، كما انه يتعرض للمناسبات والقراءات واسباب النزول(١) فكتابه يعتبر موسوعة تفسيرية قيمة ، جمعت القريب والبعيد في التفسير لانه جمع خلاصة التفاسير التي قبله ، مع حواشيتها ، لاسيما حاشية الكشاف ، وحاشية الشهاب الخفاجي ، جمعها بعبارات سهلة مفهومة المراد .
ومن عنده هذا التفسير الجليل ، يمكنه ان يستغني عن كثير من التفاسير لانه يذكر زبدتها وخلصتها .

ومن محاسن هذا التفسير انه اذا تعرض لمسألة من المسائل المشهورة ذكر من ألف فيها بعض الرسائل ، كما يتعرض لقوال العلماء ، ولا يكون موقفه من هذه المسائل موقف الناقل فحسب ، وانما يقف منها موقف الناقد البصير والمرجح .

وبعد هذا التجوال الموجز مع الامام الالوسي في كتابه روح المعاني اعرض نموذجين يبدو فيهما ما يراه الالوسي مقارنا بما رجحه غيره من العلماء :
١ - قال تعالى في سورة البقرة :

* لَا اِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ
وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا * (٢)

اختلف المفسرون في معنى الطاغوت . فقال عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبي والضحاك وقتادة والسدي : الطاغوت : الشيطان .

(١) التفسير والمفسرون : ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٦٢ .

(٢) الآية " ٢٥٦ " .

وقال ابن سيرين وابوالعاليه : الطاغوت : الساحر .
وقال سعيد بن جبير ورفيع " ابوالعالية " وجابر بن عبد الله ،
وابن جريج : الطاغوت : الكاهن .
وقال قوم : الطاغوت : الاصنام .
وقال بعض العلماء : كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت . (١)

قال الالوسي :

" والاولى ان يقال بعمومه لسائر ما يظنى ، ويجعل الاقتصار على بعض
في تلك الاقوال من باب التمثيل . " (٢)
وقال ابن عطية :

" ... هذه امثلة - يريد ما جاء في الآثار المتقدمة - في الطاغوت لان

كل واحد منها له طغيان ، والشيطان اصل ذلك كله " (٣) .

واختار ابن كثير في معنى " الطاغوت " الشيطان : وقال : ان الشيطان
مصدر كل شر كان عليه اهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم اليها والاستنصار
بها . " (٤)

اما الطبرى فيرى ان الطاغوت : كل ذى طغيان على الله عبد من دونه

انسانا كان ذلك المعبود او شيطانا ، او وثنا او صنما او كائنا ما كان " (٥)

(١) المحرر الوجيز : ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٢) روح المعاني : ج ١ ص ١٣ .

(٣) المحرر الوجيز : ج ٢ ص ٢٨٣ .

(٤) تفسير ابن كثير : ج ١ ص ٣١١ .

(٥) تفسير الطبرى : ج ٥ ص ٤١٩ .

والذى يظهر ان مارآه الالوسي والطبرى في معنى " الطاغوت " هو الصحيح وذلك لان " الطاغوت يطلق على الشيطان ، والساحر ، والكاهن ، والاصنام . وكل راس ضلال ، وعلى كل ماعبد من دون الله وهذا المعنى الاخير يدخل فيه الشيطان والساحر والكاهن . . الخ .

٢ - وفي المراد بالحسنة في قوله تعالى :

* رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً * (١)

قال علي رضي الله عنه : " المرأة الصالحة ، وقال قتادة : العاقبة والكفاف .

وقال الحسن البصرى : العلم والعبادة . وقال السدى : المال الصالح وقال ابن عمر : الاولاد الابرار او ثناء الخلق .

اما الالوسي فقال :

" والظاهر ان الحسنة وان كانت نكرة في الاثبات وهي لاتعم الا انها مطلقة فتتصرف الى الكاملة والحسنة الكاملة في الدنيا مايشمل جميع

حسناتها وهو توفيق الخير وبيانها بشي * مخصوص ليس من باب تعيين

المراد ان لا دلالة للمطلق على المقيد اصلا وانما هو من باب التمثيل * (٢)

وقد فسر الجلال السيوطي " الحسنة " بالنعمة . (٣)

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٠١ " .

(٢) روح المعاني : ج ١ ص ٩١ .

(٣) تفسير الجلالين : ص ٤٢ .

وقال القرطبي :

" ... والذي عليه اكثر اهل العلم ان المراد بالحسنتين (١) نعم الدنيا والآخرة " .

وهذا هو الصحيح ، فان اللفظ يقتضي هذا كله ، فان " حسنة "

نكرة في سياق الدعاء ، فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل (٢) والذي اراه تبعاً للمفسرين ان الحسنة تشمل العافية في البدن ، والرزق والعلم والعبادة والمال الصالح وغير ذلك من انواع النعم فلا يخص شي من ذلك فالاولى ان تحمل على العموم .

هذه نماذج لبعض كتب التفسير بالاجتهاد اكتفى منها بهذا القدر

وارجوان تكون قد اعطت فكرة لهذا النوع من التفسير الاجتهادي وما كان من تفاسير العلماء في القرن الاول الهجري .

ويبين ما سبق ان الاجتهاد في آيات القرآن الكريم قد طغى على

التفسير المأثور واصبحت كتب التفسير بالرأى والاجتهاد مستقلة عن كتب التفسير بالمأثور وان كان الاستقلال والانفصال غير كامل .

(١) يريد ما جاء في قوله تعالى من سورة البقرة : الآية " ٢٠١ " :

* رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً *

(٢) تفسير القرطبي : ج ٢ ص ٤٣٢ .

الطائفة

الخاتمة

لعلي فيما مر بهي من ابواب وفصول ومباحث اكون قد وقفت - بعون الله وتوفيقه - على حقائق هامة ونتائج طيبة ومرضية ، اسجلها فيما يلي تبصرة وذكرى وتحصيلا للفائدة فأقول :

(١) ان التفسير في القرن الاول الهجري في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان وحيا من السماء سوا ما نزل من آيات أو ما قاله النبي عليه الصلاة والسلام وكلاهما وحي لقوله تعالى :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (١)

(٢) اما تفاسير الصحابة رضي الله عنهم فكانت معتمدة على العلم الذي ورثوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة ، وتكلموا مع ذلك بالاستنباط والاجتهاد ، وقد تفاوتوا في القدر الذي اخذه كل منهم من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك في قدر استنباطهم واجتهادهم في الآيات القرآنية ، فكان بعضهم اوعى للتفسير من بعض ، وكان بعضهم اكثر اجتهادا من بعض ، وكان بعضهم ايضا اشد تهيبا وتعظيما للتفسير من بعض .

والذي يهدو ان مجموع ما قالوه عن النبي صلى الله عليه وسلم استنباطا واجتهادا يكون تفسيرا كاملا للقرآن الكريم .

(١) سورة النجم : الآيتان " ٣ ، ٤ " .

(٣) اما مصادر تفاسير التابعين رحمهم الله فكانت القرآن والسنة والتلقي عن الصحابة رضي الله عنهم بالاضافة الى اقوال اهل الكتاب ، ممن يهود ونصارى * وكان ذلك من بعض التابعين الذين تساهلوا في الاخذ عنهم .

(٤) اما التفاسير في عهد اتباع التابعين فكانت جمعا مستوعبا لاقوال ممن تقدمهم من الصحابة والتابعين وتدوينها في الكتب ، وفي عهدهم انتقل التفسير من مرحلة الرواية الشفوية الى مرحلة التدوين ، وتكمن قيمة هذه التفاسير في تعدد الاقوال وكثرتها وضروب الاجتهاد والاستنباط الذي شمل آيات القرآن الكريم جميعها ، وكانت تظهر شخصية المفسر نفسه بما يرجحه او يعتد به .

(٥) معالجة الصحابة والتابعين للآيات المتعلقة بالعقيدة كانت معالجة موضوعية ، وذلك لان عقيدتهم كانت نقية صافية ، واتجاهاتهم كانت موحدة ، وأفكارهم متقاربة وخالية من التكلف والشطط ، على الرغم من تسرب افكار اهل الكتاب - الذين دخلوا في الاسلام - الى بعض التابعين الا ان هذه الافكار لم تغير او تؤثر في عقيدتهم وفكرهم الاسلامي فظلت العقيدة صافية .

(٦) اما موقف الصحابة والتابعين تجاه آيات الاحكام فكل ادلي بدلوه في هذا المجال ، وذلك لان الآيات المتعلقة بالاحكام ذات مفهوم واسع فتوهدى الى شحذ الازهان وفتح الباب للاجتهاد للتوصل الى فيصل القول في معرفة الحكم .

وكان الصحابة وهم يشاهدون نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ويطلعون على اسباب النزول واحوال من نزل فيهم القرآن

وغير ذلك ، قد يرى احدهم مالا يرى الآخر ، ويسمع مالا يسمعه الآخر وكان بعضهم كثير الملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم فتأتي اقوالهم مختلفة في الاحكام ، وعند تفرقهم في الامصار واجتماع طلاب العلم حولهم كان لكل صحابي قوله معتمدا في ذلك على ماسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم اولفقه عن صحابي آخر أو على اجتهاده الخاص ان لم يكن شئ * عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يقضي فيه وهذا ما ينطبق على التابعين تجاه الصحابي الذي يأخذون عنه .

(٧) اما موضوعات الاخلاق فقد التزموا بها قولا وفعلا كيف لا وقد كانت لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة . وفي ضوء ما سبق اوصي الباحثين بعدى في هذا المجال بالاهتمام بالتراث التفسيري للصحابة والتابعين وان كنت قد القيت الضوء على تفاسير بعضهم أرى ان يفرد لكل صحابي ولكل تابعي بحث مستقل به تجمع فيسه الروايات الواردة في تفسيره من كتب التفسير بالمأثور والسنن والمصنفات وغيرها وتميز من حيث القوة والضعف ، ويوضح المنهج الذي اتبعه الصحابي او التابعي في تفسيره ونكون بذلك قد اضعنا الى تراثنا الاسلامي الجديد والمفيد .

وأخيرا فهذه رسالتي عن " التفسير في القرن الاول الهجري " ارجو من الله تبارك وتعالى ان تنال القبول وان ينفع بها ، انه سميع الدعاء ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم و (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ) و (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ مَا يَصِفُونَ ، وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

نَبِيٌّ بِأَسْمَاءِ الْمُصَادِرِ وَالْمُرْتَبِعِ

المصادر والمراجع

أولا :

- (١) القرآن الكريم
ثانيا - كتب التفسير :

<u>اسم المؤلف والطبعة</u>	<u>اسم الكتاب</u>
ابوبكر احمد بن علي الرازي الجصاص " ت ٣٧٠ هـ " تحقيق : محمد الصادق قماوي . الناشر : دار المصحف .	(٢) احكام القرآن
ابوبكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي . " ت ٥٤٣ هـ " . تحقيق : علي محمد البجاوي ط / دار المعرفة - بيروت .	(٣) احكام القرآن
محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان " ت ٧٥٤ هـ " ط / دار الفكر - بيروت .	(٤) تفسير البحر المحيط
جلال الدين محمد بن احمد المحلي . " ت ٨٦٤ هـ " . وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي " ت ٩١١ هـ " ط / دار الكتاب العربي - بيروت .	(٥) تفسير الجلالين
ابوعبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي " ت ١٦١ هـ " . ط ١ / دار الكتب العلمية . محمد رشيد رضا .	(٦) تفسير سفيان الثوري
ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م . ابو الفداء عماد الدين بن كثير " ت ٧٧٤ هـ " . ط / دار احياء الكتب العربية / عيسى الحلبي .	(٧) تفسير القرآن الحكيم المسمى " تفسير المنار "
فخر الدين الرازي . ابو عبد الله الطبرستاني ، " ت ٦٠٦ هـ " ط ٢ / دار الكتب العلمية / طهران	(٨) تفسير القرآن العظيم
	(٩) التفسير الكبير

- (١٠) تفسير مجاهد
ابو الحجاج مجاهد بن جبر " ت ١٠٤ هـ "
تحقيق : عبدالرحمن الطاهر بن محمد السورتي
المنشورات العلمية / بيروت .
- (١١) التفسير ورجاله
محمد الفاضل بن عاشور .
ط / مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٩٠ هـ
٠م ١٩٧٠ .
- (١٢) التفسير والمفسرون
محمد حسين الذهبي .
ط ٢ / دار الكتب الحديثة .
تصحيح وتحقيق : محمد الصادق قضاوي ،
وعبد الحفيظ محمد عيسى .
الناشر / دار الانوار المحمدية .
- (١٤) جامع البيان عن تأويل
آي القرآن
ابو جعفر محمد بن جرير الطبري " ت ٣١٠ هـ "
تحقيق : محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر
ط ٢ / دار المعارف / مصر .
- (١٥) الجامع لاحكام القرآن
ابوعبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الانصاري
القرطبي " ت ٦٧١ هـ " .
ط / دار الكاتب العربي / القاهرة .
- (١٦) الدر المنثور في التفسير
بالمأثور
جلال الدين السيوطي
ط / دار المعرفة / بيروت .
- (١٧) روح المعاني في تفسير
القرآن العظيم والسبع المثاني
ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي
البغدادى . " ت ١٢٧٠ هـ "
ط / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م دار الفكر / بيروت .
- (١٨) زاد المسير في علم التفسير
ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن
محمد الجوزي القرشي البغدادي .
" ت ٥٩٧ هـ " ط ١ / المكتب الاسلامي .
- (١٩) الفتوحات الالهية بتوضيح
تفسير الجلالين للدقائق
الخفية " حاشية الجمل على
الجلالين " .
ط / عيسى الحلبي / مصر

- (٢٠) الكشاف عن حقائق التنزيل
وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل .
ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري
" ت ٥٣٨ هـ " .
ط / دار المعرفة / بيروت .
- (٢١) المحرر الوجيز في تفسير
الكتاب العزيز .
الاندلسي " ت ٥٤٦ هـ " .
تحقيق : المجلس العلمي بفاس .
ط / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .
مصطفى الصاوي الجويني
الناشر / منشأة المعارف بالاسكندرية .
- (٢٢) مناهج في التفسير .
- ثالثا - كتب علوم القرآن :
-
- (٢٣) الاتقان في علوم القرآن
جلال الدين السيوطي .
ط ٤ / مصطفى البابي الحلبي .
- (٢٤) اسباب النزول
ابو الحسن علي بن احمد الواحدى النيسابورى
" ت ٤٦٨ هـ " .
ط ٢ / مصطفى البابي الحلبي . .
بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ،
" ت ٧٩٤ هـ " تحقيق : محمد ابوالفضل ابراهيم
ط ٢ / دار المعرفة / بيروت .
- (٢٦) التبيان في اداب حملة القرآن
ابوزكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى
الشافعي ، " ت ٦٧٦ هـ " .
ط / دار المعرفة / بيروت .
- (٢٧) لباب النقول في اسباب النزول
جلال الدين السيوطي .
ط ٣ / دار احياء العلوم / بيروت .
- (٢٨) مباحث في علوم القرآن
صبحي الصالح .
ط ١ / دار العلم للملايين / بيروت .
- (٢٩) معجم غريب القرآن مستخرجا
من صحيح البخارى
محمد فؤاد عبد الباقي .
ط ٢ / دار المعرفة / بيروت .

- (٣٠) المفردات في غريب القرآن
ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب
الاصفهاني " ت ٥٠٢ هـ " .
تحقيق محمد سيد كيلاني .
ط / دار المعرفة / بيروت .
- (٣١) مقدمتان في علوم القرآن
" مقدمة كتاب المبانسي
ومقدمة ابن عطية " .
نشر آرثر جفري
تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوي .
ط ٢ / مكتبة الخانجي بالقاهرة .
محمد عبد العظيم الزرقاني .
- (٣٢) مناهل العرفان في علوم
القرآن .
دار احياء الكتب العربية / عيسى الحلبي .
- رابعاً - كتب الحديث :

- (٣٣) تحفة الاحوذى بشرح جامع
الترمذى
ابو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم
المباركفوري : " ت ١٣٥٣ هـ " .
تصحيح : عبد الرحمن محمد عثمان وعبد الوهاب
عبد اللطيف . ط ٣ / دار الفكر .
ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني .
" ت ٢٧٥ هـ " .
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .
ط / عيسى الحلبي .
- (٣٤) سنن ابن ماجه
علي بن عمر الدارقطني " ت ٣٨٥ هـ " .
تحقيق : عبد الله هاشم يماني .
ط / دار المحاسن للطباعة / القاهرة .
ابوبكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ،
" ت ٤٥٨ هـ " .
ط ١ / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية .
ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي .
- (٣٥) سنن الدارقطني
" بذيله التعليق المغني " .
" ت ٣٠٣ هـ " .
ط / المكتبة العلمية / بيروت .
- (٣٦) السنن الكبرى
" بشرح جلال الدين السيوطي " .
- (٣٧) سنن النسائي

- (٣٨) صحيح البخارى
ابوعبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى
" ت ٢٥٦ هـ " .
ط / دار ومطابع الشعب .
- (٣٩) صحيح مسلم بشرح النووي
ابوزكريا يحيى الدين يحيى بن شرف النووي
الشافعي . ط / المطبعة المصرية ومكتبتها .
- (٤٠) عارضة الاحوذى بشرح
صحيح الترمذى .
ابوبكر محمد بن عبد الله " ابن العربي " .
ط ١ / مطبعة السعادة بمصر .
- (٤١) عون المعبود شرح سنن
ابي داود .
ابوالطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى .
تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان .
ط / دار الفكر .
- (٤٢) فتح البارى بشرح صحيح
البخارى .
احمد بن علي بن حجر العسقلاني " ت ٨٥٢ هـ " .
تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز .
المكتبة السلفية .
- (٤٣) رياض الصالحين من كلام
سيد المرسلين .
ابوزكريا يحيى الدين يحيى بن شرف النووي
الشافعي .
ط / مكتبة الجمهورية العربية / مصر .
- (٤٤) المسند
احمد بن حنبل ، " ت ٢٤١ هـ " .
ط / دار صادر / بيروت .
- (٤٥) المصنف
ابوبكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني .
" ت ٢١١ هـ " . تحقيق : حبيب الرحمن
الاعظمي ، ط ١ / المجلس العلمي .
- (٤٦) الموطأ
ابوعبد الله مالك بن انس " ت ١٧٩ هـ " .
تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي .
ط / دار احياء التراث العربي .
- (٤٧) نيل الاوطار من احاديث
سيد الاخبار شرح منتقى
الاخبار .
محمد بن علي بن محمد الشوكاني " ت ١٢٥٥ هـ " .
ط ١٩٧٣ م / دار الجيل / بيروت .

خامسا - كتب علوم الحديث :

- (٤٨) تدريب الراوى في شرح
تقريب النواوى
جلال الدين السيوطي .
تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف .
ط / دار الفكر .
- (٤٩) تلخيص الحبير في تخريج
احاديث الرافعي الكبير
احمد بن علي بن حجر العسقلاني .
تصحيح وتعليق : عبد الله هاشم اليماني /
المدينة المنورة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- (٥٠) حسن الاثر فيما فيه ضعف
واختلاف من حديث وخبر
وأثر .
محمد بن السيد درويش
الناشر / دار المعرفة / بيروت .
- (٥١) الكاشف في معرفة من له
رواية في الكتب الستة .
ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي
" ت ٧٤٨ هـ " .
ط / دار الكتب العلمية / بيروت .
- (٥٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي .
" ت ٨٠٧ هـ " بتحرير العراقي وابن حجر
ط ٣ / منشورات دار الكتاب العربي / بيروت
- (٥٣) مقدمة ابن الصلاح فسي
علوم الحديث
ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري
المعروف بابن الصلاح " ت ٦٤٢ هـ " .
ط / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / دار الكتب
العلمية / بيروت .
- (٥٤) ميزان الاعتدال في نقد
الرجال
ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي
تحقيق علي محمد البجاوى .
ط ١ / دار المعرفة / بيروت .
- (٥٥) النهاية في غريب الحديث
والاثر
مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد
الجزري ، ابن الاثير " ت ٦٠٦ هـ " .
تحقيق : محمود محمد الطناحي .
ط / دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي

سادسا - كتب التراجم :

- (٥٦) الاستيعاب في معرفة الاصحاب .
ابوعمر يوسف بن عبد البر " ت ٤٣٦ هـ " .
تحقيق طه محمد الزيني .
ط ١ / الناشر : مكتبة الكليات الازهرية .
- (٥٧) اسد الغابة في معرفة الصحابة .
عزالدين بن الاثير ابي الحسن علي بن محمد
الجزري " ت ٦٣٠ هـ " .
تحقيق : محمد ابراهيم البنا ومحمد احمد عاشور
ط / دار الشعب .
- (٥٨) الاصابة في تمييز الصحابة .
احمد بن علي بن حجر العسقلاني .
ط ١ /
- (٥٩) الاعلام .
خيرالدين الزركلي . ط / ٣
- (٦٠) تذكرة الحفاظ
ابوعبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي .
ط / دار احياء التراث العربي .
- (٦١) تهذيب الاسماء واللغات
ابوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي
ط / دار الكتب العلمية / بيروت .
- (٦٢) تهذيب التهذيب
احمد بن علي بن حجر العسقلاني .
ط ١ / مجلس دائرة المعارف في الهند ،
دار صادر / بيروت .
- (٦٣) تهذيب الكمال في اسماء الرجال .
جمال الدين ابي الحجاج يوسف المزي
" ت ٧٤٢ هـ " . نسخة مصورة عن النسخة
الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية .
دار المأمون للتراث / بيروت .
- (٦٤) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء
ابونعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني
" ت ٤٣٠ هـ " .
ط ٢ / دار الكتاب العربي / بيروت .
- (٦٥) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة .
احمد بن علي بن حجر العسقلاني
تحقيق : محمد جاد المولى .
ط ٢ / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

- (٦٦) شذرات الذهب في اخبار
من ذهب
ابوالفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي
ت ١٠٨٩ هـ .
ط / المكتب التجاري / بيروت .
- (٦٧) طبقات الحفاظ
جلال الدين السيوطي .
ط ١ / الاستقلال .
- (٦٨) طبقات الشافعية
الناشر : مكتبة وهبه ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
جمال الدين عبد الرحيم الاسنوي ت ٧٧٢ هـ .
تحقيق : عبد الله الجبوري .
ط / دارالعلوم ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
وط ١ / الارشاد / بغداد .
- (٦٩) طبقات الشافعية الكبرى
تاج الدين ابي النصر عبد الوهاب علي بن
عبد الكافي السبكي . ت ٧٧١ هـ .
تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو .
ط ١ / عيسى الحلبي ، وط ١ / الحسينية .
- (٧٠) طبقات الفقهاء
ابواسحاق الشيرازي الشافعي ت ٤٧٦ هـ .
تحقيق الدكتور احسان عباس .
الناشر : دار الرائد العربي - بيروت ١٩٧٠ م .
محمد بن سعد ت ٢٣٠ هـ .
- (٧١) الطبقات الكبرى
دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر / ١٣٧٧ هـ
١٩٥٧ م .
- (٧٢) طبقات المفسرين
شمس الدين محمد بن علي بن احمد الداودي
ت ٩٤٥ هـ .
تحقيق علي محمد عمر .
ط ١ / مطبعة الاستقلال .
- (٧٣) غاية النهاية في طبقات
القراء .
شمس الدين ابو الخير محمد بن الجزري .
ت ٨٣٣ هـ .
عنى بنشره ج برجستراسر .
ط / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

- (٧٤) معجم الادباء
ابوعبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
البغدادى " ت ٦٢٦ هـ " .
ط / دار المأمون ، و ط / الاخيرة .

سابعا - كتب التاريخ والسيرة :

- (٧٥) البداية والنهاية
ابوالفداء عماد الدين بن كثير .
ط / مكتبة دار المعارف / بيروت .
- (٧٦) تاريخ التراث العربي .
فؤاد سزكين .
نقله الى العربية محمود فهسي حجازى وفهسي
ابوالفضل .
ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧ م .
- (٧٧) تاريخ الخلفاء
جلال الدين السيوطي .
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
ط ١ / مطبعة السعادة .
- (٧٨) التاريخ الكبير
ابوعبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى
ط / دار الكتب العلمية / بيروت .
- (٧٩) زاد المعاد في هدى
خير العباد
ابوعبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي دمشقي
" ابن قيم الجوزية " ت ٧٥١ هـ " .
تحقيق : شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط
ط / مؤسسة الرسالة / مكتبة المنار الاسلامية .
- (٨٠) سير اعلام النبلاء
ابوعبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي .
تحقيق : شعيب الارنؤوط .
ط ٢ / مؤسسة الرسالة / بيروت .
- (٨١) السيرة النبوية
ابن هشام .
تحقيق : مصطفى السقا و ابراهيم اليبارى ،
وعبد الحفيظ شلبي .
ط / ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م مطبعة مصطفى
الحلبي .

- (٨٢) معجم البلدان
ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي
البغدادى .
ط / دار احياء التراث العربى / بيروت .
وط / دار صادر للطباعة والنشر ١٣٧٦ هـ -
١٩٥٧ م .
- (٨٣) مقدمة ابن خلدون
عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي .
" من القرن الثامن الهجرى " ط / ٤
جمع وترتيب محمد امين الخانجي
ط ١ / مطبعة السعادة / مصر .
- (٨٤) منجم العمران في المستدرك
على معجم البلدان .
ثامنا - كتب العقيدة :

- (٨٥) شرح العقيدة الطحاوية
علي بن علي بن محمد بن ابي العز الحنفي
" ت ٧٩٢ هـ " .
ط / المكتب الاسلامي .
- (٨٦) كتاب التوحيد واثبات صفات
الرب عز وجل التي وصف
بها نفسه في تنزيله الذى
أنزله على نبيه المصطفى وعلى
لسان نبيه الذى نقل الاخبار
الثابتة نقل العدل عن
العدل من غير قطع فسي
الاسناد ولا جرح في ناقل
الاخبار الثقات .

تاسعا - كتب الفقه وأصوله :

- (٨٧) بداية المجتهد ونهاية المقتصد
ابو الوليد محمد بن احمد بن احمد بن
رشد القرطبي " ت ٥٩٥ هـ .
ط ٦ / دار المعرفة / بيروت .
- (٨٨) الروض المربع شرح زاد المستقنع
منصور بن يونس بن ادريس البهوتي .
ط / ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م / مطبعة السعادة
بمصر .
- (٨٩) مجموع الفتاوى
ابو العباس تقي الدين احمد بن تيمية
" ت ٧٢٨ هـ .
جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصي
النجدي الحنبلي .
ط ٢ / ١٣٩٩ هـ .
- (٩٠) المحلى
ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم
" ت ٤٥٦ هـ .
منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر
والتوزيع / بيروت .
- (٩١) المغني
ويليه الشرح الكبير
موفق الدين ابن قدامة " ت ٦٣٠ هـ .
شمس الدين ابن ابي عمر بن قدامة المقدسي
" ت ٦٨٢ هـ .
ط / دار الكتاب العربي / بيروت ،
١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .
- (٩٢) الموافقات في اصول الشريعة
ابو اسحاق الشاطبي وهو ابراهيم بن موسى
اللحمي الفرناطي المالكي " ت ٧٩٠ هـ
ط ٢ .

عاشرا - كتب الاخلاق :

(٩٣) احياء علوم الدين
ابو حامد محمد بن محمد الفزالي " ت ٥٠٥ هـ "
ط / دار احياء الكتب العربية / عيسى الحلبي /
مصر .

(٩٤) مدارج السالكين بين منازل
ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي
اياك نعبد واياك نستعين .
" ابن قيم الجوزية " .

حادى عشر - كتب اللغة :

(٩٥) تاج العروس من جواهر
محمد مرتضى الزبيدي .
القاموس .
ط / منشورات دار مكتبة الحياة / بيروت .

(٩٦) القاموس المحيط
ترتيب
مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشيرازى
الطاهر احمد الزاوى .

ط / دار الكتب العلمية / بيروت ١٣٩٩ هـ /
١٩٧٩ م .

(٩٧) المصباح المنير في غريب
احمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي
الشرح الكبير .
" ت ٧٧٠ هـ " .

تحقيق مصطفى السقا . ط / مصطفى الحلبي .

(٩٨) معجم مقاييس اللغة
ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا " ت ٣٩٥ هـ "
تحقيق : عبد السلام هارون .

ط ٢ / شركة ومطبعة الباهي الحلبي / مصر .
مجمع اللغة العربية .

ط ١ / دار المعارف / مصر .

(٩٩) المعجم الوسيط

جمال الدين محمد بن منظور " ت ٧١١ هـ " .

(١٠٠) لسان العرب

اعداد وتصنيف : يوسف خياط ، ونديم مرعشلي .

ثاني عشر - كتب متنوعة :

- (١٠١) التذكرة في احوال الموتى
وامور الآخرة .
ابوعبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الانصاري
القرطبي .
تحقيق : احمد حجازي السقا .
ط / المكتبة العلمية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
- (١٠٢) حادي الارواح الى بلاد
الافراح
ابوعبد الله محمد بن ابي بكر الزوعي الدمشقي .
ابن قيم الجوزية .
ط / دار الكتب العلمية / بيروت .

فهرس الموضوعات

فهرس تفصلي

رقم الصفحة	الموضوع
ب	الشكر والتقدير
ج	فهرس اجمالي
	<u>المقدمة :</u>
ز	موضوع الرسالة
ز	اسباب اختيار الموضوع
ز-ك	منهج البحث والدراسة
١	<u>التمهيد :</u>
٢	نشأة التفسير بالمأثور
٣	التفسير لغة
٤	التفسير اصطلاحا
٦	المأثور لغة
٨	المفسرون من الصحابة
١٠	المفسرون من التابعين
١١	نشأة مدارس التفسير
١٢	مدرسة التفسير بمكة
١٢	مدرسة التفسير بالمدينة
١٢	مدرسة التفسير بالعراق
	<u>الباب الاول</u>
١٣	اعلام المفسرين
١٤	<u>الفصل الاول :</u> المفسرون من الصحابة
١٥	<u>عبد الله بن عباس</u>
١٥	ترجمته ومولده

رقم الصفحة	الموضوع
١٦	مكانته العلمية
١٩	منهجه في تفسير القرآن
١٩	رجوعه الى الشعر
٢٥	استيضاح اهل الكتاب
٢٨	الافادة في فهم مقصود الآيات من علمه بأسباب نزولها ..
٣٢	الافادة من المنهج النقلي
٣٥	التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع
٣٨	طرق الرواية عنه
٤٢	التفسير المنسوب اليه
٤٤	وفاته
٤٥	<u>عبد الله بن مسعود :</u>
٤٥	ترجمته
٤٦	مكانته العلمية
٤٨	منهجه في التفسير
٤٨	المنهج النقلي
٥٢	علمه بمحكم القرآن ومتشابهه
٥٣	علمه بالحلال والحرام
٥٤	علمه بقصص القرآن
٥٥	القراءات التفسيرية في منهجه
٥٩	طرق الرواية عنه
٦٠	وفاته

رقم الصفحة	الموضوع
٦١	<u>علي بن ابي طالب :</u>
٦١	ترجمته
٦٢	مكانته العلمية
٦٤	منهجه في التفسير
٦٤	اقواله في التفسير المنقول
٦٦	تفسيره بالاجتهاد
٦٧	اقواله في تفسير آيات الاحكام
٦٨	طرق الرواية عنه
٦٩	وفاته
٧٠	<u>أبي بن كعب :</u>
٧٠	ترجمته
٧١	مكانته العلمية
٧٣	منهجه في التفسير
٧٣	علمه بما في الكتب القديمة
٧٤	التزامه في التفسير بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٦	علمه بأسباب ومواضع النزول
٧٧	القراءات التفسيرية في منهجه
٧٨	الزيادات البيانية
٧٩	الزيادات الفقهية
٨١	طرق الرواية عنه
٨٢	وفاته

رقم الصفحة	الموضوع
٨٣	<u>ابو موسى الأشعري :</u>
٨٣	ترجمته
٨٤	مكانته العلمية
٨٦	منهجه في التفسير
٨٦	تفسيره بالمنقول من الأقوال
٨٧	تفسيره الموقوف عليه
٨٩	طرق الرواية عنه
٩٠	وفاته
٩١	<u>أنس بن مالك :</u>
٩١	ترجمته
٩٣	مكانته العلمية
٩٥	نماذج من تفسيره
٩٦	أهم أتباعه
٩٨	وفاته
٩٩	قيمة التفسير المأثور عن الصحابة
١٠٠	مميزات التفسير في عهد الصحابة
١٠٢	<u>الفصل الثاني :</u> المفسرون من التابعين
١٠٣	<u>المبحث الأول :</u> تراجم لأهم أتباع عبد الله بن عباس : -----
١٠٤	<u>مجاهد بن جبر :</u>
١٠٤	ترجمته
١٠٤	مكانته العلمية
١٠٧	منهجه في التفسير

رقم الصفحة	الموضوع
١٠٩	نماذج من تفسيره بالرأى
١١١	نماذج من تفسيره اللغوى
١١٣	تفسيره القرآن بالقرآن
١١٤	وفاته
١١٥	<u>عكرمة مولى ابن عباس :</u>
١١٥	ترجمته
١١٥	اختلاف العلماء في توثيقه
١١٦	شهادات الموثقين له
١١٦	اقوال العلماء في الاشادة بمكانته العلمية
١٢٠	مطاعن من لا يوثقونه
١٢١	الرد على هذه المطاعن
١٢٥	نماذج من تفسيره
١٢٨	وفاته
١٢٩	<u>عطاء بن ابي رباح :</u>
١٢٩	ترجمته
١٢٩	مكانته العلمية
١٢٩	منهجه في التفسير
١٣١	نماذج من تفسيره
١٣٢	تفسيره بالمنقول من الاقوال
١٣٣	تفسيره الاجتهادى
١٣٤	وفاته

رقم الصفحة	الموضوع
١٣٥	المبحث الثاني : تراجم لاهم اتباع عبد الله بن مسعود :
١٣٦	<u>علقة بن قيس :</u>
١٣٦	ترجمته
١٣٦	مكانته العلمية
١٣٩	نماذج من تفسيره
١٤٠	وفاته
١٤١	<u>مسروق بن الاعدع :</u>
١٤١	ترجمته
١٤١	مكانته العلمية
١٤٢	توثيق العلماء له
١٤٣	نماذج من تفسيره
١٤٦	وفاته
١٤٧	<u>الحسن البصرى :</u>
١٤٧	ترجمته
١٤٨	مكانته العلمية
١٤٩	نماذج من تفسيره
١٤٩	اقواله في التفسير المنقول
١٥٠	تفسيره الاجتهادى
١٥٢	وفاته

رقم الصفحة	الموضوع
١٥٢	<u>قتادة بن دعامة السدوسي :</u>
١٥٢	ترجمته
١٥٢	مكانته العلمية
١٥٥	توثيق العلماء له
١٥٦	منهجه في التفسير
١٥٦	نماذج من تفسيره
١٥٦	اقواله في التفسير المنقول
١٥٨	تفسيره الفقهي
١٥٩	وفاته
١٦٠	المبحث الثالث : تراجم لاهم اتباع أبي بن كعب :
١٦١	<u>ابو العالية الرباعي :</u>
١٦١	ترجمته
١٦١	مكانته العلمية
١٦٢	منهجه في التفسير
١٦٢	نماذج من تفسيره
١٦٢	تفسيره بالمنقول من الاقوال
١٦٣	تفسيره الاجتهادي
١٦٤	وفاته
١٦٥	<u>محمد بن كعب القرظي :</u>
١٦٥	ترجمته
١٦٥	مكانته العلمية
١٦٦	نماذج من تفسيره
١٦٨	وفاته

رقم الصفحة	الموضوع
١٦٩	<u>زيد بن اسلم :</u>
١٦٩	ترجمته
١٦٩	مكانته العلمية
١٧٠	منهجه في التفسير
١٧٣	نماذج من تفسيره بالاجتهاد
١٧٤	وفاته
١٧٥	قيمة التفسير المأثور عن التابعين
	<u>الباب الثاني</u>
١٧٧	قضايا التفسير :
	<u>الفصل الأول : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن</u>
١٧٨	في آيات العقيدة :
	<u>المبحث الاول : روية النبي صلى الله عليه وسلم لربه</u>
١٧٩	عز وجل في الدنيا
١٨٠	الروية لغة
١٨٠	بم تكون الروية
١٨١	اقوال العلماء في الروية
	<u>القول الاول : اثبات روية النبي صلى الله عليه وسلم لربه</u>
١٨١	في الدنيا :
	<u>القول الثاني : نفي روية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه</u>
١٩٦	في الدنيا
١٩٩	الجمع بين القولين :
٢٠٣	روية الله عز وجل بالقلب في الدنيا :

رقم الصفحة	الموضوع
٢٠٤	روية الله عز وجل في المنام
٢٠٥	روية الله تعالى في الآخرة
٢١١	المبحث الثاني : مرتكب الكبيرة
٢١٣	انقسام المعاصي الى كبائر وصغائر
٢١٥	تعريف الكبيرة
٢١٦	تعريف الصغيرة
٢١٧	اكبر الكبائر
٢١٩	حكم مرتكب الكبيرة
٢٣١	المبحث الثالث : الجن
٢٣٢	الجن في اللغة
٢٣٢	الشیطان في اللغة
٢٣٣	ابليس في اللغة
٢٣٣	الجن على مراتب
٢٣٤	الخلاصة
٢٣٤	طوائفهم
٢٣٥	مّ خلقوا ؟
٢٣٦	اثبات وجودهم
٢٣٧	امكان رؤيتهم
٢٣٨	الجن لا يعلمون الغيب
٢٤٠	هل كان ابليس من الملائكة
٢٤٢	هل هم مكلفون ؟
٢٤٣	هل كان فيهم نبي ؟
٢٤٤	استماعهم القرآن

رقم الصفحة	الموضوع
٢٤٧	تسخير الجن لسليمان عليه السلام
٢٤٨	كل انسان معه شيطان
٢٤٩	خذلان الشيطان للانسان
٢٥١	لاسلطان للشيطان على المؤمنين
٢٥٢	مقاومة الشيطان
٢٥٥	<u>المبحث الرابع : اليوم الآخر</u>
٢٥٦	مفهوم اليوم الآخر
٢٥٧	اهتمام القرآن به
٢٥٨	الغاية من خلق الانسان
٢٥٩	بداية اليوم الآخر
٢٦٢	مواعده
٢٦٤	امارات الساعة
٢٦٨	النفخ في الصور
٢٦٩	امكان البعث
٢٦٩	كيفية الاعادة
٢٧٠	طريقة البرهان
٢٧٣	طريقة العيان
	<u>الفصل الثاني : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في</u>
٢٧٧	آيات الاحكام
٢٧٨	<u>المبحث الأول : قصر صلاة السفر</u> :
٢٧٩	معنى القصر
٢٨٠	حكم القصر

رقم الصفحة	الموضوع
٢٨٠	القول الأول : ان القصر واجب
٢٨٣	القول الثاني : ان القصر رخصة
٢٨٤	المسافة التي يجوز فيها القصر
٢٨٨	السفر الذي يجوز فيه القصر
٢٨٩	متى يبدأ المسافر في قصر الصلاة
٢٩٠	مقدار الزمان الذي يجوز فيه القصر
٢٩٦	<u>المبحث الثاني</u> : مواضع سجود التلاوة :
٢٩٧	معنى السجود
٢٩٧	حكم سجود التلاوة
٢٩٩	مواضع السجود
٣٠٨	اعضاء السجود
٣٠٩	ما يقال في السجود
٣١٠	هل تشترط الطهارة
٣١١	هل فيه تحليل بالسلام
٣١١	سجود المستمع اذا سجد التالي
٣١٣	ماذا يفعل السامع ان لم يسجد القارىء
٣١٣	هل تقضى السجدة
٣١٤	قراءة السجدة في الصلاة
٣١٦	<u>المبحث الثالث</u> : حكم العمرة
٣١٧	العمرة في اللغة
٣١٧	العمرة في الشرع
٣١٧	فضلها

رقم الصفحة	الموضوع
٣١٨	تكرارها
٣١٩	وقتها
٣٢٠	ميسقاتها
٣٢١	حكمها
٣٢٢	ادلة القائلين بالوجوب
٣٢٤	الآثار عن الصحابة والتابعين
٣٢٨	ادلة القائلين بعدم الوجوب
٣٣٢	الرأى الراجح
	<u>الفصل الثالث : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن</u>
٣٣٤	في آيات الاخلاق
٣٣٥	<u>المبحث الأول : الامانة</u>
٣٣٦	الامن في اللغة
	اقوال الصحابة والتابعين في معنى الامانة في قوله تعالى
٣٣٧	* انا عرضنا الامانة ... *
	معنى الامانة في قوله تعالى : * والذين هم لاماناتهم
٣٣٩	وعهدهم راعون ... *
٣٤٦	<u>المبحث الثاني : الصدق</u>
٣٤٧	الصدق لغة
٣٤٧	حقيقته
٣٤٨	قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك

رقم الصفحة	الموضوع
٣٥٤	المبحث الثالث : الصبر
٣٥٥	الصبر لغة
٣٥٥	حقيقته
٣٥٨	انواعه
٣٥٨	الصبر على الطاعة
٣٦٠	الصبر على النوازل
٣٦٢	الصبر عن المعاصي
<u>الباب الثالث</u>	
٣٦٤	الاتباع في تفسير القرآن
٣٦٥	<u>الفصل الأول : شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين</u>
٣٦٦	الشرط الاول
٣٦٦	الشرط الثاني
٣٦٧	الشرط الثالث
٣٦٧	الشرط الرابع
٣٦٧	الشرط الخامس
٣٦٨	الشرط السادس
٣٦٨	العلوم التي يحتاجها المفسر
٣٧٤	تقسيم الشيخ محمد عبده التفسير الى مرتبتين
٣٧٤	المرتبة العليا
٣٧٥	المرتبة الدنيا

رقم الصفحة	الموضوع
٣٧٧	<u>الفصل الثاني</u> : بين التفسير في القرن الاول وما جاء بعده :
٣٧٨	المصادر التي اعتمد عليها الصحابة في تفسير القرآن ..
٣٧٨	المصدر الأول : القرآن الكريم
٣٨٠	المصدر الثاني : النقل من الرسول صلى الله عليه وسلم ...
٣٨٣	المصدر الثالث : الاجتهاد وقوة الاستنباط
٣٨٥	هل استقى الصحابة تفسير القرآن الكريم من اليهود والنصارى
٣٨٧	التفسير في عصر التابعين
٣٨٩	التفسير في عصر اتباع التابعين
٣٩٠	انفصال التفسير عن الحديث
٣٩١	تدرج التفسير من طور الرواية والنقل الى طور التدوين ..
٣٩٤	تفسير بقي بن مخلد
٣٩٥	<u>تفسير الطبرى</u>
٣٩٥	ترجمة للامام الطبرى
٣٩٥	مبلغه من العلم
٣٩٦	تفسيره
٣٩٨	منهجه في التفسير
٣٩٨	اعتماده على المأثور من الاقوال
٤٠١	بعده عن التفسير بالرأى
٤٠٤	القراءات في تفسيره
٤٠٥	بعده عن التعمق فيما لافائدة فيه
٤٠٦	الناحية اللغوية في تفسيره
٤٠٨	مكانة الاجماع عنده
٤٠٩	تعرضه للاحكام الفقهية

رقم الصفحة	الموضوع
٤١٣	<u>تفسير ابن عطية : " المحرر الوجيز " :</u>
٤١٣	التعريف بالمفسر
٤١٣	تفسيره
٤١٤	ايراد الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين
٤١٥	تعرضه للمعاني اللغوية والشرعية للالفاظ القرآنية ...
٤١٦	القراءات في تفسيره
٤١٧	رأى ابن تيمية ومقارنته بين التفاسير
٤١٨	التفاسير التي تمتاز بالنظر والاجتهاد
٤١٩	<u>تفسير البحر المحيط :</u>
٤١٩	التعريف بالمفسر
٤١٩	تفسيره
٤٢١	نموذج بيد وفيه موقفه من تفسير علماء القرن الاول الهجرى
٤٢٣	<u>تفسير الجلالين :</u>
٤٢٣	التعريف بالمفسرين
٤٢٤	منهجها في التفسير
٤٢٨	<u>تفسير روح المعاني :</u>
٤٢٨	التعريف بالمفسر
٤٢٨	تفسيره
	نموذجين بيد وفيهما ما يراه الالوسي مقارنا بما رجحه
٤٢٩	غيره من العلماء

رقم الصفحة	الموضوع
٤٣٣ الخاتمة
٤٣٧ ثبت المصادر والمراجع
٤٥١ الفهرس التفصيلي